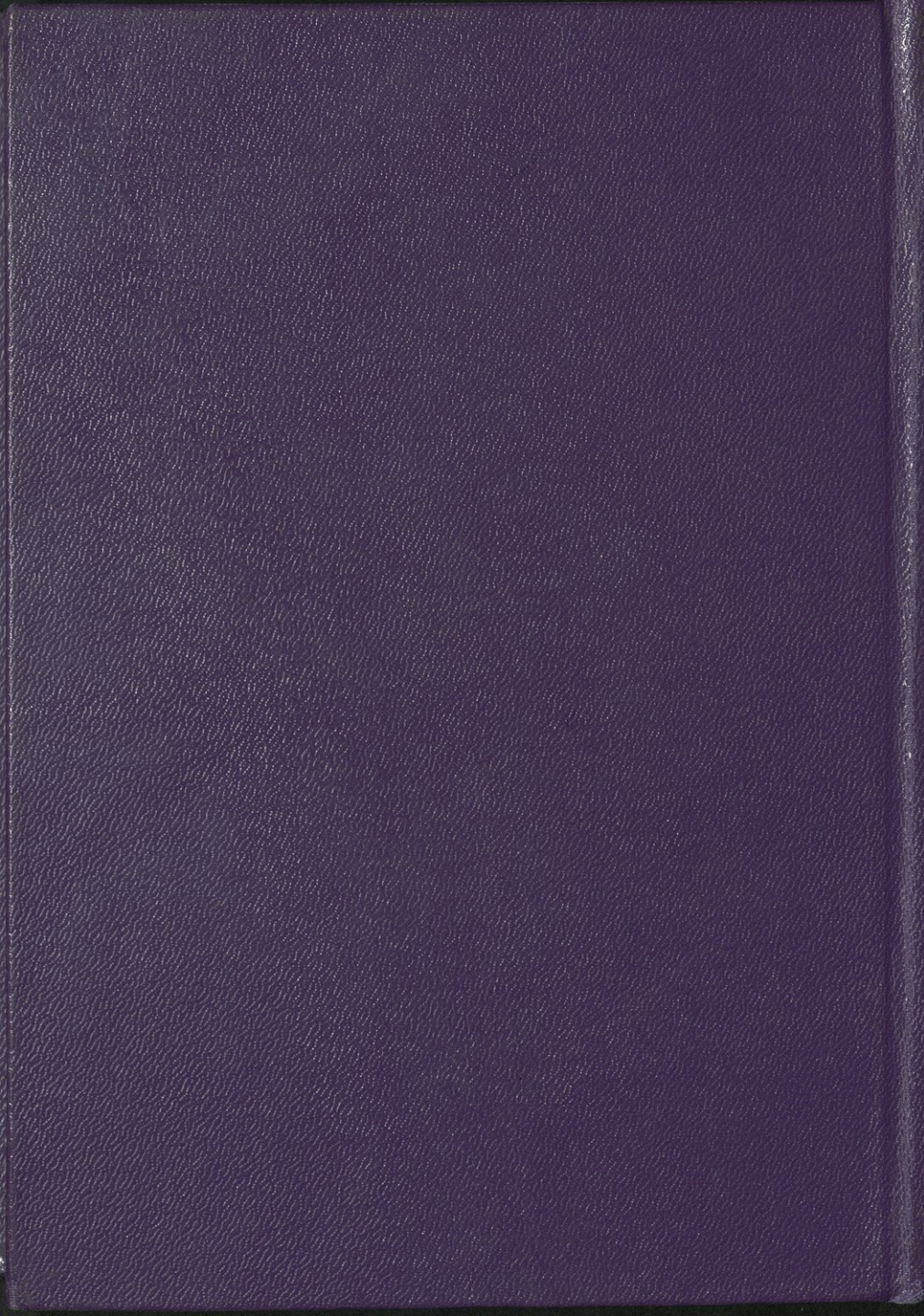


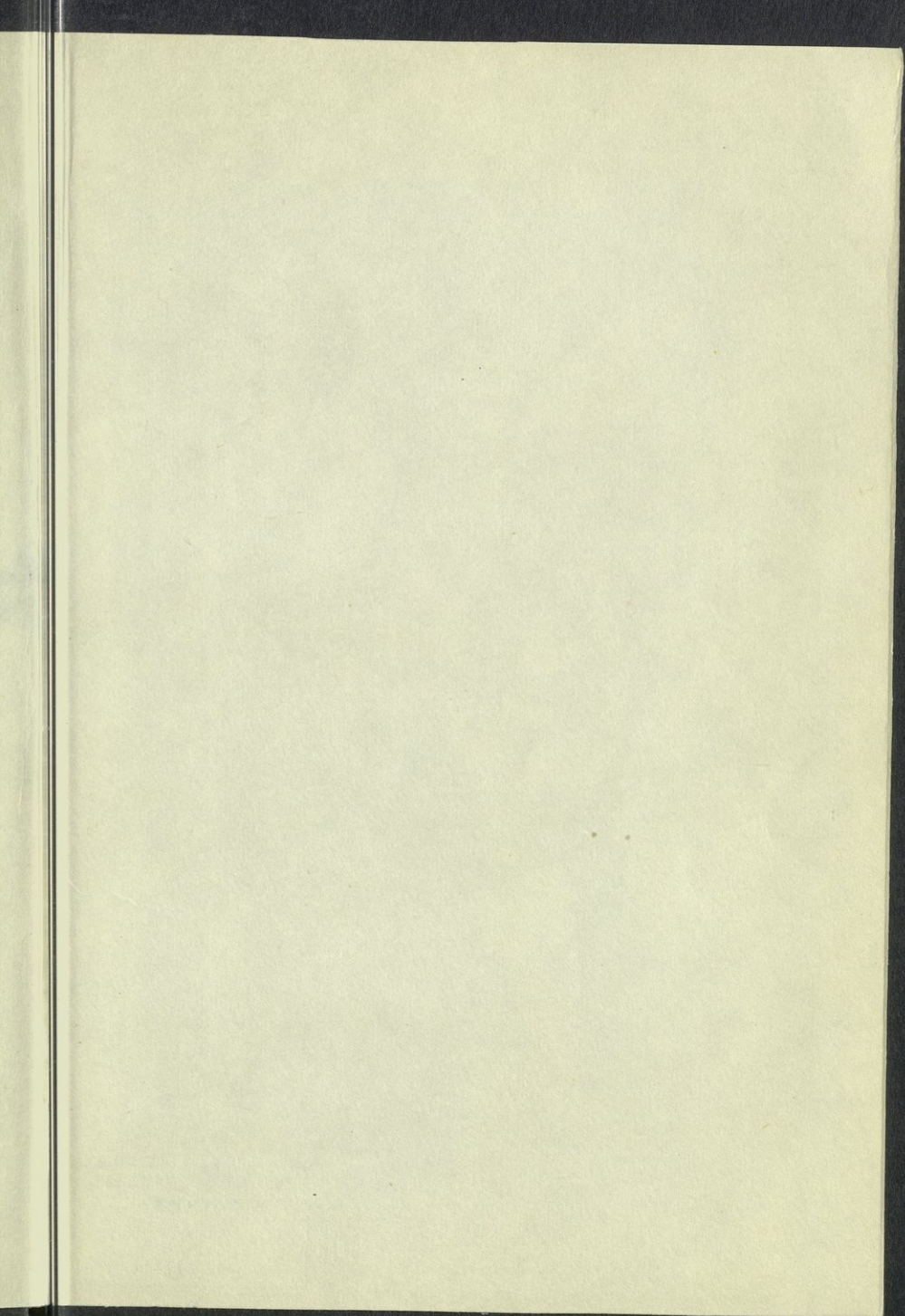


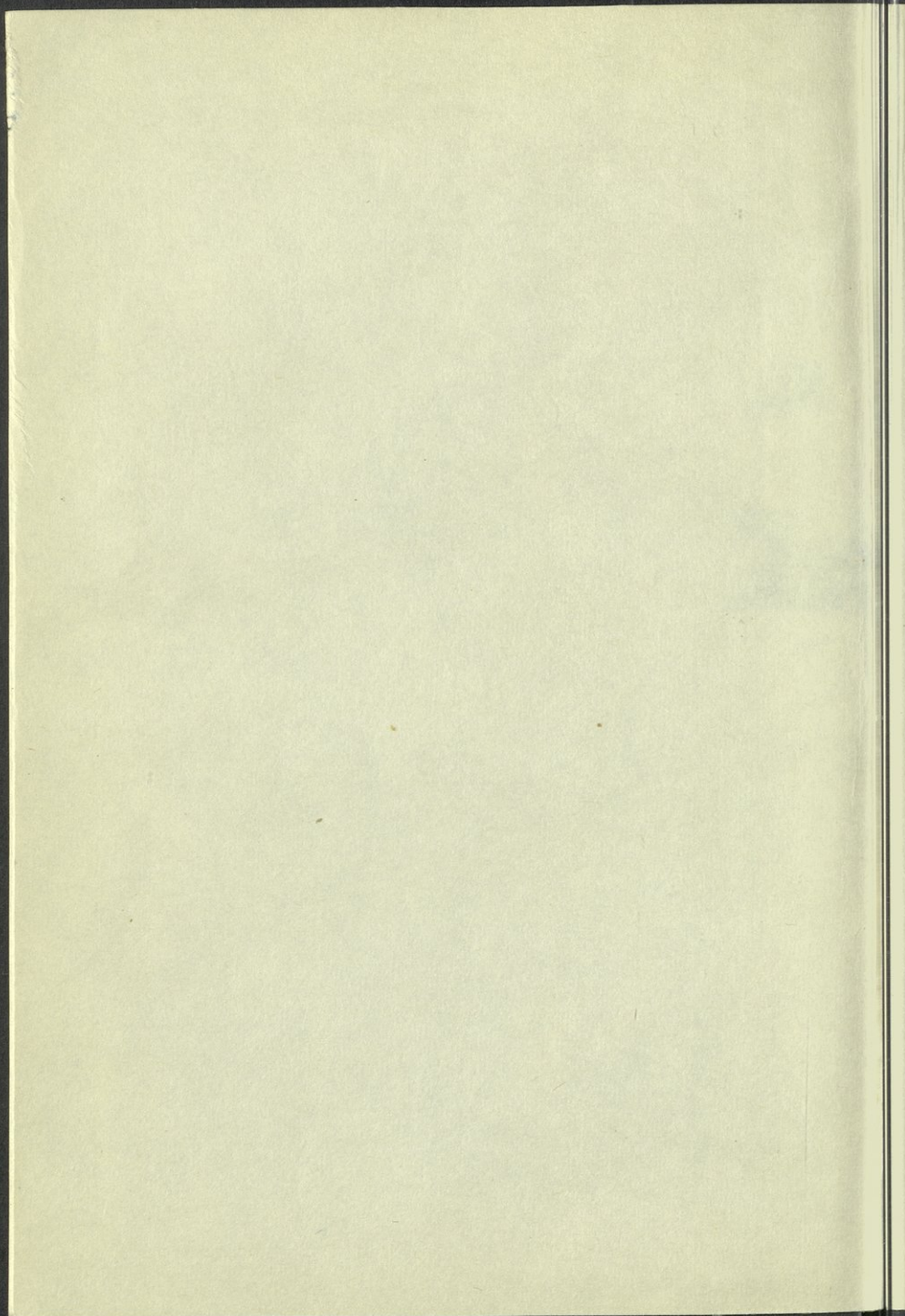


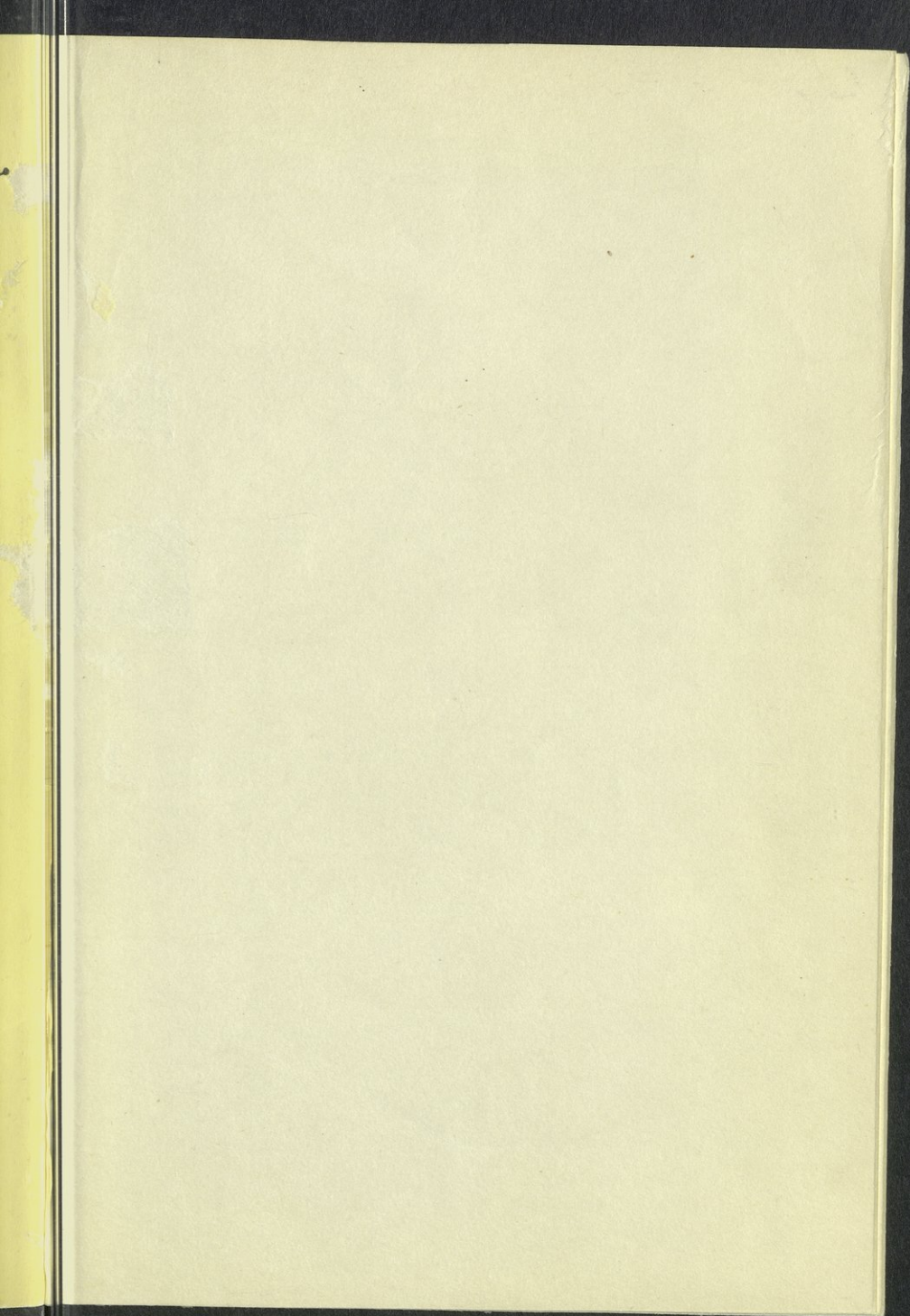
N. MAKHOUL
BINDERY

22 JAN 1972

Tel. 260458





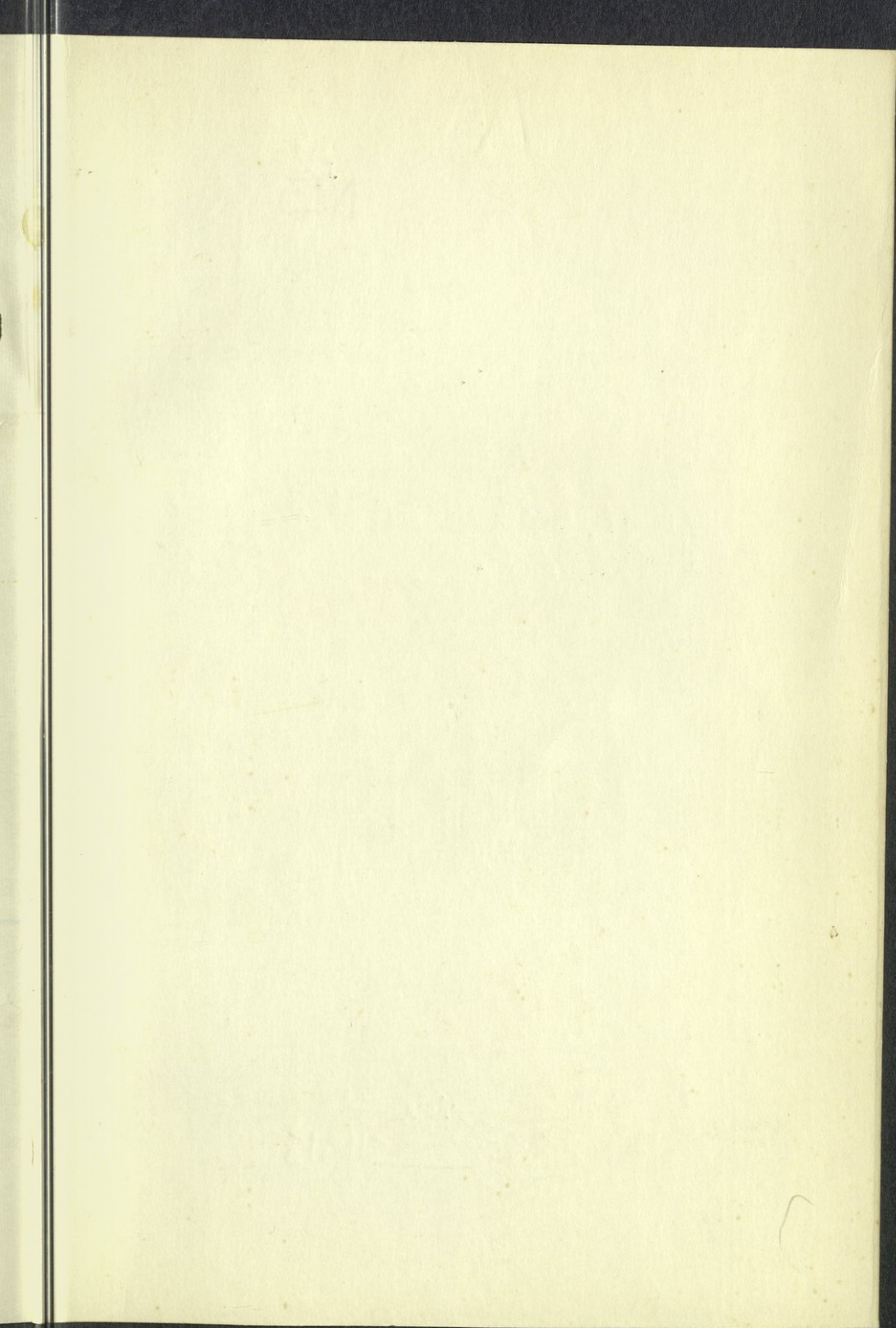


مجلد العلاف

مسعود بن دوي
معتد دار العربیة للدعوة الاسلامیة

تاریخ الدعوة الاسلامیة فی الهند

نشر وتوزیع
دَارُ الْعَرَبِیَّة



297.7
N131LA
C.1

الفصل الأول

فصل الاول
في بيان الاسلام من اهل البيت وراثته وادبها
واعتدائه لشعبه في بلاد العرب وبلاد
الهند وبلاد الصين وبلاد الهند
وكل ذلك في اقل من قرن وبعث الله في كل
من العالمين واولادهم واولادهم واولادهم

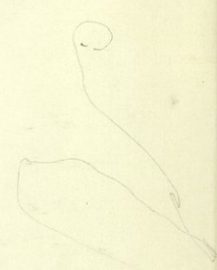
انتشار الإسلام في الهند

2075
13

جامعة القاهرة



بسم الله الرحمن الرحيم



منها في قول المثلث

طلعت شمس الاسلام من أفق تهامة ، وأضاءت بانوارها سهل
الأرض وجبلها ، وامتدت أشعتها الى ما وراء بلاد العرب شرقاً وغرباً
وجنوباً وشمالاً ، حتى استضاء بنورها أ كثر بقاع الأرض .

وكل ذلك في أقل من قرن ، بحيث لم يسبق له مثيل في تاريخ
أديان العالم ، ولا يزال مؤرخو العالم يعضون بنان الكف من عجب
وحيرة .

١ — ملوك المساميين

وليعرف كل من اطلع على التاريخ أن بلادنا — الهند — أيضاً
تنورت بنور الاسلام في القرن الأول من الهجرة ، وتشرفت بأقدام
المجاهدين الأولين (١) من العرب .

(١) أخذت العرب تشد الكرة على بلاد الهند الساحلية في عهد سيدنا عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ، فزحفوا أول مرة الى ثانة (المرفأ الصغير الذي ترقى في ما بعد ،
واخذت موضعه مدينة عامرة تدعى اليوم بومبي) ثم نزلوا بعدها بروص (بهروج)
من بلاد كجرات . وكان القرن قرن الصحابة ، فلا مرية في انه كان في هذه الجيوش
عدد غير قليل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .
وكذا تعد الهند من جملة البلاد التي تشرفت بأقدام رضوان الله عليهم اجمعين .

ولكنهم لم يتغلغوا في أعماق البلاد ، وإنما انحصر نفوذهم في مقاطعة
 السند وماجاورها من الاقطار . وكذلك البحارون من العرب الذين
 كانوا يملكون بشواطئها الغربية ، ويتاجرون مع أهلها من قبل بزوغ شمس
 الاسلام ، ماتوا في قلب الديار الهندية ، فانحصرت (١) دائرة نفوذهم في
 مليار ونواحيها من بلاد الشواطئ الغربية ، فما امتدت اشعة ذلك النور
 الوهاج الى داخل هذا القطر الا بعد ما امتلك ناصيته محمود الغزنوي (٣٨٨
 - ٤٢١ هـ) وأخلافه .

فالذين دخلوا الهند من الملوكة والفاطحيين بطريق دره خير (٢)
 ما كانوا يعرفون من مزايا الاسلام الا قليلاً ، وما اضطبغت قلوبهم بالصبغة
 الربانية ، مثل المجاهدين الفاتحين من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم .
 ولذلك نراهم لم يؤثر في عقائد البراهمة الراسخة تأثيراً ولم يحدثوا
 فيها تغييراً مدهشاً ، كما أحدث العرب في الشام ، وفلسطين ، ومصر ،
 والمغرب الأقصى وغيرها من البلدان التي بلغوا أهلها كلمة التوحيد ،
 وفتحوها ، ثم سكنوها وعمروها .
 ومن ثم تجد اليوم مصر الناهضة حاملة بيدها لواء زعامة العالم

(١) من شاء ان يطلع على تفاصيل كيفية انتشار الاسلام في الهند فليراجع :
 (أ) عرب و هندكي تعليقات (بالأردية) للاستاذ المحقق العلامة السيد سليمان الندوي
 (ب) حاضر مسلمي الهند وغابرم لمسعود الندوي (غير مطبوع نشر منه جزء مهم في
 صحيفة الفتوح : المجلد العاشر ؛ الاعداد ٤٥١ - ٤٦٠ وما بعدها .
 (٢) الممر المشهور بين الجبال التي تحيط بالهند من جهة الشمال .

العربي دون الحجاز واليمن ، وكذلك نرى مسلمي مراکش والجزائر أعرق في العروبة ، وأفصح لساناً من عرب الجزيرة أنفسهم .

ومها نتأسف فلن نأسف على شيء مثل أسفنا على أن بلادنا - ولاسيا القطر الشمالي منها - حرمت أقدام العرب المجاهدين الأولين ، واستولت عليها شعوب جفافة غلاظ ، ما كانت تعرف من الاسلام الا اسمه ، ولم يدخل الايمان في قلوبهم الا تحلة القسم . ومعظم هؤلاء الفاتحين مادانوا بالاسلام الا في القرن الثالث أو الرابع للهجرة ، حينما ظهرت أمارات الانحطاط في العواصم الاسلامية الكبرى ، واستبدت بأمرها أخلاط من أهم شتى لم يتغلغل الايمان في قلوبهم بعد .

فما كان يهمهم من الغزو والقتال الا توطيد دعائم ممالكهم ، ولو اعتنى هؤلاء الفاتحون من الترك ، والأفغان ، والمغول بدعوة الاسلام معشار ما اعتنوا بحطام الدنيا الدنية لسكان الاسلام شأن في بلاد البوامة غير شأنه اليوم .

وهؤلاء العبيد من الترك الذين استبدوا بالأمر في بغداد ، وجعلوا خلفاء بني العباس ألعوبة بأيديهم ، لم يكن لهم علم بقوانين الاسلام الحربية ، فاذا فتحوا قطراً قلما عاملوا أهله بمثل ما عاملهم به عمر بن الخطاب وابو عبيدة بن الجراح ، وخالد بن الوليد ، رضي الله عنهم ، ومن حذا حذوهم زمن الخلافة الراشدة . وكيف يرجي من الجنود الذين مارافقوا الفاتحين الا طمعاً في الغنائم أن لا ينسوا واجب الدعوة الاسلامية ، ويدعوا الناس الى الاعتصام بكتاب الله ، وسنة نبيه ﷺ ، وتسيير دفعة الحكومة على منهاج الراشدين المهديين .

وأول من دخل الهند من الفاتحين بطريق الجبال الشمالية الغربية محمود الغزنوي (٣٨٨-٤٢١ هـ) صاحب الحملات المتتابعة المشهورة ، وكانت جيوشه المتطوعة ممن دانوا بالاسلام حديثاً ، ولم يُعْن بتربيتهم وتدريبهم على المنهاج الذي يدعو اليه الاسلام ، وفيهم من الهنادك والوثنيين عدد لا يستهان به (١) .

فأي عجب اذا تنكبت جيوش محمود الغزنوي عن خطة الجهاد الاسلامي ولم يتوخوا في ممتلكاتهم ورعاياهم العمل بالشرع الاسلامي ، وقوانين الاسلام الحربية .

والذين خلفوا الغزنيين ، وجاؤوا من بعدهم فاتحين ، وتبوؤا منصة الحكومة هم الغوريون الذين ما أساموا الا في القرن الرابع للهجرة . أما المغرل الذين كانت لهم صولة ومنعة في البلاد في القرون الأخيرة ، فكان عددهم في الكفار الى زمن علاء الدين الخلجي (٦٩٥ - ٧١٦ هـ) ولذا نرى بعض هؤلاء الفاتحين والملوك يفرضون الجزية على الأهالي في جانب آخر . والعجب كل العجب أن بعض هؤلاء الفاتحين لم يفرقوا في القتل وسفك دماء الابرياء بين الهنادك والمسلمين كما تعرف من خبر تيمور (ت ٨٠٧ - ١٤٠٤) ونادر (١١٦٠ / ١٧٤٧) وما يوم حليمة بسر .

وذكر ابن بطوطة أن الاتراك المجاورين لمدينة هرات (من مدن افغانستان) يسبون المسلمات أيضاً .

(١) ابن الاثير : ١٣٥/٩ . طبع ليدن .

وهؤلاء الأتراك أهل نجدة وبأس ، ولا يزالون يضربون على بلاد الهند ، فيسبون ويقتلون ، وربما سبوا بعض المسلمات اللاتي يكن بأرض الهند ما بين الكفار ١ .

فأين هؤلاء من مجاهدي العرب الذين قاتلوا في سبيل الله فاخترقوا جدران آسيا وأفريقيا في ناحية ، وفي ناحية أخرى نرى قوادهم يتقدمون الى الشرق ، فيفتحون خراسان ، وتركستان ، وينحفون الى السند فيمتلكون ناصية الأمر فيها . وكل ذلك في أقل من مائة سنة ، نعم انهم فتحوا الممالك ، ودوخوا الأمصار ، لكنهم لم ينكثوا عهداً ، ولم يهدموا معبداً ولم يغدروا بأحد ، وفوق ذلك انهم لم ينسوا انهم دعاة الاسلام أولاً ومساعدو الحروب ، وأبطال الوغى ثانياً ، وأن همهم الوحيد اعلاء كلمة الله وبث دعوة الاسلام .

فما زالوا مستمسكين بعروة الاسلام الوثقى عاضين عليها بالنواجذ وقافين عند حدود الله . فلا تجد قوادهم وأمراءهم عدلوا عن خطبة الاسلام وحكموا بشيء لا يستند الى قواعد الشرع . وكيف لا ؟ وقد كان في جنود المجاهدين الاولين من العرب ، رجال تشرفوا بصحبة النبي ﷺ وبايعوه على السمع والطاعة . وأما الذين تمتعوا بصحبة أصحاب النبي ﷺ وحظوا بالحضور في مجالسهم وحلقات دروسهم فلا يحصيهم عدد ، واذا عرفت هذا ، فلا يأخذنك العجب اذا قلت : ان هؤلاء

(١) رحلة ابن بطوطة : ٧١،٣ . طبع باريس .

الملوك الذين نشروا ظل سلطانهم على هذه البلاد وبقوا مالكين لأزمة الأمر فيها زهاء ثمانية قرون لم ينفعوا الدعوة الاسلامية في قليل ولا كثير .
والذين أسلموا من سكان البلاد ودخلوا في دين الله من تلقاء أنفسهم أو بجهود الصوفية والوعاظ ، لم تعن الحكومات المسالمة بتعليمهم وتثقيفهم ، فكانت النتيجة أن الآلاف المؤلفة من الذين أسلموا ما انفكوا عاكفين على شعائرهم الدينية القديمة ، متسكعين في ظلام الشرك والوثنية غير متوخرحين عما كانوا عليه في جاهليتهم .

ومن ههنا يتبين لك صدق من (١) قال : أنه ما اضطربت نيران حرب عامة في بلاد الهند طول هذه القرون الا وكان في الجانبين لفيف من المسلمين والهنداك ولم تقع فيها ولا معركة واحدة أثارت غبارها فكرة دينية خالصة واضطف فيها المسلمون والهنداك اصطفا ما انضوى فيه مسلم تحت لواء الهنداك ولا انضم هندي الى صفوف المسلمين .

وذلك أن الحروب التي أشعلوا لظاها واصطلوا بنارها ، لم تكن حرباً دينية يقاتل فيها المسلمون الهنداك والوثنيين لاعلاء كلمة الله .

وانما كانت حروبا شخصية أو قومية أو قدوا نيرانها لتوطيد دعائم مملكتهم أو ارضاء شهواتهم الذاتية ، فانحاز كل من الفريقين - المسلمون والهنداك - الى حلفائهم وانضوا الى كنف من يأخذ بيدهم وينصرهم اذا أصابتهم مصيبة في امارتهم وسلطتهم ، لا فرق في ذلك بين مسلم

Cawnpore Committee (١)
Report

وهندي ولذلك تراهم يقاتل بعضهم بعضا ويجعلون بأسهم فيما بينهم .
وبلغت ببعضهم الحمية الجاهلية الى أنهم لما استيأسوا من الظفر في معركة
بهتير (Bhotnir) قتلوا نساءهم وذبحوا أولادهم بأيديهم ثم برزوا الى
ميدان القتال يناجزون اخوانهم في الدين حبل الحرب حتى قتلوا عن
آخرهم ، شأن أبناء وطنهم الشجعان من عشائر راجيوت (Rajput)^١
في مثل هذه المواقف .

٢ — غربة الاسلام

قد عرفت آنفاً أن الهند العزيزة ماتشرفت باقدام المجاهدين
الأولين من العرب الا قليلا واستولت عليها رجال من شعوب وأمم شتى ،
حديثه العهد بالاسلام لم يتسن لهم أن يرتووا من مناهله العذبة الصافية ،
فلا بدع اذا لم يؤثروا في عقائد البراهمة تأثيراً ملموساً .

أضف الى ذلك أن البلاد الساحلية من أعمال كيجرات والسند
أصبحت فيما بعد مزبلة للأفكار والعقائد المنحولة على الدين المبين ، يؤمها
المبتدعون ، من دار الاسلام ، المارقون من الدين ، الذين خاقت عليهم
أوطانهم بما كانوا يدينون به من العقائد الباطلة والأوهام الكاذبة .

(١) قبيلة من قبائل الهند المعروفة ببسالة اهلها وشجاعتهم . وكان من دأبهم في ما مضى
أنهم كلما استيأسوا من الظفر والغلبة في الحرب ، قتلوا نساءهم وأولادهم ثم خرجوا الى
الميدان يرخصون انفسهم ويقتحمون المارك اقتحاماً حتى يقتلوا عن آخرهم .

Studies in Indian History by S.N. Sen. P. 119 (٢)

والذي تجده الآن في تلك البقاع من الفرق والطوائف الضالة
المضلة - من الاسماعيلية وأذناها المتشعبة - إن هي الا بقايا أو تلك البغاة
الذين خرجوا على النظم الاسلامية أو أرادوا أن يأتوا على بنيان الاسلام من
قواعده فالتجأوا الى بلدان الهند الساحلية وألقوا عصاهم بها ، بعد ما طردوا
من مراكز الثقافة الاسلامية أو خافوا على أنفسهم من البقاء على مقربة من
العواصم المعمورة ببلاد الاسلام (١) .

وللهناج التعليمي الذي جرى العمل به في عصر الحكومات
المسلمة الهندية يد عظيمة في بقاء الآلاف المؤلفة من المسلمين الجدد على
عقائدهم الباطلة وعاداتهم المتزجة بخرافات الوثنية . فانهم لم يعيروا التعليم
الديني حقه من العناية ولم يهتموا أصلاً بتثقيف الناشئة المسلمة تثقيفاً دينياً .
وانما أرادوا أن يعدوا من الأهالي طبقة خاصة تشغل وظائف هامة في
دواوين الحكومة وتكون لهم عوناً في تسيير دفة الأمر بسهولة وانتظام .
وقد نجحوا في ذلك حيث نشأت طبقة خاصة من الأهالي خدمت الحكومة
واضطبغت بصبغتها حتى ترقى الى مناصب عالية في الحكومة . ومثلهم في
ذلك كمثل الطبقات المتعلمة الجديدة في دواوين الحكومة الانكليزية أمام
أعيننا بالأمس .

لكن هذا النجاح المأموس المشاهد عقبه خسران عظيم وصفقة
موبقة . الا وهو عدم الاهتمام بالدين ونشر محاسنه وبث مزاياه بين
الملايين من الوثنيين المنتشرين في طول البلاد وعرضها .

(١) اي العواصم الاسلامية المعمورة كدمشق وبغداد وما يتبعها من بلاد المسلمين .

فأنت ترى أن الهند العزيزة قد اصبحت بهؤلاء المملوك الذين لم تكن في قلوبهم - الا من رحم ربك - جذوة حب الدين المين .

وفيه من لا يعرف من الاسلام الا اسمه . ومعظمهم لا يعرفون لغة القرآن الكريم وسنة نبيه . فأصبحت الفارسية لغة الحكومة الرسمية . وامتزج دين التوحيد الخالص بالعقائد الوثنية وأوهام المتصوفة البراهمة وانحصر الدين في كتب الفقه ألفها المتأخرون من الفقهاء . فأني عجب اذا مسخ دين الله مسخاً في بلاد البراهمة وحامت حوله أوهام وأفاديل لأصل لها في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ . وبلغ من تغلغل تلك العقائد الباطلة في نفوسهم وامتزاجها بلحومهم ودمائهم أن جعلوا يتعصبون لها ويدافعون عنها دفاع من يذب عن حمى الاسلام وشعائره . وما كانوا يشعرون ان هذا الدفاع الباطل لا يزيد الباطل الا قوة ورسوخاً في قلوب العامة .

وقد بلغوا من تمسكهم بعقائدهم الممزوجة بمخرافات الوثنية وإيمانهم بها أن رثى لهم العدو الشامت وبكى للاسلام من لا يبكي الا اذا استيقن ان المنتمين اليه قد وصلوا من الانحطاط والتقهقر بمكان لا يرجي بعده النهوض والعود الى سيرتهم السالفة من المجد والسؤود .

واليك ما قال بهذا الصدد الدكتور غوستاف لوبون - العالم الفرنسي الشهير - : « ويظهر للباحث عند دراسة الاسلام في الهند أن هذا الدين قد مسخ مسخاً وشوه تشويهاً (١) »

(١) حضارة الهند (الترجمة الاردية) ص : ٣١٠

« وان أحدث دين محمد ﷺ في ديانات الهند تغييراً او انقلاباً
فقد لحقه مثل ذلك أو أكثر منه » (ص : ٧٥٥) .

وجملة القول أن دين الاسلام لم يؤثر في أديان البراهمة ، كما تأثر
هو نفسه بعقائدهم وشعائهم الدينية . والا ، فما لا يختلف فيه اثنان ان
للإسلام يداً بيضاء على الهند ودياناتها المختلفة ، واليه يرجع الفضل الأكبر
في تطهيرها من العقائد الوثنية الشنيعة .

والذي يؤمننا من تاريخ الاسلام في هذه البلاد ، انما هو ضآلة
نفوذه وعدم تغلغله في أفسار الأهالي وقلة أثره في حياتهم الاجتماعية .



وكانت من عهد محمد بن عبد الله في حياته الفد تميزاً أو انقلاباً

قد نجد من ذلك أو أكثر منه (ص ٢٥٥)

يرجع القول بأن من الإسلام لم يزل في أعيان غيرهم كما ناز

من قبله بعد ذلك من قبله ولا سيما لا يقتصر على هذا

الكتاب من قبله من قبله ولا سيما لا يقتصر على هذا

في كتابه من قبله من قبله ولا سيما لا يقتصر على هذا

من قبله من قبله من قبله ولا سيما لا يقتصر على هذا

من قبله من قبله من قبله ولا سيما لا يقتصر على هذا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شيعان قال بة

دخل الاسلام الهند من طريق الشمال الغربي في أواخر القرن الرابع وبدا القرن الخامس للهجرة كما سبق آنفاً . ثم تتابعت الحملات وجعل الدعاة والوعاظ والصوفية يردون البلاد وينبشون في كل صقع منها ، حتي استأنس الاهالي بدعوتهم وأخلاقهم وأخذوا ينضون الى كنف الدين المبين يلتجئون الى حظيرته القدسية .

لكن معظم هؤلاء الوعاظ لم يكن لهم نصيب من علم الكتاب والسنة . والعلماء منهم أيضاً كانوا مقتصرين على كتب فقه لاتروي الغليل ولا تشفي العليل . أما المتصوفة فحدث عن انصرافهم عن السنة وتمافتهم على مزاعمهم الباطلة ولا حرج .

فاذا رجعت ببصرك اليوم الى ما قبل القرن العاشر للهجرة وتأملت في ما كان عليه المسامون يومئذ ، وجدت عقائدهم مختلطة بأوهام المتصوفة عن وحدة الوجود^(١) والحلول والبروزوالاعمال مدنسة بأنواع

(١) مامن أمة من أمم الارض الا وكان فيها أثر لعقيدة وحدة الوجود بنوع من انواعها . وكان يقول بها بعض فلاسفة اليونان ايضاً . وكذلك اليهود والنصارى ، وعليها مدار تصوف (Vedant) البراهمة وفلسفتهم . وراحت هذه العقيدة في الصوفية المسلمين ايضاً ، حتى ان بعض انواعها اصبح أشبه شيء بالحلول . وليس عندنا دليل على ان ويدانت (Vedant) البراهمة ترجعت الى العربية . والحال ان هذه

من الشرك ، ودور التعليم خالية من الكتب والسنة والبلاد خلو من العلماء الربانيين ، الداعين الى الاعتصام بالكتاب والسنة .

أما العقائد الوثنية والاعمال البدعية فانما يرجع سببها الى جهل الناس بالكتاب العزيز والسنة النبوية . لأن الكتاب الذي جاء به النبي العربي ﷺ لهداية البشر كافة ، قد نبذه أتباعه وراء ظهورهم وجعلوه زينة لصناديقهم وخزائهم . وكذلك السنة فلم يسمع صوت (أخبرنا) و(حدثنا) في أرجاء الهند الى قرون عديدة الا تحلة للقسم أوردا للعين الحاسدة وكان جل هم العلماء منحصر آ في الفقه والاصول . وقد دب في عقولهم داء التقليد الجامد ، دبب الديدان في صفحات الكتب ، فاعتقدوا كتب المتأخرين من الفقهاء واتخذوها أصل الدين وملاكه دون الكتاب والسنة .

ولك أن تقدر عدم اعتنائهم بالسنة بما جرى من المجادلة بين العلماء والشيخ نظام الدين ، أحد كبار الصوفية في الهند (ت سنة ٧٢٥ هـ) في

العقيدة أخذت من قلوب المسلمين مأخذاً في أواخر القرن الثالث للهجرة (أي زمن حسين بن منصور الحلاج المتوفي سنة ٣٠٩ هـ) وبلغت أوج كمالها في مؤلفات محي الدين ابن عربي الشيخ الأكبر (ت سنة ٦٣٨ هـ) . وهو اول من تحمس في الدعوة اليها وكان اندلسياً . فالغالب انه تأثر بفلسفة الاسكندرانيين . وكذلك مما لامرود له ان الصوفية المسلمين قد تأثروا ب ويدانت البراهمة ، بعدما دخلوا الهند واقاموا بها . واول من رد على القائلين بوحدة الوجود ، ونقض آرائهم نقض الامام ابن تيمية الحراني (ت ٨٢٨ هـ) . لكن هذه العقيدة نمت وازدهرت بعد وفاة ابن تيمية بقرون ، فرد عليهم الشيخ احمد السرهندي (ت سنة ١٠٣٤ هـ) من جديد ، فأفحم القائلين بها افحاماً .

مسألة السماع ، وقد عقدوا مجلساً خاصاً لتحقيق هذه المسألة .

ولما عرض عليهم الشيخ حديثاً مستدلاً به على شيء مما ادعى .
قالوا « لانسلم بهذا الحديث فانه حديث استدلل به الشافعي وهو عدو
مذهبنا » . وفيه كفاية للدلالة على عدم اكترائهم للحديث في ذلك العهد
وهالك الحديث الذي استدلوا به في هذه المناظرة ليقف القارئ على مبلغ
علمهم بالحديث .

ذكر المؤرخ (فرشته) :

« التفت القاضي ركن الدين الى الشيخ وقال « ما دليلك على
جواز السماع والغناء ؟ » فاستدل الشيخ بما روي عن النبي ﷺ انه قال
« السماع (١) مباح لأهله » فأجاب القاضي « مالك والحديث ؟ » أنت رجل
مقلد ، تقتدي بأبي حنيفة فأنت بقول من أقواله حتى نراه « فقال الشيخ
سبحان الله العظيم ، أنا أحدثكم عن رسول الله ﷺ وتطالبي بقول من
أقوال أبي حنيفة ؟ »

واليك قصة ، بل فاجعة ، أخرى حدثت في زمن السلطان علاء الدين
الخلجي (٦٩٥ - ٧١٦ هـ) لتعرف ما كان عليه عامة سلوك المسلمين في
الهند من قلة اعتنائهم بالدين وانغماسهم في شهواتهم : وفد على الهند محدث
كبير من مصر - شمس الدين الترك - رغبة في نشر علم الحديث وبث

(١) هذا قول من أقوال الغزالي جاء في كتابه احياء علوم الدين ، كالفتوى . ولعل المؤرخ
(فرشته) قد اخطأ حيث عده حديثاً . وقد التبس الامر على حضرة المستدل نفسه .
(٢) مقالة علم الحديث في الهند للاستاذ المحقق السيد سليمان الندوي (الضياء : ٣ ، ٤)

معارف السنة فيها . ولذلك حمل معه أربع مائة مجلد من كتب الحديث وما يتعلق به .

وكان من نيته أن يكتب شرحاً جامعاً لكتب الحديث ويقدمه الى سدة الملك .

ولكنه لما وصل الى ملتان وعلم ان السلطان لا يحفظ^١ على الصلوات الخمس ولا يصلي الجمعة مع الجماعة سخط عليه ورجع أدراجه .

هذا الذي سردناه عليك من عدم اهتمام علماء الهند بالحديث والسنة النبوية واقتصارهم على كتب الفقه والاصول ، يصدق على شمالي الهند عامة فمما لا مجال فيه للشك أنه ما نفقت سوق الحديث في القطر الشمالي من بلاد الهند الا بعد نبوغ الشيخ عبد الحق الدهلوي (٩٥٨ - ١٠٥٣ هـ) بل الامام ولي الله الدهلوي (١١١٤ - ١١٧٦ هـ) وأنجباله الغر وتلاميذه الميامين النجباء . وكذلك بما لا يختلف فيه اثنان أنه ما نبغ في من جاءوا الهند بطريق ممر خيبر من العلماء رجل عالم بالسنة عارف بأسرارها ،

(١) قد ذكر البرني في تاريخه عن علاء الدين الحلبي هذا ، انه كان يعاقب المجرمين عقاباً شديداً وما كان يبالي بقوانين الشرع في هذا الشأن . ولما اخبره القاضي مغيث الدين بفداحة العقوبات وانذره باعتدائه على حدود الله ومخالفته لأوامر الشرع ، اجابه قائلاً : « الناس لا يطيعون اوامرهم ولا يحتفلون بها ، فأضطر الى هذا العقاب الاليم . ولا اعرف أهو يوافق مقتضى الشرع ام لا ؟ وانما آمر بما يظهر لي وبما ارى فيه صلاح بلادهم » (البرني : تاريخ فيروز شاهي : ص ٢٩٦) او بعد ذلك يقول علماء السوء ان ملوك الهند المسلمين كانوا ظل الله في الارض وكانت ممالكهم حكومات اسلامية ؟

مطلع على دقائقها ، قبل حسن بن محمد الصغاني^(١) (٥٧٧ - ٦٥٠ هـ) صاحب
مشارك الأنوار .

وزد على ذلك أنه حينما كانت بلاد كجرات وماجاورها من المدن
الساحلية ترتج بأصوات (حدثنا) و(أخبرنا) ، (في القرنين التاسع والعاشر
للهجرة) لم تكن بلادنا الشمالية - التي كانت تدين لملوك دهلي المسلمين وتأتمر
بأمرهم - اذ ذاك الا غارقة في بحر لحي من الظلمات ، ظلمات علوم اليونان
وأباطيلها حتى نبغ الشيخ^(٢) علي المتقي (٨٨٥ - ٩٧٥ هـ) صاحب
كنز العمال فأشعل سراج السنة النبوية وأزاح بعض ما كانت غشها من
دياجير خزعبلات اليونان وخرافاتهم .

ولا أقول - وحاشاني أن أقول - أنه مانفتت^(٣) (سوق الحديث

(١) حسن بن محمد الصغاني ، ولد سنة ٥٧٧ هـ في بلدة لاهور واخذ العلم عن والده ثم ارتحل
الى اليمن والحجاز والعراق واقام فيها مدة . وصنف في بغداد كتابه الشهير مشارق
الانوار برسم الخليفة المستنصر بالله العباسي . توفي سنة ٦٥٠ هـ .

(٢) ولد الشيخ المتقي في برهان پور من بلاد دكن في جنوبي الهند ، وكان أصله من
جون پور في قلب الهند . تعلم في الهند وتخرج على مشايخه ثم سافر الى بلاد العرب
وقد بلغ من العمر سبعة وستين سنة . وتلمذ على الشيخ ابن حجر المكي (ت سنة
٩٧٤ هـ) حتى برع في علوم الحديث وفاق اقرانه واشتغل بعد ذلك زمناً طويلاً
بتأليف كتابه كنز العمال في سنن الاقوال والاعمال . توفي سنة ٩٧٥ هـ ، وقد جاوز
العقد التاسع من عمره .

(٣) انتشرت السنة في الهند بين آونة وأخرى ، وسافر العلماء الى الحرمين الشريفين
لارتباد العلم في مختلف القرون . لكنهم كانوا أفراداً قلائل يمدون على الأنامل ،
ولا يمكن الحكم على أن الرجوع الى كتاب الله وسنة نبيه والعلم بالحديث كان عاماً
في هذه البلاد قبل الشيخ عبد الحق الدهلوي بل الامام ولي الله الدهلوي .

في الهند ولم يرتفع له فيها كلمة أصلاً . وانما أقول أنه مازالت راية السنة النبوية في بلادنا منتكسة ومابوحت اعلامها غير خافقة الى ان ظهر الشيخ عبد الحق الدهلوي (٩٥٨ - ١٠٥٣ هـ) في أواخر القرن العاشر للهجرة ومن جاء من بعده من تلاميذه . ولاستثني منها الا بلاد السند وكجرات والمدن الساحلية الاخرى (١) . والظاهر أن وصمة العار الذي لحق بلادنا الشمالية من عدم احتفال علماءها بالسنة النبوية وتزاحمهم على خزعات علوم اليونان وأباطيلها وانخداعهم بمظاهر التصوف الباطل الممقوت لا يمكن أن ينمحي أثرها بعالمين اثنين - الصغاني (ت ٦٥٠هـ) وعلى المتقي (ت ٩٧٥هـ) قد نبغا من أهلها في ثلاثة قرون . وقد بلغ من عدم اعتناء ملوك دهلي وحاشيتهم بعلوم الكتاب والسنة ان بلاد كجرات أيضاً لم ترتفع فيها كلمة السنة ولم يعمل شأنها الا بعد ما انفصلت عن حكومة دهلي المركزية وخرجت عليها (٧٩٩ - ٩٨٠ هـ) وما ان ألحقها الملك أكبر (٩٦٤ - ١٠١٤ هـ) بالحكومة المركزية حتى انطفأ فيها سراج السنة والعمل بالحديث وعادت الى ما كانت عليه سائر البلاد الهندية من الجهل بالسنة والتنكب عن صراطها السوي .

(١) أما الافراد الشواذ الذين اعتنوا بالسنة قبل القرن العاشر للهجرة والذين نبغوا من أهل الحديث في السند وكجرات في أول عهديهما بالاسلام وصلتها بالعرب ، فلا يسمح لنا نطاق المقام بالتوسع في ذكرهم . ولك أن تجد شيئاً من أخبارهم في مقالة علم الحديث في الهند للاستاذ العلامة السيد سليمان الندوي - حفظه الله وأبقاه (مجلة الضياء : ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧)

فلاشك عندنا في صحة ما قاله بعض رجال (١) الهند العبقريين : -

« لم تكن في الهند الا قتنة التصوف الباطل ولم تحل قرية أو مدينة من الزوايا ... ولم يكن الشيخ عبد الحق الدهاوي وعلماء (٢) كجرات والمدن الساحلية الاخرى كالشيخ علي المتقي وبعض تلامذة المحدث السخاوي (ت سنة ٩٠٣ هـ) الا شواذاً وكذلك ليس عندنا أدنى شك في أن علم الحديث لم ينتشر في الهند الا بعدما ظهر الشيخ عبد الحق الدهاوي وخلفه بعد فترة الشاه ولي الله الدهاوي وأنجاله الكرام ، فاستضاءت البلاد الهندية بالكتاب والسنة نورا وتضوءت بهما عباقراً وأريجاً ، والله الأمر من قبل ومن بعد .

والسبب الوحيد - كما قلت في ماتقدم - لهذا الانحطاط الديني الذي أحاط الهند بسراده في القرون الماضية ولا تزال نشاهد أثره الى اليوم هو عدم اعتناء القوم بالكتاب الكريم والسنة النبوية واكبابهم على التصوف الباطل والتقليد الجامد تارة وتمسكهم على خرافات اليونان وخزعبلاتها أخرى وانحرافهم عن اللغة العربية وزعمهم بأن معرفتهم

(١) أبو الكلام آزاد في تذكروته (ص ٣٧٧) وكذلك قال في موضع آخر من كتابه هذا : « ومن أكبر البليات في الهند أن العامة والخاصة كلهم كانوا مصطبغين بصبغة التصوف ، حتى بلغ بهم الامر الى أنهم ما كانوا يقبلون شيئاً الا اذا كان مسبوحاً في قلوبهم .

ولكن الاسف ان عين التصوف كانت قد كدرت بأوصاخ البدعة والجهل ...

(ص ٢٤٢) .

(٢) ذكر العيد روسي صاحب النور السافر أسماء جماعة من علماء العرب ممن وردوا بلاد كجرات في القرن العاشر واستوطنوها وأفادوا أهلها .

الضئيلة بلغة القرآن تفكيهم^(١) للارتشاف من مناهل الكتاب العزيز
والسنة النبوية .

٣ - بعض المصلحين قبل القرن العاشر للهجرة

هذا غيض من فيض ووشل من بحر . ولو ذهبنا نصف منازل
بالاسلام وأهله من الدواهي في هذه الديار قبل القرن العاشر للهجرة ،
لاستغرق مجلدات وأسفاراً وانما أردنا أن نوميء اليها ايماء ليكون القاريء
العربي على بصيرة من الامر . وكذا يجمل بنا الآن أن لا نبخل بذكر
الملوك والعلماء الذين سعوا سعيهم في نشر الاسلام واصلاح بعض مافسد
من تعاليمه في هذا الجزء - المقاطعات الشمالية - من القطر الهندي .

اذا سرحنا النظر في تاريخ ملوك الهند المسلمين وتأملنا في
ماجريات ممالكهم العظيمة ومعاركهم الدامية التي خاضوا غمارها، وجدناها
حافلة بمجلائل الاعمال من الفتوحات وتشديد الحصون والمباني الشاهقة
وتوصيف الشوارع وتنظيم البريد وكبح جماح الثوار والطاغين وغيرها

(١) وان تعجب فعجب اصرار بعض علماء الهند في عصرنا هذا على ان المعرفة الضئيلة باللغة
العربية كافية لاجتلاء محيا حقائق القرآن والاطلاع على دقائقه . وقد عبروا
عن هذه « المعرفة الضئيلة باللغة العربية » بلفظة « كام جلاؤ عربي » اي
(Working Knowledge of Arabic) وكذلك بالغوا في الدفاع عن العلماء
الذين اعرضوا عن السنة في القرون الماضية واكتفوا من كتب الحديث بمشكاة المصابيح أو
مشارك الانوار وصرفوا اعمارهم في التنقيب عن نظريات ارسطو وغيره من فلاسفة
اليونان وعلمائها . وما هذه العصبية الا من بقايا الخمية الجاهلية . اعاذنا الله منها
وسائر المسلمين .

مما لو أتيح اليوم لأية دولة من أقوى دول العالم لكفها مفضرة . ثم نظرنا الى اعمالهم وما أدته حكوماتهم من الخدمات في سبيل نشر الدعوة الاسلامية بعين المسلم النزيه ، لاعترانا الحجل والندامة ، فانهم وايم الحق ، ما فعلوا لاعلاء كلمة الاسلام ورفع شأنها في البلاد الهندية عشر معشار ما جاؤوا به من الاعمال العظيمة لتوطيد دعائم ممالكهم وقضاء لبا نهم من شهوات الدنيا الدنيئة .

اللهم الا ما ظهر من بعض ملوك آل تغلق ومن هذا حذوهم من السلاطين على خالة عددهم ، من بوادر أعمال تنم على حبهم للاسلام ويقظتهم لما فيه صلاح المسلمين فانهم رأس مالنا في تاريخ الهند الاسلامية ومناسط كلامنا الآن في هذا الجزء من الكتاب .

٩ - محمد تغلق (٧٢٥ - ٧٥١ هـ)

فأول من أحس بذلك وقام بشيء من واجبه في سبيل الدين هو محمد تغلق الذي تبوأ عرش الحكومة في النصف الاول من المائة الثامنة للهجرة .

وقد اعتلى سرير المملكة قبله ملوك لهم حزم وبسالة أمثال قطب الدين ايبك (١) (٦٠٣ - ٦٠٦ هـ) وشمس الدين التمش (٢) (٦٠٧ - ٦٣٣ هـ) .

-
- (١) كان مملوكا . وما تسنى له ان يتوج بالملك الا بشجاعته ووفائه لمولاه . وهو اول ملك اجتمعت تحت لوائه معظم بلاد الهند بعد مئات من السنين . وهو الذي بنى المنارة الشهيرة باسمه التي تضرب في السماء وتناطح القبة الزرقاء .
- (٢) هو ايضاً كان مملوكا تركيا خلف قطب الدين بعد موته ، ويعد من اعظم سلاطين الهند واكبرهم شأنًا .

وفيه من هو أقوى منه شكيمة وأصلب منه عزيمة ، له صيت
وسمعة مثل علاء الدين الخلجي (١) (٦٩٥ - ٧١٦ هـ) ، ومنهم من هو
أوفر منه عدلاً وأزهد منه في المعيشة مثل ناصر الدين محمود (٢) (٦٤٤ -
٦٦٤ هـ) ، لكنهم ، على ما كان لهم من صولة ومنعة - لم يأتوا - وبالأسف
بشيء يذكر في سبيل إقامة الدين . او تجديد مآثره ، وإحياء مامات من
سننه وشعائره .

فصاحبنا محمد تعلق ، هو أول من شمر عن ساق الجذع من ملوك
الهند لإحياء شعائر الاسلام والقضاء على البدع والمنكرات التي تسربت
الى المجتمع الاسلامي الهندي وتفشيت به وكان هذا الملك من أعاجيب
الناس ، أحب شيء لديه اجزال العطاء وسفك الدماء فلم يكن بابه يخلو
من فقير يغنى أو حي يقتل . كان شديداً في أمور الدين يعاقب تاركي

(١) كان ملكاً ذا كلمة نافذة ، له الحكم والامر . دوخ البلاد وقهر اعداءه وبسط جناح
سلطانه على الهند من شرقها الى غربيها ومن شماليها الى جنوبيها ، الا انه لم يأت بشيء
يذكر في سبيل اعلاء كلمة الله . ومن الناس من يفضح هؤلاء الملوك المسلمين اذا
اتقنوا اعمالهم وعدم اكترائهم لواجبهم الديني . فها هذه الغضبة الاغضب الجاهلية او
القومية المعقوتة ، اعادنا الله من كليهما .

(٢) استقام له ثلاثون عاماً ، لكنه لم يرفع عقيرته للقضاء على البدع والمنكرات التي
عمت فأعمت القلوب والابصار . ومع ذلك ، كان ملكاً صالحاً برأ تقياً ينسخ الكتب
ويعيش بها . فسبحان الذي يقلب القلوب والابصار .

الصلاة . وذكر ابن (١) بطوطة - الرحالة العربي الذي ورد الهند في زمنه - شيئاً كثيراً من « تواضعه واشتداده في اقامة الصلاة وأحكام الشرع ورفع له المعارم والمظالم وعوده لانصاف المظلومين واطعامه في الغلاء » ، الا أنه يشكو « تجاسره على اراقة الدماء » (٢) . ولذلك تضاربت آراء المؤرخين في شأنه ، من بين قادح ومادح . ومهما يكن من حقيقة الامر ، فانه أحب لدينا من تقدمه من ملوك الهند الجبارة لأنه قام بشيء من واجبه في سبيل احياء مآثر الاسلام وتجديد ما يدرس من آثاره ومعالمه في هذه البلاد : وللناس في ما يعشقون مذهب . ورأي ابن بطوطة (ت سنة ٧٧٩ هـ) في شأنه أجدر بالثقة وأقرب الى الصواب فانه زار الهند في زمنه كما تقدم وقيد كل مارآه وشاهده بأمر عينه . وهالك ما يقول عن تصلبه في الدين واقامته لشعائر الاسلام :

« وهو أشد الناس مع ذلك تواضعا وأكثرهم إظهاراً للعدل .

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم ابو عبد الله اللواتي الطنجي . ولد في ١٤ رجب سنة ٧٠٣ (١٣٠٤ / ٢ / ٢٤) في طنجة (المغرب الاقصى) . وفد بدأ بسفره من طنجة / ثاني رجب ٧٢٥ هـ لاداء فريضة الحج ، وهو ابن احدى وعشرين سنة . وقضى شطراً كبيراً من عمره في التجوال والانتقال من قطر الى قطر . وتوفي في مراکش سنة ٧٧٩ هـ على ما هو المشهور من تاريخ وفاته . الا ان بعض الباحثين ذهبوا الى انه توفي سنة ٧٧٠ هـ (راجع دائرة المعارف الاسلامية : الترجمة العربية)

(٢) ذكر الدكتور مهدي حسن في كتابه عن حياة محمد تغلق

« The Rise and fall of Mohammed bin Tugluq »

أن ابن بطوطة لم يكن منصفاً في حق محمد تغلق ، واتى على ذلك بأدلة وشواهد . والله عنده علم الصواب . ومن شاء فليراجع كتابه .

وشعائر الدين عنده محفوظة . وله اشتداد في أمر الصلاة والعقوبة على تركها » ... (٢١٦:٣) .

« وكان السلطان شديداً في اقامة الصلاة آمرأبلازمته في الجماعات يعاقب على تركها أشد العقاب . ولقد قتل في يوم واحد تسعة نفر على تركها ، كان أحدهم مغنيا . وكان يبعث الرجال الموكلين بذلك الى الاسواق ، فمن وجد بها عند اقامة الصلاة ، عوقب » (٢١٦:٣) .

— ومن حسناته تجديد الاواصر بالخلافة الاسلامية ، وان لم يكن مجلياً في هذا المضمار . فقد تشرف (١) قبله بقرن شمس الدين التمش (٦٠٧-٦٣٣هـ) « بالاذن » و « المنشور » من مقام الخلافة . ثم انقطعت الصلة وما احتفل بذلك الذين جاؤوا بعده من ملوك الهند ؛ حتى اخذ محمد تغلق زمام الامر بيده فاتصل بمقام الخلافة العباسية في مصر وأرسل الى سدة الخلافة رسولاً — الحاج رجب البرقعي — من عنده بالهدايا ظناً منه أن حكومته لا تستقيم ولا يجب على الرعية اتباع أوامره الا بعد الاذن من مقام الخلافة العلية — وان كانت يومئذ عزلاء وما يدها شيء من الامر — وذلك سنة ٧٤٤ هـ حتى جاءه « الاذن » المنشود وتقلد السيف الذي تسلمه — سنة ٧٤٥ هـ — من سدة الخلافة السنية بغاية من التجلة والاكرام .

ثم تتابعت « المناشير » كل سنة .

وكذلك تشرف « باذن » الخلافة « ومنشورها » ابن عمه فيروز

(١) وذلك سنة ٦١٦ هـ ، وكان مقر الخلافة اذ ذاك في بغداد . (الخلافة والهند للسيد سليمان الندوي) .

تعلق (٧٥٢ - ٧٨٩ هـ) الذي تولى الامر بعد وفاته ، كما سيأتي (١) .

ويؤيده ما جاء في رحلة ابن بطوطة في هذا الشأن . وهاك نصه :
« وكان السلطان قد بعث هدية الى الخليفة بديار مصر ابي العباس وطلب
ان يبعث له امر التقدمة على بلاد الهند والسند اعتقاداً في الخلافة .

فبعث اليه الخليفة ابو العباس ما طلبه مع شيخ الشيوخ بديار مصر
ركن الدين . فلما قدم عليه بالغ في اكرامه وأعطاه عطاء جزلاً . وكان يقوم
له متى دخل عليه ويعظمه » (٣ : ٩ - ٢٤٨) .

والذي أوردناه الآن في هذا الشأن بما ذكره صاحب سيرة فيروز
شاهي وابن بطوطة يدل من غير شك على ان محمد تعلق كان ينظر الى مقام
الخلافة الاسلامية بعين التجارة والاكرام ويعدها رمزاً للوحدة الاسلامية .
وكذلك يظهر ما كان في قلبه من حب العباسيين ومقامهم الاسمي ،
ماسرده ابن بطوطة (٣ : ٢٥٨ - ٢٦٦) من قدوم الامير غياث الدين
محمد بن عبد القاهر بن يوسف بن عبد العزيز بن المستنصر بالله العباسي
الى الهند ومالقيه من الحفاوة والتكريم من الملك ورجال حاشيته .

ومهما يكن من شأن الخلافة العباسية « الاسمية » في مصر وكونها
عزلاء لا تحرك ساكناً ولا تمحو باطلا فان مظاهر التحية لمقام الخلافة
والعطف على سليل الاسرة العباسية من قبل صاحبنا انما انبعثت من روح
اسلامي وفكرة دينية جامعة تتمنى أن ينضوي مسلموا العالم الى كنف

(١) تلخيصاً من سيرة فيروز شاهي (المخطوطة الوحيدة في الخزنة الشرقية ببلدة بانكي بور
(عظيم آباد) ص ٢٨٠ - ٢٨٥ .

الخلافة ويجتمعوا تحت لواء واحد . ولم يكن وراء ذلك مطمع لناظر
في ذلك العصر ، حينما تبدد شمل بني الاسلام وتمزق جمعهم واصبح أمرهم
شذر مذر .

وكذلك يرشدنا ابن بطوطة (٣ : ٣ - ٢٥٢) الى أنه كان على
صلة بتلامذة شيخ الاسلام أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني (ت سنة
٧٢٨ هـ) .

وحسبك شاهداً على ذلك أنه قد ورد الهند في زمنه الشيخ عبد
العزيز الاردبيلي فرحب به الملك خير ترحاب واكرم مثواه . وكان
الشيخ عبد العزيز هذا من أخذ عن ابن تيمية (ت سنة ٧٢٨ هـ) وجمال
الدين المزي (ت سنة ٧٤٢ هـ) والحافظ الذهبي (ت سنة ٧٤٨ هـ) . فلا
غرو اذا استفاد الملك ورجال حاشيته من علمه وأفاد الشيخ من اتصل به
من العلماء والطلاب وأخذ بيد السلطان وشد عضده في رفع شأن السنة
وازهاق باطل البدع^٢ .

(١) قال ابن بطوطة [٣ : ٢٥٢] : « كان عبد العزيز هذا فقيهاً محدثاً قرأ بدمشق على
تقي الدين بن تيمية وبرهان الدين بن بركج وجمال الدين المزي وشمس الدين الذهبي
وغيرهم . ثم قدم على السلطان فأحسن اليه واكرمه . واتفق يوماً انه سرد عليه احاديث
في فضل العباس وابنه وشيئاً من مآثر الخلفاء اولادها فاعجب ذلك السلطان لحبه
بني العباس وقبل قدمي الفقيه الخ .. »

(٢) حينما نقرأ ما كان من صلته بتلامذة ابن تيمية ومخالطته لهم ، نحسن الظن به ونرجوان
يكون قد ادى عملاً يذكر في سبيل إعلاء كلمة الدين . لكن مادونه البرني في (تاريخ
فيروزشاهي) عن زيارته لقبر بعض الاولياء وإهدائه النذور لهم وغيرهما من المنكرات
« Elliot : III 249 » يناقض ذلك الرأي وعلى كل فلما لا ريب فيه انه كان
يلتهب غيرة على الدين على ما به من تطرف ونزق في الطبع .

ومن مزاياه التي امتاز بها من بين أقرانه وفاق من تقدمه من ملوك الهند أنه ارتوى من معين العلم ارتواء وضرب فيه بسهم رابح (١) .

ب - فيروز تغلق (٧٥٢ - ٧٩٠ هـ)

تولى الامر بعد وفاة ابن عمه محمد تغلق ، المتقدم ذكره . فرأت البلاد منه ملكاً صالحاً يعطف على الرعية ويعني بأمور صلاحهم .

والذي يهنا من أمره وأعماله خلال اعتلائه عرش الحكومة أنه شمر عن ساعد الجد لرتق الفتوق وإصلاح المفاسد التي ظهرت في المجتمع الاسلامي الهندي منذ قرون .

والذي يظهر لنا من دراسة تاريخ ملوك الهند المسلمين والبحث في ماجريات ممالكهم ان فيروز تغلق هو اول من شعر بواجبه منهم في سبيل اقامة الدين ورفع كلمته .

نقول ذلك ، وقصينا آنفاً ما كان لابن عمه محمد تغلق (٧٢٥ - ٧٥٢ هـ) من الاعمال والخدمات التي تؤثر ، لانه قد انكسفت شمس أعماله بما ظهر منه من تجاسر على اراقة الدماء وقتل الابرياء من النفوس لغير ماسبب .

أما فيروز تغلق ، فكان ملكاً عادلاً صالحاً لم تظهر منه بادرة تزري بسيرته في رعيته وسياسته في مملكته ، على انه قد أتى في سبيل إعلاء كلمة الله ورفع لوائها من الاعمال الجليلة بما لم يأت به أو بما يضاويه أحد من تقدمه من الملوك المسلمين .

(١) راجع الفهرس المشروح « Catalogue Raisonné » للخرينة الشرقية في بانكي بور (٧ : ٢٧) -

فهو نظير نفسه ونسيج وحده في هذا الباب ، لا يشق له فيه غبار .
ومن حسن الحظ أن لدينا كتباً (١) عديدة في تاريخ الهند خاصة
بسيرة فيروز تغلق وعصره ، من أهمها فتوحات فيروز شاهي الذي هو
سجل لاعماله الخالدة وخدماته العظيمة التي قام بها ، وقد دونها بقلمه وأمر
بإثباتها - بالنحت والحفر - في جوانب القبة العليا من الجامع الشاهق
الذي شيد ببناءه في فيروز آباد . وهاك موجز ماقال بهذا الصدد ، رحمه الله
وجزاه عن الاسلام والمسلمين خيراً . بدأ الرسالة بحمد الله سبحانه تعالى
والثناء عليه بما وفقه « لاحياء السنن السنية وقلع البدع ودفع المنكرات
ومنع المحرمات » وأردفه بالصلاة والسلام على سيد البشر ، نبي الله ﷺ
« الذي بعث لرفع الرسوم والعادات » وعلى آله وصحبه الاخيار الذين
بمساعيهم المشكورة ماتت الجاهلية وعوائدها « ...
ثم شرع في سرد ما وفقه الله له من ازهاق الباطل وبحق البدع

(١) عندنا اربعة كتب تبحث في عصر فيروز تغلق مما صنفه من عاصره من المؤرخين منها
فتوحات فيروز شاهي ، الذي هو من نسج الملك فيروز تغلق نفسه . وهو كتيب صغير
أودعه الملك ماتسني له اداؤه من اعمال عظيمة وما تيسر له من خدمات جليلة في سبيل التجديد
من امر الدين واصلاح ما فسد منه . وقد طبع في (على كره) مع الترجمة الانكليزية .
اما الثلاثة الباقية ، فها هي :-

- ١ - تاريخ فيروز شاهي (ضياء البرني) - ألم بالسته اعوام الاولى من حكمومه .
- ٢ - تاريخ فيروز شاهي (شمس سراج عفيف)
- ٣ - سيرت فيروز شاهي (من كرائم مخطوطات الخزانة الشرقية في بانكي فور) ،
لا يعرف مؤلفها . وهي تؤيد وتعضد ماجاء في فتوحات فيروز شاهي من أعمال
الاصلاح والتجديد وكذلك يذكر شمس سراج عفيف ايضاً شيئاً كثيراً من خدماته
الدينية واشتداده في هذا الشأن .

والمنكرات وعددها عدداً ، نذكرها في ما يأتي ، متوخين الاجياز جهد الطاقة .

« قد جرى العمل في هذه الديار منذ برهة من الزمن ان المسلمين يعاقبون فيها بأنواع مخزية من العقاب كقتل النفوس البريئة واراقة الدماء الذكية من غير ماذنب . وقطع الأيدي والأرجل من خلاف وجذع الأنوف والآذان وسلخ الجلود الى غيرها مما تقشعر لهولة الجلود ولا يسمح به الشرع . كان من تقدمني من الملوك يقدمون على هاتيك العقوبات الشنيعة ويتعاطون هذه المنكرات زعماً منهم أنها أوقع في النفوس وأضمن لبقاء مملكتهم وأردع لمن يرى الخروج عليها ، الا ان الله عز وجل وعز سبحانه قد أنعم على هذا العبد بان اخذ الرجاء موضع الخوف من قلوب الناس والامن انتشر ظله على البلاد وتعوضت النفوس من الجرأة على المملكة العطف عليها فلم تبق حاجة الى « التعذيب والقتل والضرب والايلام » وذلك فضل الله يؤزره من يشاء من عباده . فشكراً له تعالى ان اسبغ على عبده الحقير من نعمه ، نعماً ظاهرة وباطنة . فلاعقاب اليوم بمثل ماجرى به العمل في سالف الزمان .

وانما يعاقب اليوم من اعتدى على شيء من حدود الله حسب ما يقتضيه الشرع فيجري القضاء بحيث لايجيد عن حدود الشريعة ولا قيد شعرة .

(٢) ومن نعم الله تعالى على عبده هذا ان امر بذكر اسماء الملوك السالفين الذين سعوا سعيهم في نشر الاسلام في هذه البلاد بتدوين الممالك وتخصير الامصار وتأسيس بنايات المساجد وغيرها من صالح الاعمال امر بذكر اسمائهم في خطب ايام الجمعة والاعياد من فوق المنابر والثناء عليهم

بما يستحقونه من المدح والدعاء لهم بالمغفرة والرضوان .

(٣) ومن أيادي الباري تعالى شأنه ان العاجز قد الغي جميع الضرائب (١) والرسوم والجمارك التي كانت تأخذها الحكومات السابقة جوراً وعنفاً ويدخرها العمال في بيت المال بما لم يسمح (٢) به الشرع ولم يكن له أصل في الكتاب والسنة .

وكذلك أمرنا بعقاب كل من يجترئ على ذلك في مابعد من امراء الولايات وعمالها ، وان لا يجمع في بيت المال من الاموال الا ما اخذ بطريق من الطرق المشروعة كالخراج والعشر والزكاة والجزية على الهناك وخس الغنائم والمعادن وغيرها مما يحيزه الشرع ويرشد اليه الكتاب والسنة . (٤) قد أمرت الخليفة السمحاء في المغانم ان يرصد خمسها لبيت المال والباقي يوزع بين الغزاة والمجاهدين ، لكنهم قبلوا (٣) الامر وجعلوه

(١) جاء في فتوحات فيروز شاهي (ص : ٥) من صنوف هذه الضرائب القاسية شي كثير وقدها ضريبة ضريبة ، فجاءت كلها ستة وعشرين نوعاً من انواع الضرائب . وقد زاد عليها بعض المؤرخين من معاصري الملك ، فجاءت ثلاثة وثلاثين نوعاً . راجع مقدمة ترجمة (فتوحات) الانكليزية (ص ٨ - ٥) . وانما اعرضنا عن سردها في هذه المقام خوف الملل والاطالة وايضاً راجع (Elliot : ج ٣ ، ص ٣٦٣) .

(٢) ويؤيده ما جاء في كتب التاريخ الاخرى المعتبرة عند اهلها . وقد ذكر Sri Ramsherna في كتابه سياسة المغول الدينية « Religious Policy of mughul Emperors » ان الضرائب غير المشروعة قد ألغيت في عصر الملك الصالح فيروز تغلق عملاً بأوامر الشرع الشديدة . (ص : ٢) . والفضل ما شهدت به الاعداء ، وان كان شرما « Sherma » أراد ان يغض من كرامته بتقيبه بالملك الصالح « Pious »

(٣) قد نسب صاحب مقدمة الترجمة الانكليزية لهذا الكتاب هذه البدعة الى الحاج بن يوسف الثقفي (ت سنة ٩٥ / ٧١٤) وقال انه هو ابو عذرها واول من قلب نص الكتاب العزيز ظهراً لبطن وقد اقتضى لإثره من ملوك الهند علاء الدين الخانجي (٦٩٥ / ٧١٦ هـ) وجري العمل به زمناً طويلاً حتى جاء فيروز تغلق فألغاه الغاء واعاد الماء الى مجراه .

رأساً على عقب بان خصصوا اربعة اخماس الغنائم لبيت المال وقسموا الخمس
الباقى على المحاربين . فلا جرم ان من يتعاطى هذه السوأة الشنعاء يقتترف
جريمة من اكبر الكبائر ..

فأمرنا ان يدخر الخمس في بيت المال والباقي يوزع بين الغانين حسب
ماورد به الامر .

(٥) شرعت الروافض في نشر عقائدها الباطلة ودعوة الناس اليها
واستعانوا في مهمتهم الواهية هذه بتأليف كتب ورسائل . وكذلك تجرأوا
على اطالة لسان القذح في الخلفاء الراشدين وعائشة الصديقة ام المؤمنين
- رضي الله عنهم - والطعن في سائر علمائنا ومشايخنا وقذفهم بالسباب
المقذع الموضع وغيرهما من افعالهم (١) الشنيعة التي يندى لها جبين المروءة
والانسانية ... فأخذناهم باعمالهم المنكرة اخذاً وعاقبناهم عقاباً وامرنا
باحراق كتبهم على مرأى من الناس ومسح حتى انعدمت هذه الطائفة
عن بكرة ابها (٢) .

(٦) ظهرت فئة من الاباحية والملاحدة تدعو الناس الى الزندقة
والاحاد وكان من ديدنهم ان يجتمعوا في الليالي ويتعاطوا الخمر ويحسبونها
تعبداً منهم . وكانوا يأتون فيها بامهاتهم واخواتهم ونسائهم ، يهتكون فيها
اعراضهن ويتجاسرون على اقتراف الكبائر الشنيعة ، ولا يفرقون في ذلك

(١) راجع فتوحات فيروز شاهي ، (ص ٢)

(٢) تبين من هذا ان الشيعة كان قد نجم قرنهما في الهند في المائة الثامنة للهجرة او قبلها ؛
الا انها ما اقبلت وازدهرت واصبح لها صوت مسموع في المجتمع الاسلامي الا في
عصر همايون (٩٣٦ - ٩٦٣) وبعده كما سيأتي بيانه .

بين المحرمات والمحصنات وانما يباشر الرجل منهم كل من وصلت يده
اليهن من النساء المحتشدة في تلك الاندية والليالي . فأمرنا بضرب اعناق
رؤسائهم وشياطينهم وعاقبنا الآخرين بالحبس والجلاء و انواع اخرى من
التعذيب حتى لم تبق لهم عين ولا أثر .

(٧) نبتت جماعة من الملاحدة تظاهرت بالتقشف والزهد في الدنيا .
وكان على رأسهم رجل اسمه احمد البهاري ، يدعي الالوهية وتبعه على ذلك
عدد غير قليل من مريديه ...

فلما تحققنا من خبرهم وعرفنا من امرهم ماصاروا اليه اخذنا رؤسائهم
بذلك وجزيناهم بما يستحقونه من الحبس والتعذيب وشردنا اتباعهم في
البلاد كل مشرد حتى يتخلص العباد من شرهم ويكونوا في مأمن
من ضلالاتهم .

(٨) رجل ادعى النبوة وتلقب بالمهدي في دلهي ، فتبعه خلق كثير
واستفحل امره وعظم شره حتى جيء به اليها فاعترف بالاثم غير هيباب
ولا وجل فأمرنا بقتله وقتل كل من يقتفي اثره وتقطيع لحومهم واجسادهم
اربا اربا . وبذلك جعلناهم مثلاً لكل من ينفخ في أوداجه شيطان الغرور
فيجتريء على الزندقة والاحاد والدعوة اليهما .

فانطقت جذوة الشر ونجا الناس من ضلالاتهم . فالحمد لله الذي تفضل
علي بنعمته ان وفقني لمقاومة تيار الشرور واجتثاث شجر البدع والمنكرات
وهداني الى احياء السنن السنية . فمن استحسن هذه الطريقة واختار لنفسه
هذه الجادة المستقيمة فليخترها وليؤثرها على غيرها . واني ارجو بذلك
حسن الجزاء في الدار الآخرة .

فان الدال على الخير كفاعله « ومن سن سنة حسنة فله اجرها واجر من سار عليها من بعده » كما ورد في الحديث (١) .

(٩) رجل من المتصوفة في كجرات اشهر « بالشيخ » بين اتباعه ومريديه واتخذت نفسه بتوهات الصوفية الوجودية وجعل يجاهر بكلمات هي للكفر اقرب منها للايمان .

وبلغ من سفاهة رأيه وعدم تضلعه في تعاليم الدين ان يقول كلمة (انا الحق) ويشير على مريديه ان يقولوا: «أنت أنت» كلما خرجت من فيه هذه الكلمة (انا الحق) وايضاً كان يقول « انا الملك الذي لا يموت » وكذلك الف رسالة كلها كفر وزندقة . فأمرنا ، فاتي به الينا مقيداً بالسلاسل .

ولما تحققنا من ضلالتة ودعوته الناس اليها ولم يبق عندنا في ذلك أدنى شك عاقبناه بما يستحقه وأمرنا باحراق كتابه الذي ملاء كفرا وضلالاً حتى اندفع هذا الشر ايضاً واصبح المسامون والمؤمنون بتوحيد الله عز وجل في مأمن من هذه الفتنة العمياء .

هذا برض من عد وغيض من فيض من ترهات المتصوفة الوجودية (٢) وأفاويلهم الباطلة المعادية للكتاب العزيز والسنة النبوية ، اطلع عليه

(١) الحديث رواه مسلم ، ومما جاء فيه : « ومن سن في الاسلام سنة حسنة ، فله اجرها واجر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اجرهم شيء . الحديث حسنة أو سيئة » (رياض الصالحين : باب في من سن سنة) - المؤلف

« نص الحديث : من سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اجرهم شيء ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شيء - رواه مسلم .

رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للنووي - ص ١٠٢ - طبعة مصر . المكتبة التجارية الكبرى » .

الناشرون

(٢) الفائتين بوحدة الوجود .

فيروز تغلق فكبح جماحه واراد ان يقضي عليه قضاء لاهياة بعده .

لكن فتنة « وحدة الوجود » وما ينشأ عنها من الضلالات ، كانت قد عمت البلاد وقتئذ واستولت على قلوب المتصوفة واخذت بمجامع الباطن ورسخت في اذهانهم اي رسوخ . وما كان اضهاد رجل واحد منهم وعقابه ليهدأ من ثائر هذه الفتنة او يقل من حدها .

الا ان فيروز تغلق ومن نحا نحوه من الامراء والملوك مجزيون على اعمالهم ونياتهم ، سواء نجحوا في مهمتهم او لم ينجحوا (١) .

(١٠) ومن البدع المنكرة الفاشية التي قضينا عليها وشددنا في امرها زيارة جم غفير من المسلمات للقبور ومشاهد الاولياء ايام الاعياد ، والحال انها محظورة في الشرع . فكيف بهن اذا خرجن من بيوتهن زرافات ووحداً من بين راجلة وراكبة ومتبرجة بزيينة او متقنعة بثوب ، ومن خلقهن جموع محتشدة من اخلاط الناس وأوباشهم ينظرون اليهن اختلاصاً ويقفون لهن بالمرصاد ، كأنهم وياهن متعدون . فاصدرنا الامر للملكي بمنع النساء من تعاطي هذا المنكر وتعزير كل من تتجاسر منهن على ركوب هذا المسلك الوعر من بعد . فالحمد لله الذي انجحننا في هذه المهمة . فلا يمكنهن اليوم ان يخرجن من بيوتهن قاصداً زيارة القبور . فاحت هذه البدعة ايضاً بفضل من الله وتوفيق من عنده .

يتبين مما تقدم الآن من بيان الملك فيروز شاه - رحمه الله ونضروجه يوم القيامة - ان هذه البدعة الشنيعة ؛ اي زيارة النساء المسلمات للقبور

(١) لقد كتب شرما « Sherma » في كتابه المتقدم ذكره ان اصلاحات فيروز تغلق لم تتغلغل في داخل البلاد ولم يكن لها اثر يذكر في القرى والبوداي « ص ٣٠ »

والمشاهد أيام المواسم والاعياد كانت قد انعدمت وتلاشت بمساعيه المشكورة
في المنتصف الثاني من المائة الثامنة للهجرة .

اما اليوم فقد استدار الزمان وتقلبت الحال ظهراً لبطن وعمت البلوى
ويكاد الحرق يتسع على الراقي ، فرحمك اللهم !!

(١١) بلغنا ان بعض اهل الذمة قد تجرأ على تأسيس بنيان ومعابد
لهم جديدة ، فأمرنا بهدم هذه المباني الحديثة و ضربنا اعناق أئمة الكفر الذين
ضلوا واضلوا كثيراً من الناس .

اما عامة اهل الشرك من اتباعهم فاكثفينا بزجرهم وتنبيههم الى مافي
صنيعهم الشنيعة من فساد ونقض لقانون الاسلام (١) (ص : ١٣ - ١١)

(١٢) قد تعود الملوك من قبلي ان يستعملوا أواني الذهب والفضة
ويزينوا موائدهم بما لم يسمح به الشرع من ادوات الاكل والشرب ،
فامتنعنا عن ذلك واكتفينا منها بما أجازة الشرع وأباحه . وكذلك كان
من تقدمني من الامراء والسلاطين يزينون اسلحتهم بالذهب ويرصعونها
بالجواهر الغالية . فأثرنا تركها واتخذنا من عظام الصيد حلية لسلطاننا .

(١٣) ومن البدع الفاشية في سالف الزمان انهم كانوا يصورون
الملابس وادوات الاكل والشرب وسرج الخيول والحيام والاستار

(١) قد سرد الملك فيروز تغلق شيئاً كثيراً عن هدمه للمعابد الجديدة التي بناها اهل الذمة
من رعيته واتي في ذلك بأمثلة من اعتدائهم على حدود الله ومخالطة الجاهل من
المسلمين لهم في عبادة الاوثان ، ضربنا عن ذكرها صفحا ، ومن اراد التوسع فليراجع
« فتوحات فيروز شاه » .
- المؤلف -

وسرير المملكة وغيرها من الاثاث الفاخر - يملأونها صوراً ورسوماً مما ورد به النهي .

فأمرنا بالقضاء على هذه البدعة الشنيعة والاقتصار على ما يسمح به الشرع من صور الاشجار والبساتين والجبال والمناظر البهيجة وغيرها .

(١٤) وكذلك تركنا من الملابس الحريرية والازياء المزركشة المزخرفة ماورد به النهي وقتعنا منها بما أباحه الشرع الشريف ، ولم يبق للمحظورات منها عين ولا أثر « والحمد لله على الاسلام »

(١٥) ومن النعم الجليلة التي انعم بها الله علي ان وفقني لتشييد المباني الخيرية والمساجد والمدارس والزوايا ليلتجئ اليها الزهاد والعلماء والمشايع فيمنجوا فيها ربههم وينقطعوا الى ذكر الله ويخصوها بالعبادة ويدعوا لبانيها بالخير والبركة .

وكذلك امرنا بحفر الانهار والآبار وغرس الاشجار وجعلناها - ومعها اراض اخرى - وقفا في سبيل الله حسب ماورد به الشرع ، وأجمع عليه العلماء ، وصرحنا بذلك في (وقف نامه) حتى يصل ريعها الى من يستحقونه من عباد الله ولا ينقطع ذلك عنهم أبد الدهر .

(١٦-١٧) جدد الملك فيروز تغلق ما اندرس او تهدم من المباني الشاهقة التي اسس بنيانها المملوك الذين خلوا من قبله واعاد بناء عدد غير قليل من المساجد والمنارات والمقابر والقباب والغدران والحياض . وقد افاض في ذلك الملك واسهب في غير طائل ، الا انه يؤخذ عليه تجديد لآبنية القبور ومراقدة المملوك وانفاق الاموال الطائلة وارصاد

الاراضي الواسعة وقفا للمحافظة على مصالحها ومراقبة شؤونها في المستقبل (راجع : ص ١٤ - ١٩) . ومن البلية ان صاحبنا يعد كل هذا من نعم الله عليه والحسنات التي وفقه الله لانجازها .

والحال ان هذا كله بدعة لا اصل لها في الكتاب والسنة .
وانما ورد به النهي (١) صريحاً في الاحاديث الصحيحة بحيث لا يبقى فيه مجال للأروهام والظنون .

(١٨) وبما يسر الله لي انجازه ان اسسنا مستشفيات خيرية لينتفع بها العامة والجمهور من الناس ، لافرق فيها بين فقير وغني . وفيها اطباء يعنون بمن يقصدها من المرضى ويصفون لهم الدواء والدواء .

(١) روي البخاري عن عائشة : قالت لما اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم ، ذكرت بعض نسائه كنيسة رأيها بأرض الحبشة ، فذكرتا من حسننها وتصاوير فيها ، فرفع رأسه فقال أولئك اذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله » البخاري : كتاب الجنائز ، باب بناء المسجد على القبر » وكذلك روى الترمذي عن جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تجصص القبور وان يكتب عليها وان يبنى عليها وان توطأ » كتاب الجنائز : باب كراهية تجصيص القبور :
- المؤلف -

نص الحديث والرواية : حدثنا اسمعيل قال حدثني مالك عن هشام عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها قالت لما اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت بعض نسائه كنيسة رأيها بأرض الحبشة يقال لها مارية وكانت ام سلفة وام حبيبة رضي الله عنهما أتتا ارض الحبشة فذكرتا من حسننها وتصاوير فيها فرفع رأسه فقال أولئك اذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله » فتح الباري بشرح صحيح البخاري - المسقلا في ج ٣ - هامش - باب بناء المسجد على القبر ص ١٦٧ الطبعة الاولى . المطبعة الكبرى الميرية ١٣٠٠ هـ) الناشر

ولها اوقاف ينفق منها على المرضى وأدويتهم وما يحتاجون اليه من الحمية
والاغذية النافعة الناجعة .

(١٩) ومن حسنات هذا الملك العادل التي تذكر بلسان الثناء انه
اراد ان يؤدي الديات عن الذين قتلوا بغير حق في عهد ابن عمه الملك محمد
تغلق (٧٢٥-٧٥٢ هـ) ويرضي ورثتهم بها ويستقذح زناد قلوبهم ويستميل
عواطفهم حتى يعفوا عن الملك المغفور له ويصفحوا عما اصابهم من النكابة
والاذى بيده وقلوبهم مطمئنة بذلك .

فأغدق العطايا عليهم وعلى الذين نالهم مكروه او مستهم جراحة في
العيون او الايدي والارجل وأرضى الجميع بما أدر عليهم من الاموال على
ان يكتبوا بأيديهم للملك المغفور له شهادة الرضا والعفو عما اصابوا في
نفوسهم او ذوي قرباهم . فكتبوا موافقة الرضا عن الملك المرحوم
واشهد عليها رجالاً آخرين ، وأودعها مقبرة الملك المغفور له في جانب
رأسه بعد ما وضعها في صندوق خاص .

(٢٠) وكذلك رد الملك الاراضي المغصوبة الى اهلها . واعلن
للجمهور ان كل من انتزعت من يده ارض بغير حق واستبدت بها
الحكومة او العاملون لها ، له ان يقدم الشهادة او الحجة التي تثبت له حقه
على ارض بعينها فيستردها ويتصرف فيها كيفما يشاء . فالحمد لله الذي وفقنا
للقيام بهذه المبرة حتى ردت الحقوق الى اهلها وعاد الماء الى مجراه .

(٢١) ومن حسناته ان رغب اهل الذمة من رعيته في الاسلام وقام
بواجب الدعوة خير قيام .

ولعله اول من احس بذلك من ملوك الهند المسلمين ، فأعلن للجمهور ،
مثيراً كامن رغبتهم ومستمطراً سحابة تشوقهم ، بان كل من يدخل في
الاسلام من الاهالي ويدين بالله ورسوله تسقط عنه الجزية من فوره .
فبلغ ذلك مسامع العامة وأخذ من قلوبهم مأخذاً حتى جعلوا يدخلون في
دين الله افواجاً . « ولا تزال تأتينا جماعات منهم فتؤمن بالله ورسوله
وتسقط عنهم الجزية ويتمتعون بانواع من الجوائز والنعم التي يمكننا ان
نمتعهم بها وندرها عليهم » فالحمد لله رب العالمين »

(٢٢) ومن نعم الله الخاصة التي أسبغها علينا ان عباد الله ، نفوسهم
واموالهم واعراضهم ، مصونة في دائرة مملكتنا من عبث العابثين ، لاتصلها
ايدي الطامعين ولايجتريء عليها العمال وموظفوا الحكومة ، فلانسمح بان
يؤخذ من احد شيء بغير حق . وكثيراً ماوشى الي بعض الناس بالعمال
والتجار فعاقبنا السعاة والماشين بالنميمة ، حتى يتخلص الناس من شرهم .

« فحسن الاحدوثة وثراء الجود خير من القناطر المقلطرة من الذهب
هل مرة واحدة من الثناء خير ام خزائن الاموال ؟ هل الدعاء مرة واحدة
خير ام آلاف مؤلفة من الدنانير والدرهم ؟

(٢٣) ومن فضل الله على هذا العبد ان حب الفقراء والمساكين قد
رسخ في قلبي وفكرة التودد الى قلوبهم قد تمكنت من اعماق فؤادي ،
حتى انني كلما سمعت بفقيه او صوفي منقطع الى الله في زاويته بادرنا الى
زيارته والانتفاع بدعائه حتى يصدق القول « نعم الامير على
باب الفقير » .

(٢٤) النصيحة للعمال والامراء واعيان الحكومة الذين يتاح لهم ان يبلغوا من العمر عتياً ويستريحوا من اعباء مناصبهم واشغالهم في الدواوين ، ان يتوبوا الى الله ويستغفروه عما عسى ان يكون قد بدر منهم في شرح الشباب وينقطعوا الى ذكره وعبادته .

(٢٥) انعام انجال امراء الحكومة وعماها ونوابها بما كان يتمتع به آباؤهم ، شأن الملوك الخازمين في رعيتهن ومن يستظلون بظل حكومتهم .

(٢٦) ومن افضل النعم على هذا العبد الحقير وأجلها وأرفعها درجة عند الله ، ان وفقني جل شأنه وعز للاتصال بمقام الخلافة العباسية وامثال اوامرها اذ لا يستقيم الامر الا باذن الخليفة ولا يجوز لاحد ان ينفذ أمراً الا بعد ما يتشرف « بمنشور » من عنده بذلك . فصدورت « المناشير » من مقام الخلافة العلية باذن المملكة ونيابة الخلافة وتشرفنا بقلب « سيد السلاطين » من عند امير المؤمنين .

وتتابعت المناشير وما يتبعها من « الراية والطيلسان والخاتم والسيف » هذا برض من عد وقليل من كثير من نعمه تعالى التي أسبغها على هذا العبد وخصه بها .

وانما اردنا بتدوينها في هذا الكتيب تسجيل الشكر له تعالى جل وعز شأنه اولاً ، وترغيب الناس وتشويقهم الى سلوك هذا الطريق وانتقاء هذه الخطة المستقيمة ثانياً ، حتى يستحقوا حسن الثناء في الدنيا وجزيل الثواب في الآخرة وننعم بمزيد المثوبة والاجر « فاق الدال على

الخير كفاعله (١) » .

وهذا آخر ما كتبه الملك فيروز تغلق من اعماله الاصلاحية في كتيبه الصغير الملقب بـ «فتوحات فيروز شاهي» الذي تقدم ذكره . فليكن مختتم كلامنا ايضاً عن هذا الملك المسلم ، رحمه الله وأسكب عليه سجال رضوانه .

ولولا شدة اهتمامه وعظيم عنايته باقامة الدين ورفع كلمة الاسلام لما أرخينا عنان القلم في الاسادة بذكره والتنبويه بمآثره ، فان لكل مقام مقالاً .

سكندر اللودي ١٨٩٤ - ٩٢٣ هـ :

ومن ملوك المسلمين الذين تولوا امر الحكومة المركزية في دهلي ولم يغفلوا عن فريضتهم الدينية سكندر بن بهلول اللودي الذي اعتلى سرير المملكة بعد وفاة ابيه سنة ١٨٩٤ للهجرة .

والذي نعرفه حق المعرفة عن سيرته واحواله انه كان عالماً صالحاً مجباً للعلم والعلماء . وقد ذمه المؤرخ الانكليزي الفنستن Elphinstone

(١) «الدال على الخير كفاعله والله يحب اغائة الايمان» - قال احمد معتوك واورده الذهبي في الضعفاء - راجع فيض القدير الجامع الصغير للناوى - باب كل - واورد مسلم في كتاب الاماره - باب فضل اغائة الغازي في سبيل الله .. «من دل على خير فله مثل اجر فاعله» . - الناشرون -

كثيراً وأُنحى عليه باللائمة الشديدة . والذنب هو ذنب الهمجية والتعصب .
وكذلك عده رام شرما (١) من الملوك المتعصبين امثال محمد تغلق وابن
عمه فيروز تغلق اللذين سبق التنويه باعمالهما .

وهالك اولاً ما كتبه الفينستن : « ... لكنه كان من ملوك الهند
المتعصبين المعدودين . هدم المعابد وبذل وسعه في صد الناس عن زيارة
مدنهم المقدسة والترحال الى مشاهدهم المعظمة عندهم . وايضاً نهى الناس
عن الاستحمام في بعض الانهار . وربما بلغت به الوقاحة والتادي في
الاضطهاد (كذا) الى ابعاد الغايات ، حتى انه ذات مرة لما بلغه ان
برهمنياً يدعي « ان الاديان كلها مرضية مقبولة عند الله اذا سار الناس عليها
وسلكوا مسالكها بدقة واهتمام » ، أنذره بالويل وأجبره ان ينظر
العلماء ويجاذبهم حبل البحث . ثم لما لم يمتنع ذلك البرهمني عن دعوته هذه
أمر بضرب عنقه (٢) .

واتفق أن رجلاً من المسلمين طارحه الكلام في شأن منعه المشركين
من زيارة هياكلهم واراد ان يصرفه عن التضييق في هذه المسألة ، فاستشاط
غضباً واستل السيف صارخاً :

تَبَّأَ لَكَ ! ايها الشقي !! أأنت تريد ان تؤيد عبادة « الأوثان » ؟
فأجاب ذلك المسلم قائلاً : (لا ! والله !! انما اريد ان لايجور الملك في
الحكم على رعيته)

(١) ص ٦٠٥ .

(٢) راجع ايضاً شرما ص ٦ .

وذات مرة كان في احد أسفاره الحربية ، فاذا بفقيه من المتصوفة عرض له في اثناء الطريق مناديا اياه كما ينادي العبد ربه ، فأجابه الملك قائلاً : « أدع (الله) الذي يعطف على رعيته دائماً ولا يغرب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الارض (١) » .

ويؤيد ذلك ما جاء في مقال لكتاب هندي في هذا الشأن (٢) :

« يظهر ان فيروز تغلق لم ينجح في مساعيه الاصلاحية نجاحاً تاماً » لان سكندر اللودي بذل جهوده من جديد في القضاء على بعض البدع التي شدد في شأنها فيروز تغلق من قبل »

وكذلك جاء في تاريخ داودي — الذي هو المعتمد عليه عند الجميع في تاريخ اللوديين : « كان مساماً متحمساً صادق النزعة . وقد أصر على هدم عدة معابد للهنداك الوثنيين . ودمر المعابد والمشاهد في متهرا — كعبة الوثنيين ومهوى قلوبهم — وحول بعضها الى المدارس والرباط . » (ج ٤ ص ٤٧ Elliot) .

« اعطى المشركين اراضي مبعثرة في بلاد شتى ورتب الامور على منهاج ساعده على ازدهار الثقافة الاسلامية ، وتقلص ظل العادات الجاهلية

(١) تاريخ الهند لألفينست « بالانكليزية » : الطبعة السابعة ، ص ١٩

(٢) مقالة الكاتب الهندي S. N. SEN « الزنادقة المهون والهندكية

Hinduism And Mohammedan Heretics . المنشورة في كتابه :

«دراسات في تاريخ الهند» . Studies in Indian History المؤلف —

(ص ٤٤٧) . . قد منع الاحتفال السنوي (سالارغازي) منعاً باتاً ،
ونہت النساء عن زيارة القبور » (ص ٤٤٧)

حقیقة مرة ومنکرات اخرى الملوك

هذا ، والذي ذكرناه في ماتقدم بشيء من التفصيل عن اعمال الملوك
محمد تغلق (٧٢٥ - ٧٥٢) وابن عمه فيروز تغلق (٧٥٢ - ٧٩٠ هـ)
وسکندر الودي (٨٩٤ - ٩٢٣ هـ) وخدماتهم للدين ومساعدتهم الحسنة في
سبيل رفع كلمة الدين ونشر تعاليم الاسلام ، يدل على ان هؤلاء الملوك
كانوا يحسون في قلوبهم ميلاً الى الدين ولم يمنعهم مانع (٢) التجب الى سكان
البلاد عن كبسج جماع البدع وكسر سورتها اذا وضحت لهم المحجة وتبينت
الجادة المستقيمة . لكن البلية ، كل البلية ، هي اما جهلهم بقوانين الاسلام
الحربية او عدم معرفتهم بتعاليم الدين الحقيقية ، فرما كانوا يتعاطون اعمالاً
ويرتكبون اشياء لم يسمح بها الشرع وماورد بها شيء في كتاب الله
وسنة نبيه .

(١) يعتقد هذا الاحتفال السنوي الى هذا اليوم ويرتكب فيه من البدع والخواش ما ليس
له أدنى علاقة بالاسلام . وضعت على إيلة أن كل هذه البدع والمنکرات تترف باسم الدين .
(٢) هذا ما ذكرناه عن ثلاثة ملوك مسلمين في الهند . والرابع منهم سوف يأتي ذكره في
موضعه ؛ ألا وهو ابو المظفر محي الدين عالم كبير اوزنك زيب « ١٠٦٨ - ١١١٨ هـ »
أفوام شكينة واصلهم عزمية وارجهم رأيا . لكن هؤلاء الملوك الاربعة ما كانوا الا
بدعاً بين ملوك المسلمين في الهند ، ولك ان تقدر ما كان لهم من تأثير في تغيير مجرى
الافكار او تسيير دفة المملكة بما كتبه احد معاصرينا المسلمين في هذا الباب : «...هكذا

ومن هنا يتبين الفرق العظيم بين الفاتحين الأول من العرب وبين الذين وردوا الهند من الثغور الشمالية الغربية .

هذا محمد بن قاسم الثقفي حامل الراية الاسلامية في السند وماجاورها من الاقطار لم يأت في جميع غدواته وروحاته الحربية بشيء ، تأباه الشريعة الاسلامية . وذلك انه ومن صحبه من غزاة العرب كانوا قد شاهدوا بأعينهم ما أحدثه الاسلام من سنة حسنة في معاملة اهل البلاد المفتوحين والرفق بهم وحفظ ذمامهم وما قدمه دين الحق من نموذج صالح للغزاة

كانت حال الممالك في الهند . ومن البين المعلوم انه لم يكن هناك متسع لملك ضمن دائرة هاتيك الممالك ان يكون خادماً للدين مدافعاً عن حوزته . لا جرم ان السلطين، الدينية « Church » والدينية « State » كانتا في يد واحدة ؛ لكن السلطة الدينية كانت خاضعة للسلطة الدينية الفاهرة والمصالح العاجلة المادية « Material Well - being » اللهم إلا بعض الملوك - امثال فيروز تغلقى وأورنگ زيب - سمعوا بعض الشيء في التوفيق بين الشرع وتدبير المملكة وجعل السلطة الملكية خاضعة لاوامر الشرع ؛ لكن سياستهم ما أتت يجدوى ولم تنفعهم في شيء ، ان لم نقل انها اضرّت بالمملكة . وذلك ان الهنادك ما كانوا ليرضوا بأن يستظلوا بظل مملكة مستندة الى قوانين الشرع ، وان كانت تلك الممالك الاسلامية بلغت منتهى شأو المرقى في اقامة العدل والحكم بين الناس بالقسط . انتهى ما اردنا نقله من قول معاصر لنا مسلم . وهذا لا يحتاج الى انتقاد او ابداء رأي من عندنا . فالامر واضح ليس عليه غبار . راجع .

Some Cultural Aspects of Muslim Rule in India

السيد محمد جعفر ، المطبوع سنة ١٩٣٩ . - المؤلف -

وقواد العساكر في البلاد التي دانت لهم رقاب اهلها واستظلت بظل
الاسلام الوارف .

اما هؤلاء المساكين الذين دخلوا الهند وحملوا عليها من الجهة الشمالية
الغربية ، فلم يكن لهم اشتغال بالكتاب العزيز والسنة النبوية الا قليلا .
وانما كان جل همهم في الفقه - أريد به كتب المتأخرين من فقهاء الخنفية -
وفروعه . فبقوا في معزل عن تعاليم الاسلام الحق ولم يتسن لهم ان يرتووا
من مناهل الدين العذبة ويعيونها الصافية من أكدار البدع ومنكرات
الاعاجم . فذاقت البلاد - ولا تزال تذوق - وبال جهلهم وتكبرهم عن
محبة الحق . وهناك نماذج اخرى من المنكرات التي اقترفها بعض ملوك
الهند بمن حملوا على الهند وامتلكوا ناصيتها وأظهروا للبلاد أنهم بذلك يخذمون
الاسلام وينشرون محاسنه ومزاياه .

هذا الامير تيمور (ت سنة ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م) كبير (١) اسرة
ملوك المغول في الهند ، يحمل على الهند وفيها ملك من آل تغلق الاجباد ،
ولم يمض على وفاة فيروز تغلق الا عشر سنين ، رافعاً علم الجهاد الاسلامي ،
ومعلنًا للناس الدواعي التي حفزته الى مكابدة مشاق السفر الشديدة
والحلمة على الهند :

(١) قد ذكرنا سكندر اللودي « ٨٩٤ - ٩٢٣ هـ » الذي ملك الهند بعده بكثير ، من
قبله ، لمائة حياته وتمثل اعماله بأعمال العاهلين المسلمين من آل تغلق فأثرنا ذكر الثلاثة
المتنازين بتدبيرهم في طراز واحد . أما تيمور فبدأ السير من سمرقند في رجب سنة
٨٠٠ ، واستولى على دهلي عاصمة الهند في الثامن من ربيع الآخر سنة ٨٠١ هـ
« راجع : ٣ : Elliot : ٤٠٠ و ٥٠٢ » .

« والغرض من حملتي على الهند وتجشم وعناء السفر ينقسم الى نوعين :
 الاول مقاتلة عبدة الاوثان الذين هم اعداء الاسلام . وثاني اثنين يتعلق
 بحطام هذه الدنيا الدنيئة . وهو ان يدخر الجيش الاسلامي ما يتيسر له
 ينهب اموال عباد الاوثان وسلبهم اياها . (ج ٣ ص ٤٦١ :
 Elliot) .

فماذا يقول في هذا الجهاد العلماء من المتبوين عرش الافتاء في سائر
 انحاء العالم الاسلامي .

هل يعد هذا القتال من الجهاد الشرعي المقبول عند الله الموعود عليه
 بنعيم الجنة . ورضوان من عنده تعالى شأنه ؟

ومن غريب المصادفة ان المسلمين والهنادك في بلدة بهتنيير (Bhatnir)
 قاتلوا جيش تيمور متحدين في ما بينهم ، تحت لواء واحد . فأصدر هذا
 (المجاهد الشهير) فتوى بتكثير اولئك المسلمين الذين جاذبوه
 حبل القتال :

« ... الآن قد ساءت حال المسلمين والمشركون في الحصن ، فأدخل
 المشركون اهلهم واولادهم في بيت وأحرقوه . والذين يتسمون منهم
 بالمسلمين ، والحال انهم خلعوا ربقة عن اعناقهم ، هم ايضا اقتفوا اثر
 المشركون وقتلوا نساءهم واولادهم ثم استماتوا في الدفاع حتى قتلوا عن
 آخرهم (ص ٤٢٦) » .

لا جرم ان اولئك المسلمين الذين ذكرهم تيمور واسار الى قتلهم بأيديهم
 نساءهم واولادهم قد اتبعوا سنن آبائهم الوثنيين ، كما ذكرنا في بدء هذا

الكتاب ولكن قل لي بالله ، ايها القاريء ، ماذا نقول في الذين تتبعوا
سنن جنكيز وهلاكوا في قتل الابرياء وتدمير المباني واحراق المدن ولم
يفرقوا في ذلك بين من آمن بالله ورسوله ومن كفر به ؟

لقد تشدق تيمور في ملفوظاته (١) غير مرة « بانه لم يسق جيوشه
الجرارة الا لقتال المشركين وعبدة الاصنام » ، لكنه وجنوده لم يفرقوا
في سفك الدماء وانتهاب الاموال بين الوثنيين وجيرانهم المسلمين
وقد ذكر بنفسه عن جماعة من المسلمين والقضاء على حرakatهم المفضية
الى قتل النفس واذاعة النفائس ما يأتي :

« كانوا قد تسموا بالاسلام ولم يكن لهم حظ من الدين القويم . قد
بلغوا الغاية وتجاوزوا الحد في السرقة وقطع الطريق ، بحيث لا يقدر احد
ان يضارعهم فيها » .

هذا ما ذكر تيمور عن لصوص وقطاع للطرق منتمين الى الاسلام .
وهاك مادونه هذا « المؤمن الصادق » عن زيارته لقبر الشيخ فريد
كنج شكر احد اقطاب الصوفية وكبار مشايخهم المدفونين في هذه
الديار (ت سنة ٦٧٠ هـ) :

أثبتت ان مشهد الشيخ العارف بالله فريد كنج شكر رحمه الله في
هذه البلدة فبادرت الى زيارته وقرأت هناك الفاتحة وتلوت أدعية اخرى ..
وسألت روحه الطاهرة النجاح والظفر (ص ٤٢١) « .

(١) مجموعة من اقواله وسيرته بقله : ج ٣ ، ص ٤٧٧ - ٣٨٩ : Elliot

فقل لي بالله هل يبيح الشرع مثل هذه المنكرات من الاستعانة
بالقبور وأرواح الصالحين ??

وجملة القول ان الملوك الذين تبؤوا العرش قبل القرن العاشر
للهجرة ، لهم بعض الاعذار في عدم استمساكهم بعروة الاسلام في كل
غزالة والتجائم الى حظيرته في كل طارئة لان تعاليم الاسلام الصادقة
ما كانت قد انتشرت اذ ذاك وما تعممت معارفها الحكيمية وقتئذ . وان
نبغ منهم احد يلتهب غيرة على دين الحق واراد ان يرتق منه ما فتن ويرأب
الصدع فلن يمكنه ان يبقى ثابتاً على جادة الحق ، ومواظباً لحطة الصدق
لانعدام وضوح المحجة وتضارب الآراء وتشعب الافكار .

ومن ثم ما استطاع ان ينفع بجهوده المسلمين نفعا يرتجى من ممتلك لخاصية
الامر ، آخذ لزامه بيده ، وكذلك ما ازدهر للاسلام في عصره مجد
ومارفع لدعوته لواء لعدم كونه متضلعا من دقائقه عارفاً
لأسراره ودقائقه .

تهاون العلماء والمشايخ

وعلى كل فان الملوك ، على ما بهم من التهاون في أمر الدين والانصراف
الى توطيد دعائم المملكة ، قد سعى بعضهم في درء المفاصد وازالة بعض ما انتحل
الناس على الدين ودفع ما التبس على أهله من البدع والمنكرات والاخلاق
الذميمة المناقضة لروح الاسلام . لكن العلماء والمشايخ ما قاموا بما كان
عليهم من واجب الدعوة وبث محاسن الدين المبين وتطهير عيونه الصافية

من ادران الجهل والبدع ، وذلك اما لانعدام جماعة من العلماء متضلعة
بعالوم الكتاب والسنة . مضطلة بأعباء الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر ، او كونهم في غمرة من كل ذلك واشتغالهم من الفروع والمسائل
التافهة بما ألهمهم عن فريضة الدعوة وجعلهم في معزل عن واجهم الحقيقي .
فما أنبرى لخدمة الدين والدعوة الى الله الاشرذمة قليلة من مشايخ الصوفية
المنبئين في شرق البلاد وغربها .

والذي نراه اليوم في هذه البلاد من اسماء المسلمين وصورهم فالشقص
الاوفر فيه - بعد فضل الله تعالى ووضوح تعاليم الاسلام وملاءمتها للطبيعة
البشرية - لأولئك المشايخ الذين تغافلوا في داخل البلاد واستوطنوها
وارتدوا بأزياء الاهالي وتكلموا بلغاتهم وتشبهوا في اعمالهم ومناهج حياتهم
بفقراء الهنادك المنقطعين الى تعبد آلهتهم حسب معتقداتهم . لكن هؤلاء
المشايخ ، بطبيعة الحال ولا تزوايهم عن الناس وانقطاعهم الى زواياهم لم
يكن ينتظر منهم ان يقضوا على البدع ويكونوا سدأ منيعاً دون تيار
المنكرات التي تسربت الى العقيدة الاسلامية فامتزجت بها امتزاجاً . حتى
التبس الامر على من يتطلب الحق الصراح ويريده غير مشوب بمنكر
ولامزيج ببدعة .

ومن البلية ان قبور اولئك المشايخ أنفسهم اصبحت مرتعاً واسعاً
للبدع وسوقاً نافقة للخرافات والاباطيل يتجر بها من جاء بعدهم من اتباعهم
والذين ينتمون الى طريقتهم . وضعت على ابالة أن بعض أتباعهم المتحمسين
قد تجاوزوا الحد في اختلاق المنكر وترويج البدع فابتدعوا قبوراً لاتضم

بين جوانحها ميتاً وأحدثوا مشاهد للاولياء لا تثبت بحجة ولا يعصدها
برهان وجعلوها تجارة رابحة لا يخشى عليها من كساد السوق وجذب
الزمان ولا يصيبها أدنى ضرر من جراء غلاء المطعم او نزور الملبس .

السيد محمد المهدي الجون بوري ٨٤٧ - ٩١١ هـ

الان وقد عرفت ، ايها القاريء المتبصر ما كان لبعض الملوك من
مساع مشكورة وجهود متواصلة متتابعة في سبيل اعلاء كلمة الدين
وتشيد مباني عزه ومجده ، كأني بك تسألني : « فماذا أداه العلماء في تلك
القرون من واجب تجديد مآثر الدين واحياء مدارس من معالمة ؟ فمن
دواعي الأسف ، والقلب ملؤه الحزن والندم ، انهم لم يأتوا بشيء يذكر
فينوه به في هذا الشأن ، بل كانوا في غمرة من هذا . ووجدوا لأنفسهم
أشغالاً من دون ذلك يعملون لها من التجنب الى العامة والتزلف للملوك
وتكفير بعضهم لبعض ، مما سارت بخبره الركبان ويعرفه القاصي والداني
فلانعرف رجلا من بين العلماء تصدى لمقاومة تيار الزندقة والحادوانبوى
لمقارعة فتن البدع وتببع الشهوات والاهواء غير السيد محمد المهدي الجون
بوري - الذي ادعى انه مهدي آخر الزمان - فالتبس أمره على الناس
وأصبح العلماء والمؤرخون - من معاصريه والذين جاؤوا من بعده - في
شأنه على قسمين ، بين مادح وقادح ، قسم يتجنب الحكم والقطع بشيء في
شأنه ويفوض أمره الى الله . وذلك لما جاء به هو وأتباعه من مساع
جليلة وجهود مشمرة متتابعة لاصلاح ما فسد من تعاليم الدين ومقاومة

مافشا في المسلمين من التهافت على البدع والمنكرات .

وذلك في عصر اتسع فيه الحرق على الراقع وجاوز السيل الزبي وبلغ اضطهاد الملوك للمصلحين مبلغاً تقشعر لهوله الجلود وتزل فيه أقدام الرجال .

وقسم لم يتخرج في تكفير السيد محمد وأتباعه ولم يدخر وسعاً في استئصال شأفتهم . والمحققون ألقوا في الرد على المهديونية الغلاة (١) وتقنيد مزاعمهم الباطلة في منزلة « السيد محمد المهدي » لكنهم آثروا الكف عن اطالة لسان القدح في شخص السيد محمد وتقويض أمره الى الله .

وذكر العلامة صديق بن حسن القنوجي البخاري (ف ١٣٠٧ هـ) نقلاً عن الشيخ علي المتقي (١١٨٥ - ٩٧٥ هـ) « أن رجلاً من اهل الهند ادعى في عصره « المهديونية » وتبعه خلق كثير وظهر أمره وذاع صيته ثم توفي ، لكن أتباعه لا يزالون على عقائدهم (٢) » .

توفي السيد محمد المهدي في أثناء الطريق حين رجوعه من بيت الله الحرام

(١) قد روى بعض النقات ان طائفة المهديونية الموجودة الآن في بعض اصقاع الهند لا تزال معنة في غيها متنكبة عن سواء الصراط . وبالعكس من ذلك أكد لي ايضاً بعض المنتمين الى المهديونية انهم لا يرون هذا الرأي وانهم لا يتألفون اهل السنة الا في الفروع . ويعلم الله أيها اقرب الي الصدق . ولم يتمكن كاتب هذه الاسطر الى الان من التحقيق والجزم بشيء في باهم .

عام ٩١١ هـ ، ثم قام بالدعوة أتباعه لكنهم اضطهدوا (١) اضطهاداً شديداً
قضى على حركتهم في بدء امرها (٢)

همايون وبدعته ٩٣٦ - ٩٦٤ هـ

جاء في فتوحات فيروز شاهي - كما تقدم - ان الملك فيروز تغلق بالغ
في القضاء على الروافض ودعوتهم . ويتبين من ذلك - كما أشرنا اليه ، من
قبل - ان الشيعة قد نجم قرنهما في زمن فيروز تغلق (٧٥٢ - ٧٨٩ هـ)

أو قبله بقليل أو كثير ، لكن الذي لا يختلف فيه اثنان أنها
ما انتشرت في البلاد انتشاراً ولم يكن لها ذكر في الاندية والمجتمعات الا في
عصرهما يون بن بابر (٣) الذي التجأ الى كنف ملك فارس بعد ما غلبه شير

(٢) خلف أباه بابر من آل تيمور سنة ٩٣٩ هـ واستقر على كرسي المملكة . وما كاد
يمضي عليه زمن حتى خرج عليه الافغان في شرقي الهند وعلى رأسهم شير شاه السوري
« ف ٩٥٢ هـ » . فهزم همايون شر هزيمة حتى لجأ الى بلاد فارس ، ثم رجع الى الهند
بعد بضعة عشر عاماً وفتحها ، لكنه لم يلبث ان وافته الاجل المحتوم .

(١) قتل الشيخ نيازي والشيخ العلائي من كبار خلفاء السيد محمد المهدي قتلا مبرحا بأمر
سليم شاه السوري « ٩٥٢ - ٩٦٠ هـ » - المؤلف -

(٣) هو بابر بن عمر شيخ امير فرغانة بن ابي سعيد بن سلطان محمد ميرزا بن ميران شاه
حسين بن الامير تيمور . حل على الهند ، فتابع الكرة ووالى الزحف الى ان كسر
ابراهيم المودي « ٩٢٣ - ٩٣٣ هـ » وطحنه طحناً . وتبوأ عرش الهند وسخر اكثر
بلادها . مات سنة ٩٣٦ هـ ، فخلفه نجله الاكبر همايون . ومما لا يكون ذكراً غير مناسب
في هذا المقام ان كتاب الافرنج أثنوا على بابر ومدحوه مدحاً « لشدة الجلد بدون
تعصب ديني ومع عدم اهتمام زائد بالاسلام » . ومما لا يصح ان ينسب القارئ ان
الشيء الذي تراتح اليه نفس اكثر الاوربيين هو ان يروا الملك المسلم غير شديد التمسك
بدينه . هذا هو مقياس الحب عندهم . راجع « حاضر العالم الاسلامي : ٤ ، ٢٩٨ »

شاه السوري وطحن جنوده طحناً . فأقام هناك بضع عشرة سنة يهيء
عتاد الحرب ويحشد الجوع .

ولما ان رجع الى الهند لانتزاع مملكته من أيدي خلفاء شيرشاه
السوري ، رجع بجنود وعساكر لا قبل لهم بها ، ومعها جنود أخرى
من العقائد الباطلة والالوهام والخرافات المنحولة على دين الحق . فزاد
الطين بلة والطنبور نعمة ، وذلك ان النزعات المعادية المدين ، المناقضة
لروح الاسلام كانت - قبل رجوع هايمون من بلاد الفرس - منحصرة
في نوعين : نوع استقى من ينبوع التصوف الباطل الممقوت ، ونوع جاء
من قبل اقتصار العلماء على كتب في الفقه وفروعه وغفلتهم عن الرجوع
الى الكتاب العزيز والسنة النبوية . (على صاحبها الصادق المصدق الف
تحية وسلام) . لكن بلادنا رमित بثلاثة الاثافي حينما دخلت الشيعة الهند
مستظلة براية المملكة المسلمة (١) وقتئذ ، فكانت فتنة عمياء وجرحاً على
الوحدة الاسلامية أشد وأفكى من غيرها . وما زال يستفحل أمرها
ويشتد خطبها في العصور التالية حتى أصبحت من أعقد العقد استعصى على
الحذاق والدعاة حلها وأعيادها النطاسيين العارفين بأدواء الامة وآلامها .
وسوف نعود الى الموضوع في موضعه ان شاء الله تعالى .

(١) ذكر شرما « Sherma » ان هما يون كان قد وعد ملك فارس بتشجيع مذهب
الشيعة في الهند « راجع ص ١٩ » .
- المؤلف -

الفصل الثالث

عصا الفضالة

ماء السوي وملحن بجرده طيناً . فأقام هناك بضع عشرة سنة فيها
عاد الحرب وبجهد الجوع .

ولما ان رجع الى الهند لانتزاع ملكته من أيدي خلفاء بنو سياه
السوي عرجع بجنود وسائر لاقبل لهم بها ، ومنها بجره السوي

من المعزات الباطلة والأوهام والخرافات المنحولة على دين الحق . فراد
العلماء والطوبى بفساد ، وذلك ان التزعات العادية الدين ، المناقضة
لروح الاسلام كانت قد قبل وجوع عابون من بلاد الفرس - منحصرة
في نوعين : نوع استقى من ينبوع التصوف الباطل المفقوت ، ونوع جاء

من قبل انصار العالم على **بسم الله الرحمن الرحيم**

الى الكتاب العزيز . والسنة الاولى من الهجرة النبوية الصادق المصدق الذي
نحيا وصلاح . لكن بلادهم ميت مثالة الا في حينها دخلت الشيعة الهند
مستطد برأية الملكة السوي . فكانت سنة مائة وجرعاً على
الوحدة الاسلامية . ثم انما في من قوما . وما زال يستعمل أمرها
ويشدد خطبها في العصور التالية حتى أصبحت من أهدد العقائد استعصى على
الطفاق والتفاعة حلياً وأحياناً دأوباً الطائفة المارونية بأموالهم ولامها .
وسوف نورد الى الموضوع في موطئنا ان شاء الله تعالى .

تاليف

(١) ذكره في "Sherman" ان ما يوثق كان قد وعد ملك فارس بشيخ مدني
الشيعة لياخذ . وراجع من ١٩ . - المؤلف -

الملك أكبر ٩٦٤ - ١٠١٤

قد عرفت بما تقدم ان معظم ملوك المسلمين في الهند ما اعتنوا بدعوة الاسلام اعتناءهم بتوطيد دعائم ممالكهم . ومن ثم نرى ان الذين أسلموا من المشركين وعبدة الاوثان على يد الصوفية والوعاظ بقيت عقائدهم واعمالهم بمتزجة بمعتقدات البراهمة وشعائريهم . وما زالت الحال كذلك حتى تبوأ عرش المملكة أكبر بن همايون بن بابر سنة ٩٦٤ هـ ، بعد وفاة أبيه فانقلبت الارض ظهراً لبطن وتذكرت وجوه الاعميان والامراء للدين الحنيف وطمى سيل الاحاد وطغى ونجم قرن الفتنة وطال . فكانت فتنة عمياء وداهية دهواء ، ذهبت بكثير من العلماء والمشايع في سيلها الجراف * . وذلك ان الملوك الذين مضوا قبل أكبر ما كانوا ينصبون العداء (١) للدين الحنيف ، ان لم يكونوا من أنصاره . لكن عصر هذا

(١) لم نسمع بملك من ملوك المسلمين - قبل أكبر - اراد ان يحدث ديناً جديداً او سعى في القضاء على دين الحق ، غير ما يروى عن علاء الدين حسين شاه « ٨٩٩-٩٢٧ هـ » ملك بنغال «مقاطعة كبيرة في شرق الهند» من انه اراد ان يرغب الناس في عبادة سنيتهير ستيه معناه « وشنو » احد آلهة الوثنيين و « بير » معناه الشيخ - راجع :

Cultural Fellowship in India By Atulnanda Chakarbarti p. 25

- المؤلف -

آ - سيل جراف بمعنى شديد يخيف ما امامه وهي اصح من جارف التي جرت بها الاقلام
ب - نصب له عاداه ونصب له الحرب اعلنها وناصبه الشر اظهره له . - الناشرون -

الملك - أكبر - قد تقرد باضطهاد الاسلام والتضييق على المسلمين واختلاق بدع ومنكرات شنيعة وانتحالها على الدين المبين . ومن الغريب ان المؤرخين يسمون عصر هذا الملك المغرور « بالعصر الذهبي » - وما أجدره ان يسمى عصر الضلالة - لان موطن المدح عندهم هو الضعف الخلقى والانحلال الديني .

وحينما وجدت الكفار والمشركين واتباع الاهواء والشهوات يدحون رجلا من المسلمين ويبعثون ويعيدون في اطرائه فاعلم بأن الرجل قد أتى من قبل دينه وأصابه شيء من الوهن في عقيدته .

تبوأ الملك أكبر سرير الملك وهو حدث لا يكاد يتجاوز الثالثة عشر من سني عمره ، فتاب (١) عزه أمير شيعي اسمه بيرم خان (ت سنة ٩٦٨ هـ) بضع سنين .

ثم لما بلغ أشده واستوى ، أخذ زمام الامر بيده واستقل بالملك . وكان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة ، نشأ على حب الاستطلاع ، فجمع جملة من المشايخ وجعل يناقشهم في مسائل الدين ، فبدأ يجنح الى أن

(١) عين عبد اللطيف معلله ، وهو رجل كان يرمي بوهن العقيدة وينسب الى الشيعة . وايضاً عين بيرم خان - بصفته وصيا على العرش - الشيخ كدائي احد علماء الشيعة صدر الصدور - وهو منصب ديني يضارع وظيفة شيخ الاسلام - في الدولة العثمانية التركية - للمملكة .
- المؤلف -

الاديان كلها حق . ولا مزية للاسلام من بينها ولا فضل له على غيره .
وكانت هذه النزعة الجديدة توطئة لما أعلن من بعد من تأسيس دين جديد
واعترامه القضاء على الاسلام ، كما سيأتي مفصلاً .

ثم تقدم خطوة أخرى بتزوج الأميرات الوثنيات من بيوتات
الشرف والمجد في الهند واباحته لهن الاستمساك بعقائدهن وعبادة الاوثان
في داخل القصر الملكي .

وكان هذا الزواج من أكبر الدواعي التي أفسدت عليه عقله في
أمور الدين . فان أزواجه الوثنيات ما دخرن جهداً في تهنيده وصرفه عن
وجه الحق ومنهج الصواب .

فبنيت المعابد ونصبت الاصنام والتماثيل في القصر الملكي ، وجعل
أهله رجالاً ونساء يحتفلون بأعياد المشركين وجعل أكبر من ديدنه أن
يقوم تكريماً للشموع والقناديل حينما تضاء مساء الى غيرها من الاعمال التي
أصبح بالعمل بها أقرب للوثنية منه للاسلام .

علماء السوء في عصره

وبما شجعه على ذلك ، هو تشاجر علماء السوء في ما بينهم وتهافتهم على
حطام الدنيا الدنيئة وجمودهم على ما وجدوا عليه شيوخهم وآباءهم .

وقد تقدم آنفاً أن الملك نشأ على حب الاستطلاع - وكان أمياً -
فعقد مجلساً سماه بيت العبادة (عبادت خانه) ودعا اليه العلماء من كل

طائفة من السنة والشيعة والبراهمة واليهود والنصارى والمجوس . ولما جرى الكلام بين يدي الملك وتجادبوا حبل الحديث ، ظهر له ان علماء المسامين جامدون على ماورثوه من مشايخهم من مسائل الفروع ، منقسمون في ما بينهم لا يكادون يتفقون على شيء .

ولم يكن هذا الخلاف منحصراً في دائرة الفروع ، بل وبالأأسف كانت آراءهم ومذاهبهم متضاربة ومتشعبة في اصول الدين ايضاً . وبما يسيل له القلب حزناً ودمماً من أمر علماء السوء اولئك ، ان اول نزاعهم بين يدي الملك كان على تبوء المقاعد والدنوم من مجلس الملك ، كل منهم يود ان يكون من الملك على قاب قوسين او ادنى ، ولا يكاد يرضى ان يؤثر غيره عليه .

ولو كان لهم رأي وابعاء في نفوسهم وشرف في خلقهم ، اصبروا على أمر تافه مثل هذا ولم يبدوا لمن حولهم ما في نفوسهم من حب الدنيا والانانية . ولما ارتفعت أصواتهم وانكشفت سوءات أخلاقهم وعلا صرختهم بين يدي الملك ، أمر باخراجهم من مجلسه وجعل يسيء الظن بالدين الذي لا يعرف حملته حتى ولا آداب الجلوس والأخذ بأهداب الكلام . وما ظنك بالذين يقول أحدهم - وهو الحاج ابراهيم السرهندي - ان الثياب المصطبغة باللونين الاحمر والاصفر ، لا بأس بها للرجال . ثم يقوم آخر منهم وهو سيد محمد مير عدل (١) - فيرد على الاول

(١) مير عدل ، معناه رئيس العدل او حارسه . وكان هذا لقبه الرسمي . ومنصب مير عدل كان عبارة عن رئيس مصلحة الاحتساب الشرعي . وذكر بعض المؤرخين ان مصلحة الاحتساب الشرعي قد فقدت بهاءها واضاعت حسن سمعتها بعد محمد الامر وهوي هذا .

وينكر عليه قوله ويشتمه بين يدي الملك شتماً .

وجملة القول ان الشيوخ قد كفر بعضهم بعضاً وتبادلوا في ما بينهم الشتم ، فكان من ثرات تنازهم وجدلهم في ما بينهم ان الملك بدأ ينجح شيئاً فشيئاً الى عدم التدين بدين الحق وأخذ يركن الى ما كان يلقيه نواب الطوائف الاخرى من آرائها ومعتقداتها المتضاربة .

وبما غض من شأن الدين وحط من كرامة أهله في عين الملك وحاشيته أعمال علماء السوء المزرية بالدين ، ولا سيما رؤسائهم أمثال عبد النبي الكنكوهي (ت سنة ٩٩٣ هـ) ومخدوم الملك الملا عبد الله السلطان بوري (ت سنة ٩٩٠ هـ) ومن نحا نحوهما من أقرانهم وأحزابهم .

وعبد النبي هذا كان حفيداً للشيخ العارف عبد القدوس الكنكوهي (ت سنة ٩٤٤ أو ٩٤٥ هـ) : وكان (١) يعد من كبار العلماء والمحدثين في عصر أكبر . وبلغ من تكريم الملك اياه انه كان يقوم له تجلة واكراماً كلما دخل عليه ويقدم له نعليه اذا اراد الانصراف .

لكن هذا الرجل كان يقرأ الحديث النبوي (٢) « الحزم سوء الظن »

(١) قد ذكره الشيخ عبد الحق الدهلوي (ت سنة ١٠٥٢ هـ) في « أخبار الاخبار » عرضاً وقال انه قرأ شيئاً من الحديث على الفقهاء الخ فافهم !!

(٢) عن علي رضي الله عنه من قوله « الحزم سوء الظن » . وأخرجه القضاعي في مسند الشهاب عن عبد الرحمن بن عائد رفعه مراسلاً . وكلها ضعيفة وبعضها يتقوى ببعض « راجع « المقاصد الحسنة » للسخاوي (ت سنة ٩٠٢ هـ) ص ١١ ؛ وتذكرة الموضوعات للفتني « ص ٢٠٣ » « ف سنة ٩٨٦ هـ » - المؤلف -

حديث ضعيف ويناقض احاديث النهي عن الظن ومنها « اجتنبوا كثيراً من الظن » وحديث « من اساء الظن باخيه فقد اساء بربه » تذكر الموضوعات ٣٠٣ - الناشر -

دائماً بالخاء والراء (بدلاً من الحاء والزين) . ولما تولى منصب صدر (١) الصدور ، نفخ في أوداجه شيطان الغرور فجعل يتشمخ بأنفه ويتطاول على المساكين الذين كانت وظائفهم وأزاقهم منوطة بالمصلحة الدينية ، ففشت الرشوة وجعل المشايخ والعلماء من أصحاب الاقطاعات والجرايات الشهرية يتوددون على باب « صدر الصدور » ويتوددون الى نائبيه وخدمه وبوابه بانواع من التزلف والرشوة ، حتى اصبحت المصلحة الدينية في عهده (٢) عاراً وسبة على المملكة .

وأما ثاني اثنين من كبار مشايخ العصر - وهو مخدوم الملك الملا عبد الله السلطان بوري ، فقد بلغ الغاية في حب المال واكتناز الذهب وادخاره وتجاوز الحد في تحريف الدين وتلفيق الابطال . وان تعجب ،

(١) ولما احس الملك بان مصلحة صدر الصدور لا تؤدي وظائفها كما يرجى من مثلها من المصالح الدينية : عقد العزم على التضييق من دائرة نفوذها فبدأ بتعيين ستة صدور في مقاطعات مختلفة اثلا تكون للصدر الواحد الكلمة في جميع البلاد . وذلك سنة ٩٨٩ هـ / ١٥٨١ م ثم بدا له بعد البحث والتنقيب ان الاقطاعات والاراضي التي منحت للعلماء كانت اوفر بكثير من حاجاتهم : وان رئيسهم عبد النبي ، صدر الصدور هو الذي استبد من دون غيره بقسط عظيم من الاقطاعات وملك من الاراضي ما لم يملكه أحد قبله ، فاضطر الى ان يدبر الامر من جديد وجعل الامر تحت حوزته رأساً .

(٢) ومن غريب أعاجيب الدهر انه لما ساءت الملك اعماله واغضبه الاعتداء على حقوق الناس نفاه الى مكة المكرمة ثم رجع الى الهند بفد قليل وشاهد ما آل اليه امر الملك من الهزء بالدين فاجترأ ذات يوم على ان يرفع عقيرته بالنكير امامه فلكمه الملك لكمة بيده ... وفي مثل ذلك عبرة لمن اعتبر . قتل بأمره سنة ٩٩٣ هـ .

فعجب أنه أفتى بسقوط فريضة الحج^(١) لئلا يتقول الناس ان مخدم الملك لم يتشرف بزيارة بيت الله الحرام على ما به من نعيم الدنيا والاموال الطائلة. وأدهى من ذلك وأمر انه كان يهب أمواله لزوجه قبل تمام الحول وكانت هي تهب تلك الاموال نفسها من جديد بعد مضي ستة أشهر . فراراً من أداء الزكاة ، كأنه أراد بحيله الملعونة ان يخدع الله ورسوله ، وهيات ان ينال بغيته (وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون) * . ولما توفي مخدم الملك سنة ٩٩٠ هـ في احمد آباد امر الملك بداره في لاهور ففقط وعيز رجلاً خاصاً للتحقيق في أمر خزائنه وكنوزه ، فانكشف التنقيب عن القناطر المقنطرة من الذهب والفضة بما بنوء بحمله العصبة أولوا القوة .

وبما عثروا عليه من ذخائر كنوزه قبور مزورة اصطنعها لامواله وأودعها صناديق مملوءة بالذهب الخالص لئلا تصل اليه أيدي الناس . ولا يجتريء أحد على نبشها ، ظناً بأنها قبور للأموات من أهل بيته واسرته .

ومن سياآت هذين « العلمين » من اعلام عصر اكبر انها ما زالوا يتنازعان في ما بينهما ويتجادلان بالرسائل والفتوى ، فرمما يفتي أحدهما بان

(١) ومن صنع الله في خلقه ان لا يمضي يوم الا وقد اتى من العجائب ما يدهش له الناس ومنها ان الملك اكبر لما ساء ظانا بعبد النبي ومخدم الملك نفاهما معاً الى مكة المكرمة ليأمن الناس شرهما لكنها ظلا يتنازعان في الطريق وفي الحرم الشريف وما استطاعا ان يكتسبا بها اكثر من ثلاث سنين فرجما معاً الى الهند فذاقوا وبال امرهما فبش ما عادوا اليه بعد النفي الذي يسر لها التوبة والرجوع الى الله العزيز الغفار .

- المؤلف -

- الناشر -

* سورة البقرة ، آية ١٠

« الصلاة لا تجوز خلف خصمه ، ثم يأتي الآخر بحيلة أخرى مثلها ويعارضه بها .
ولذلك كان يدور بينها الجدال والنزاع . ومن البلية ان الملك الغرکان
يرى ان علماء عصره أرسخ علماء وأطول باعاً من الغزالي (ف ٥٥٥ هـ)
والرازي (ف ٦٠٦ هـ) .

فلما رأى من اعمالهم وصنيعهم بأخوانهم وتنازعهم في ما بينهم مارأى ،
جعل يشك في ما يروى من حسن سيرة من تقدم من اعلام علماء الاسلام
والأئمة المعروفين بالصدق والنزاهة وإباء النفس .

والذي كتبناه عن ذنك الشخصين الكبيرين يصح في أتباعهم
ومعاصريهم ممن كانوا يترددون على باب الملك ويحتلفون الى مجالسه .

وان شئت ان أضرب لك مثلاً ، فدونك الحاج ابراهيم السرهندي (١)
« صدر » مقاطعة كجرات ، أخذ بالارتشاء وعزل عن وظيفته . وكذلك
« القاضي » جلال الدين الملتاني زور مرسوماً ملكياً ليكتسب به نصف
مليون « تنكة » (٢) .

قد قلنا آنفاً ان علماء السوء في عصر أكبر ، هم الذين عليهم جل تبعة
خلالته وتكبه عن محبة الخليفة السجاء . وهذا مما اتفق عليه الجميع .

(١) رئيس المصلحة الدينية في مقاطعة كجرات « وعي اليوم منضمة الى مقاطعة بومي في
غربي الهند » . وكان احدث منها سنًا .

(٢) عملة من الذهب والفضة كليهما ، كانت رائجة بهذا الاسم في عصر ملوك المسلمين بالهند .
واول من أجراها محمود الغزني (ت ٤٢١ هـ) ، ثم تغير اسمها في عصر أكبر وسمي
« مهر » . (دائرة المعارف الاسلامية : مقالة tanka الطبعة الانكليزية) .

- المؤلف -

والأمر أشهر من نار على علم . وهاك مايقوله بهذا الصدد الشيخ احمد السرهندي (٩٧١ - ١٠٣٤ هـ) مجدد الالف الثاني للهجرة ، وهو الذي اختاره الله من بين عباده لمقاومة هذه الفتنة « الأكبرية » كما سيأتي مفصلاً :
 « رأى أحد من يعز علينا في ما يرى النائم ان الشيطان الملعون جالس بهدوء وسكينة ، لاهم له في تضليل الناس وغوايتهم . فاستفسره الأخ - الأتف الذكر - عن ذلك . فقال - لعنه الله - ان علماء سوء في هذا العصر أنفسهم قائمون بهذه المهمة دوننا ، فنحن اليوم في غنى عن السعي فيها .

وبما لا مجال فيه للشك ان كل ماوقع من المداينة والتخاذل في الاحكام الشرعية في هذا الزمان وماظهر من الفساد والوهن في نشر الدعوة الالهية وابقاء مآثرها في هذا العصر ، انما يرجع سببه الى « علماء سوء » الذين هم لصوص الدين « وشر من تحت أديم السماء - أولئك » حزب الشيطان ، الا ان حزب الشيطان « هم الحاسرون » .

الملا مبارك الناكوري وابناؤه

ومن اعظم ماجرأ هذا الملك الغر على خطته العوجاء وشجعه على سياسته المعادية للدين الحنيف ، مصاحبته لثلاثة رجال من ذوي العلم جعلوا المهجوم

(١) « مكتوبات المجدد » مشحونة بمثل هذه الاقوال . ونذكرك بأن جملة « أولئك حزب الشيطان ... الخ » من نص مكتوبه الذي جاء في ص ٩٣ من الجزء الاول من دفتر الاول .

على الدين مطية لاهوائهم وشفاء لما في صدورهم من البغضاء والحقـ
للمتشدقين بالدين في عصرهم . ألا ، وهم الملا مبارك الناكوري (ت ١٠٠٢ /
١٥٩٣ م) وابناه أبو الفضل^(١) (ت ١٠١١ / ١٦٣) وفيضي^(٢) (ت سنة
١٠٠٤ / ١٥٩٥ م) .

وبيان ذلك ان الملا مبارك كان رجلاً ذا علم وأدب يرمى بعدم التقيد
بالمذاهب الاربعة ويرى ولده أبو الفضل انه بلغ درجة الاجتهاد . فهجم
عليه علماء عصره الذين ما كانوا الا علماء سوء وسبة وعاراً على الاسلام
والمسلمين ، ورموه بالمهدوية تارة وبالشيعة أخرى . فأراد مبارك
الناكوري ان ينتقم من علماء سوء ويرد كيدهم في نحرهم . لكنه من
دواعي الاسف الشديد ان الطريق الذي سلكه الناكوري وأبناؤه المأخذ
بثأرهم من علماء سوء قد أدت بهم الى الشر وأوردتهم مورداً
لا يكادون يصدرون عنه . فما كان من أمرهم الا ان عادوا مبعث ذل وهوان
للاسلام في هذه الديار وخزياً وعاراً على أنفسهم أبد الدهر . فدخلوا على
الملك عازمين ان يثأروا من مشايخ عصرهم ومعاصريهم من العلماء
وجعلوا يترددون اليه حتى أصبحوا من بطانته وخاصة ندمائه . فزينوا له

(١) توفي مقتولاً بإشارة من سليم بن اكبر الذي ورث اياه واعتلى سرير الملك بعد
موته سنة ١٥١٤ هـ . وتلقب بـ « جهان كير » .

(٢) كتب العلامة صديق بن حسن القنوجي البخاري في « ايجدية العلوم » (ص ٨٩٨) في
ترجمته « انه كان على طريقة الحكماء . وكذا اخوانه ابو الفضل واخوته . وكانوا
معروفين بانحلال العقائد وسوء التدين والاحاد والزندقة . نعوذ بالله منها . توفي
سنة ١٠٠٤ هـ - المؤلف -

وأية السخيف وصوبوا كل ما كان يرى من اتباع هواه وتقديس فكره .
المعتوه ، واستعان بهم أكبر على علماء عصره في لتفنيد آرائهم ومقارعة
حججهم بحجج مثلها أو من جنسها . ولولا مبارك وابناه لما تيسر للملك
المغرور من يسول له العصمة في الرأي والنضوج في الفكر .

وعلى كل فان الملا مبارك لم يحسن لا الى نفسه ولا الى ملته بمساعدته
المملك في ضلالة ، ومؤازرته في تضليله للناس وتحريفه الدين .

لقد تكلم الكاتب الهندي سري رام شرما « Sri Ram Sherma »
- المتحمس في الدفاع عن الملك - في مبارك وابنيه وأصر على القول
« بأن الملك كان قد اعتزم خطته قبل ان ينال مبارك وابناه الخطوة عند
وانما استعان بهم على مقارعة العلماء وساعده هؤلاء مهمته العظيمة ،
لكنهم لم يبدعوا له هذا المنهاج ولم يبتكروا له هذه السياسة وما كان تقرهم
من باب الملك وتبوؤهم المحل الأسنى من بطائنه الا نتيجة سياسة حرة معتدلة
قد قرر العمل بها من قبل^(١) » .

ومهما يكن من الامر فالذي نريد ان نقرره في هذا المقام ان علماء
السوء هم الذين كانوا البلاء الأكبر على الدين المبين ، وهم الذين يعود
عليهم جل التبعة في ماجرى عليه أكبر من السياسة اللادينية ، وذلك ثابت
لا غبار عليه . وما فتنة الملا مبارك الناكوري ونجليه أبو الفضل وفيضى
الا فرع من شجرتهم الحبيثة وشرارة من نارهم الموقدة .

The Religious Policy of The Mughul Emperors p. 21 (١)

- المؤلف -

البدع والمنكرات في عصره

هذا وقد ذكرنا بشيء من التفصيل الاسباب التي ساعدت أكبر على خطته وشدت عضده في مهمته المشؤومة ، فنرى ان نصرف عنان الكلام الى البدع والمنكرات التي نفقت سوقها في عصره بأمر منه او بتشجيعه رجال حاشيته وأعوانه وأنصاره .

بدأت حكومة أكبر حوالي سنة ١٩٦٤هـ / ١٥٥٦ م ، وامتدت زهاء خمسين سنة ، وما بلغنا شيء عن فساد عقيدته وخبر الحادثة في السنين العشر او العشرين الاولى من حكمته - حسب اختلاف المؤرخين - الا انه كان قد اعتزم سياسة منكورة معادية للشرع الاسلامي بعد اعتلائه سرير المملكة بقليل . اما الجهر بالاحاد فقد شرع فيه منذ عام ٩٨٧هـ أي بعد بضع وعشرين سنة من حكمته . فاستيقن المسلمون من رعيته ان ملكهم يريد القضاء على دينهم . ومن أشهر من انتقد سياسته العوجاء وأنحى عليه باللائمة الشديدة ، المؤرخ الشهير الملا عبد القادر البدايوني « ت سنة ١٠٠٤هـ » صاحب « منتخب التواريخ » ومن دافعوا عنه وآزره ، نديمه ووزيره أبو الفضل « ت سنة ١٠١١هـ » صاحب أكبر نامه ، وآئين اكبرى .

فلنشرع^(١) الآن في بيان ما جاء به من المنكرات والبدع الشنيعة :-

(١) آثرنا ، توخيا للايجاز ، ان ندرج جل بدعه ومنكراته في سلسلة واحدة من غير تفيد بترتيب السنين والاعوام ، ثم نخص منها بالذكر ما يهنا ، وما كان له تأثير بليغ في تغيير مجرى الافكار وتعكير صفاء الجو .
- المؤلف -

١ - ألغى الجزية على المشر كين سنة ١٥٦٤ م ، فكأنه اراد ان يجعل المسلمين والهنادك من رعيته سواء في التمتع «بالحقوق المدنية» (Citizenship) حسب تعبير من يمجده ، لاعماله المنكرة المناقضة لروح الاسلام .
وذلك قبل ان يحظى ابو الفضل وفيضي بالمشول بين يدي الملك .

٢ - ألغى الضرائب التي كان أوجهها من قبله من الملوك على مواسم الهنادك ومواطن اجتماعهم . وكذلك أذن لهم في بناء معابد جديدة ، اذا شاؤوا .

وقد كان ذلك محظوراً في زمن من تقدمه من ملوك المسلمين . فبنيت معابد جديدة للهنادك وشيدت كنائس للنصارى وبيع للمجوس ودور عبادة لفرق أخرى غيرها من سكان هذه البلاد .

٣ - أباح للمسلمين الجدد ان يرتدوا عن دينهم ويرجعوا الى أديانهم الأولى .

وكذلك سمح للنصارى ان يدخلوا في دينهم من شاء ذلك عن طيب قلب وصدق طوية .

٤ - أصدر مرسوماً عاماً بمنع ذبح البقرة لتعظيم الوثنيين اياها وعبادتهم لها ، وكذلك منع ذبح غيرها من الماشية في أيام مخصوصة سنة ١٥٨٣/٩٩١ ، ثم تقدم خطوة أخرى وحظر على الناس أكل لحوم الثيران والشيء والمعز والحيول والجمال سنة ٩٩٩ هـ وأيضاً أصدر أمراً ملكياً ان يمتنع الناس عن صيد السمك حينما زار كشمير سنة ١٥٩٣/١٠٠٠ م^(١)

(١) ذكر بعض المؤرخين مرسوماً آخر بالمنع عن صيد السمك قبل هذا بكثير « أي

- المؤلف -

سنة ١٥٨٣/٩٩٠ م . »

ونقل البدايوني ان من ذبح المواشي في الايام المحظور فيها ذبحها ، كان يعاقب بالقتل ومصادرة أملاكه ، لكن الذين آلوا على أنفسهم ان لا يذكروه الا بالمدح والاطراء ، ينكرون ذلك ، وان كانوا يعترفون بأنه كان منع الناس من ذبح الماشية في أيام مخصوصة .

وأيضاً يصر بعض من لا يهتمهم الا تبرئة أكبر من تلك الأوامر الخزية أنه امتنع بنفسه عن أكل اللحوم ولم يأمر بذلك أحداً ، الا ان قولهم هذا لا يستند الى برهان ولا يمكن ان يدحض ما صرح به معاصروه من المؤرخين .

٥ - شارك في أعياد الهنادك ومواسمهم ، بل ضرب بسهم في العبادات والشعائر الخاصة بمن ينتمي الى مذاهبهم ، وقد اعترف أشد الناس دفاعاً عنه بأن مشاركته في احتفالات شيوراتري « Shivaratri » - أحد أعياد الهنادك - كانت لا تخلو من صبغة دينية^(١) .

٦ - منع المسلمين من تزوج بنات العم والعمة والحال والحالة .

٧ - وكذلك منعهم من الحتان .

٨ - حلل الخمر^(٢) وأباح بيعها على مرأى من الناس ومسمع .

(١) Sherma ص ٢٩

(٢) وقد بلغت الوقاحة ببعضهم في اثناء تلى بدع أكبر ان تجرأ على التنديد بالملك المسلم عالم كبير أورنك زيب (١٠٦٤ - ١١١٤ هـ) - وهو ابن حفيده - على منعه البات من بيع الخمر ومعاطلتها وامر بالعقاب الصارم لكل من يمتريء على ركوب هذه الدينئة راجع Sherma ص ٣١ .

- المؤلف -

٩- أباح للبغايا والعواهر ان يتعاطين « أشعاهن » تحت رقابة الحكومة .

١٠- وكذلك أباح الملك لرعيته ان يتعاملوا في ما بينهم بالربا .

١١- أباح للناس المقامرة وعقد مجلساً خاصاً للمقامرين في القصر الملكي . وبلغ من غوايته في هذا الباب ان كان المقامرون يقرضون من الخزانة الملكية بالربا .

١٢- أسقط الاغتسال عن الجنابه ، بل رأى هو ومن تدين بدينه ان الاستحمام قبل الجماع أنسب وأوفق لطباع البشر .

١٣- شجع السفور والحلاعة ، بل ذكر البدايوني ان الفتيات أمرن بالكشف عن وجوههن اذا خرجن لحاجة عرضت لهن .

١٤- أفتى بجواز نكاح المتعة كما تقول به الشيعة في بلادنا .

١٥- أصدر أمراً ملكياً بمنع تعليم اللغة العربية ، وكذلك بالغ في تطهير الفارسية من الكلمات العربية الخاصة ، كالذي كان ولا يزال الملاحدة والشعوبيون في تركيا وإيران يتشددون به .

يقول أحد من آلى على نفسه ان لا يجد في سيرة هذا الملك الغر عيباً الا وبذل الجهد المستطاع في الدفاع عنه ، اما بتكذيب الرواية او تأويلها - يقول هذا الكاتب : « ان أمراً كبر هذا أشبه بجهود « المطهر » « Purist » العصري » الذي يريد ان يجعل الفارسية نقية غير مشوبة^(١) ، فلا يفرح اعداء العربية في تركيا وبلاد فارس ولا يتشمخوا

(١) شرما : ص ٣٣ .

بأنوفهم اعجابا بأنفسهم أنهم هم الذين تولوا كبر هذه البدعة الشنعاء في هذا العصر ، فان هذا الملك المعنوه الغر قد سبقهم الى هذه السفاهة بأربعة قرون .

ثم يشفع هذا الكاتب الهندكي رأيه بما يأتي : -

« ولكن ليس هناك ما يحقق ان أمر الملك هذا قد اتبع ، كما يريد البدايوني ان نوقن به ، فانه قد وصلتنا « فرامين » أي « مراسيم ملكية » عديدة من عصره فيها كلمات عربية خالصة لم يمسه قلم التحريف او التغيير أصلاً^(١) »

قلنا « نعم ! قد قلت حقاً ، ولكن الكلمات العربية ماوردت في « فرامينه » ومن نحا نحوه من أذئاب الشعوبية في عصرنا هذا عن حسن قصد منهم ، وانما هي العربية الفصحى وغزارة مواردها وتمكنها من أساليب البيان المتشعبة وتغلغلها في عروق لغاتهم واصطبغ مناحي كلامهم بصبغتها هي التي تجعل من كلماتها العريقة في العروبة جيشاً عرمرماً يدخل حصون كلام الفرس والترک والهنود وغيرهم من أمم الشرق والغرب - ولاسيا المتمسكين بالاسلام منهم - فتحل منه المحل اللائق بصفتها وبهجتها وتتبوأ مناسبا حيث تشاء ، وأنف أعداء العربية راغم ... نعم ! أراد أكبر وحاشيته منذ أربعة قرون ، وكذلك اعتزم رجال تركيا الجديدة في هذا العصر ، واقتفى أثرهم أهل فارس ، ان يطهروا لغاتهم « المقدسة » من أرجاس العربية ، بزعمهم ، لكنهم أخفقوا في مسعاها ، وهيات ان

(١) شرما : ٣٤

ينالوا بغيتهم مع تشدقهم بنجاحهم في كل مكان^(١)
وقد شاهدت ذلك في صحف تركيا الجديدة ومؤلفات ايران الحديثة
فانها ملأى بالكلمات الضادية بالرغم من جهودهم ومساعدتهم المشؤومة

١٦ - ومن أكبر المنكرات التي فشت في عصر هذا الملك المعنوي
وعمت فأضلت ، كثيراً من الناس ، سجدة التحية للملك . فكان العلماء
والمشايع والصوفية والامراء والاعيان كلهم يخرجون للملك سجداً ، كلما
دخلوا عليه الباب . ومن البلية ان علماء السوء اولئك جعلوا يؤولونها
وأرادوا ان يتستروا وراء كلمات (سجدة التحية) وزمين بوسي (تقبيل
الارض) . وبئس ما فعلوا ان حرفوا الكلم عن مواضعه وسموا هذا
الشرك الفطيع سجدة التحية وتقبيل الارض او ماشاؤوا وشاءت أهواءهم
وهاك ما يقول في هذه البدعة الشنيعة من يبالغ في الثناء عليه لكل ماجاء
به من بدع ومنكرات :- « لقد أدخل أكبر عادات (Ceremonies)
جديدة في البلاط الملكي والمجالس الملكية ، وقد روج من قبله والده
همايون التسليم راکماً منحنياً ، وهذا الذي كانوا يسمونه بـ (كورنش)^(٢)
فما كان من أكبر الا انه جعلها عامة . لكن المسلمين أبوها لكونها

(١) ومن تشدقهم بنجاحهم في هذه المهمة المشؤومة ان وفدا من رجال صحافتهم جاء
الى بلادنا في بداية الحرب الماضية الكبرى فأذاع رئيسه ذلك وافتخر بتطهير اللغة
التركية من الكلمات العربية .

- المؤلف -

(٢) السلام راکماً منحنياً

مخالفة للشرع الاسلامي ، مع ان كبار العلماء أمثال تاج الدين الدهلوي^(١) أفتوا بجوازها . فانقطع الملك عن هذا على مرأى من الناس ومسمع ، لكن العمل بها بقي جارياً في داخل البلاط الملكي . أما الذين كانوا يرون في هذه الصنعة المهينة للشرف وابعاء النفس حرجاً من الوجهة الدينية فما كانوا يجبرون عليها .

وقد أصبحت هذه السجدة التكريمية اسلوباً متبعاً في التسليم على الملك . وبقي العمل به جارياً زمن جهان كير بن أكبر (١٠١٤ - ١٠٣٧ هـ) . اما شاه جهان بن جهان كير (١٠٣٧ - ١٠٣٨ هـ) ، فأعطى العلماء من هذه السوأة اعفاء ، لكن هذه الطريقة بقيت للعامة زمناً قليلاً من عصره ايضاً^(٢) .

(١) هو تاج الدين بن الشيخ زكريا الاجودهي الدهلوي ، وكان يلقب بتاج العارفين . كان على طريقة الشيخ ابن عربي ولم يكن يتقيد بأوامر الشرع . وهو الذي زين للملك العصمة والكمال في نفسه وافتي بجواز السجود له . وحذا حذوه الشيخ يعقوب الكشميري وغيره . (ملخصاً من منتخب التاريخ للبدايوني : ج ٢ : ص ٢٥٨) .

(٢) « شرما : ص ٣٦ » وما يناسب ذكره في هذا المقام ان الملك جهان كير « ١٠١٤ - ١٠٣٧ هـ » بن أكبر قد اعفى كبار رجال الدين كالقضاة من سجدة التحية . ويمكن ان يكون قد اتفق ذلك بعد اضطهاد المجدد السرهندي « ف ١٠٣٧ هـ » لأجل ذلك ، كما سيأتي . اما شاه جهان « ١٠٣٧ - ١٠٦٨ » فانه وان الفى هذه السجدة الملعونة للملك فقد بقيت طرق السلام في عصره متشعبة بروح الوثنية . والحاصل انه ما قضى على هذه البدعة قضاء تاماً الا الملك الصالح عالم كير أورنگ زيب « ١٠٦٨ - ١١١٨ هـ » بن شاه جهان . راجع شرما Sherma ص ٣٦ ، ٥٨ ، ٩٥ .

- المؤلف -

لا يحتاج هذا البيان الى نقد أو ايضاح . والذي نعرفه أن العلماء والعامّة كلهم كانوا يجبرون على السجدة في عصر الملك أكبر . ومن المؤلم الموجه أن علماء السوء والمشايخ في عصره أقتوا بجوازها ، وقالوا « ان هذه رخصة والعزيمة ترك السجود » وهذه هي الحيل والتحريفات التي أودت بالمسلمين ونزلت بهم الى هذا الدرك الأسفل من سوء الأخلاق وانحطاط الآداب . وان نعجب ، فعجب قول بعض العلماء المعاصرين - وهو يندد بأعمال أكبر وينوه بجهاد المجدد السرهندي (ت ١٠٣٤ هـ) في عصر جهان كير (١٠١٤ - ١٠٣٧ هـ) ويشني على إبانة السجدة للملك « أن المجدد السرهندي استمسك بالعزيمة ، فلم يرض بسجدة التحية للملك التي هي رخصة وضعت على إبانة أنه نسب ^(١) هذا القول الى السيد المجدد نفسه من غير أن يذكر المرجع الذي عول عليه . فليت شعري ^(٢)

(١) راجع مجلة الفرقان (عددها الخاص بذكر المجدد) ص ١٩١ .

(٢) لقد بحثنا في هذه المسألة بحثاً وسألنا من أصدقائنا من لهم اطلاع واسع على مکتوبات المجدد ، فقالوا كلهم انهم لم يطلعوا على شيء من مثل هذا البيان . والذي كتبه في رسالة له الى المير محمد نعمان ، مستنكراً هذه السوءة الشنيعة « ان بعض الفقهاء وان كانوا يجوزون سجدة التحية للملوك الخ » (ج ٢ : المکتوب رقم ٩٢) ، فلهه أراد ببعض الفقهاء تاج الدين الدهلوي ومن على شاكلته من علماء السوء وكلاب الدنيا في عصر أكبر .

ما الذي يجعل هذا الشرك الفظيع رخصة ولو آفتي^(١) به سائر مشايخ
الهند وعلمائها من لدن عصر همايون (ف ٩٦٤ هـ) الى عصر جهان كير
(ف ١٠٣٧ هـ)

١٧ - كذلك اختار طريق الهنادك الوثنيين في الصدقة بان عمل
ب (قوله دان) ، وذلك ان الملك كان يوزن بالذهب والفضة وغيرهما من
الجواهر الثمينة ويتصدق بذلك على المساكين والفقراء ، لافرق فيه بين
المسلم والكافر .

وكانوا يزعمون أن هذه الصدقة تكون لصاحبها ردءاً ووقاية من
نوابب الدهر .

ثم جرى من جاء بعده على خطته حتى أن الملك المسلم أورنگ
زيب (١٠٦٨ - ١١١٨ هـ) أيضاً اباح العمل بها في السنين الأولى من

(١) ذكر ذلك الكاتب في مجلة الفرقان « ان المفتي عبد الرحمن أفندي بجواز سجدة
التحية مستدلاً بنصوص من كتب الفقه » فالذي أراه ان كتب الفقه التي تقول بجواز
السجدة للبشر جدية بان تخرج من دور الكتب وتحرق في الاسواق . وانما الدين ماورد
به كتاب الله وسنة نبيه صالات الله عليه وسلامه . وما لا يوافقها من أقوال الناس
ما أحراره ان يضرب به عرض الحائط . اما ما عراه الكاتب الى السيد المجدد من قوله
« ان سجدة التحية للولوك رخصة » فغالبا انه قد اخطأ في عزوه اليه . والله عنده علم
الصواب . والذي نعرفه ان الفقهاء صرحوا بتحريم سجدة التحية ، ومنهم من كفر فاعلمها
وقد نص السرخسي (ت سنة ٤٨٣ هـ) في المبسوط ٢٤ : ١٣٠ ، باب ما يخطر على
بال المكروه من غير ما أكره عليه « ان من سجد لغير الله على وجه التعظيم كفر » .
- المؤلف -

حكومته (١) .

١٨ - أوجب على خاصته ورجال حاشيته أن يرتدوا الملابس
الحريرية أثناء الصلوات .

١٩ - ألغى بعض أركان الاسلام .

٢٠ - منع الصلاة والاذان في دارالشورى الملكية «ديوان خانة -

« Assembly Hall

٢١ - حظر على الناس أن يصوموا في شهر رمضان .

٢٢ - منع الناس من أداء فريضة الحج . وبلغ الامر به في ذلك

عام ١٠٠٤هـ (٦ - ١٠٩٥ م) ان كان يعاقب كل من اجتأ على ذكره
بأشد أنواع العقوبة (٢) .

٢٣ - تعطلت اعياد المسلمين وانقطع الاحتفال بها في عصره ،

(١) شرما : ص ٣٧ - ٣٦ : لقد ذكر شرما ان اورنك زيب ألغى هذه البدعة في
العام الثاني عشر من حكومته (ص ١١٥) . ويؤيده ما جاء في تبصره الناظرين للسيد
محمد بن عبد الجليل البكرامي من الغائه هذه البدعة . لكنه يعود فيقول ان العمل بهذه
الطريقة بقي جاريا في عصر أورنك زيب . والظاهر ان ما جاء من تأييده لهذه البدعة أو
سكوتة عليها كان قبل العام الثاني عشر من توليه الامر . والله عنده علم الصواب .

(٢) كل ما اوردناه من اضطهاده للاسلام والمسلمين في المادة ال ١٨ الى المادة الثانية
والعشرين ، ذكره معاصروه من المؤرخين الاتبات ؛ لكن حماته ينكرونه أو
يؤولونه تأويلا لا يؤيده الواقع . (راجع شرما : ص ٤٤ - ٤٣) . ومن
غريب المصادفات ان حكومة روسيا الشيوعية ايضا تعاقب رعايا المسلمين على أداء فريضة
الحج ولا تسمح بذلك . فما اشبه الليلة بالبارحة . وكذلك حكومة تركيا الجديدة
كانت تمنع رعاياها المسلمين من أداء فريضة الحج ، الا انها ادركت خطأها ، واخذت
تسمح لاهلها بزيارة بيت الله الحرام وأداء مناسك الحج . - المؤلف -

٢٤ - غير أسماء النبي (ﷺ) والصحابة (رضوان الله عليهم) التي يتسمى بها المسلمون عامة واستبدل بها أسماء أخرى غيرها ، ليشفي بعض ما في صدره من بغضاء للإسلام والمسلمين ، وهاك ما قاله عبد القادر البدايوني ، وهو المؤرخ الثقة الثبت في هذا الباب :

« لقد شق على الكفار ومن في بلاطه من الأميرات الوثنيات أسماء أحمد ومحمد ومصطفى ، حتى انه غير اسماء بعض من كانوا يتسمون بها من خاصته ، أمثال بار محمد ومحمد خان ، فانه كان يدعوها بـ رحمة نطقاً وكتابة (٢ : ٢١٥) ،

تحولت المساجد الى مرابط للخيل (اصطبلات) واستولت الهنادك على كثير منها .

ومن حيث ان هذه الجريمة مما يندى لها جبين المروءة خجلاً ، يجمل بنا ان نشفع هذا البيان بتصريح من السيد المجدد السرهندي (ت سنة ١٠٣٤ هـ) ، حتى لا يبقى مجال لقائل : -

يهدم الكفار المساجد من غير محابة ولا وجل ، ويبنون مكانها معابدهم وأيضاً يؤدون شعائرهم من غير ماعنت ولا قيد ويظهرون شعائر الكفر علناً . اما المسلمون فهم قاصرون عن تنفيذ معظم أوامر الاسلام مغلوبون على أمرهم .	كفار نبدي تحاشاً بدم مساجدى ثمانيدو آنجا تعمير معبدیات خود سازند ونیز کفار بر ملا واسم کفر بجای آرندو مسلمانان در اجرات اکثر احکام اسلام عاجزانند (مکتوبات المجدد : ٢ ، ١٦٢)
--	--

وأي عار أشنع من ذلك لمملكة على رأسها رجل يتسمى بأسماء المسلمين وحوله لقيف من العلماء والمشايع والاعيان مؤيدون له على سياسته او ساكتون عن ذل واستكانة وان تعجب فعجب وقاحة من يدافع عن هذا المنكر الشنيع أيضاً، يقول أحد حماة: « يمكن ان يكون ماجاء عن تحويل المساجد ودور العبادة (Prayer Rooms) الى مرابط للخيل صحيحاً في بعض الاحوال ، حيث اقتضت مساحة أكبر ان لا يبقى مسجد في الاحياء المخصوصة بالهنداك ، فان في ذلك ضرراً لسياسة البلاد ، ولا يرتجى فائدة من وجود المساجد بأحياء معمورة بالهنداك^(١) .

٢٦ - رغب الملك رجال مملكته - بل أمرهم في بعض الاحوال - بحلق اللحية . وذكر المؤرخون ان الملك ورجال حاشيته كانوا يستهزؤون باللحية .

٢٧ - أبسح للناس ان يأكلوا لحوم النمر والخنازير الضواري . هذا برض من عد وغيض من فيض . ولو ذهبنا نفصل القول في ما أتى به هذا الملك الغرر من البدع والمنكرات ، لاستغرق مجلدات . فلنعد الآن الى السوأة الصلعاء والجريمة الكبرى التي افترفها هذا الملك فباء باء، واثم من اقتفى أثره وحذا حذوه ، ألا ، وهو اعلانه بالقضاء على الاسلام وتأسيسه لدين جديد ، سماه « الدين الالهي » وقد سبق لنا في ماتقدم ان ذكرنا كثيراً من البدع والمنكرات التي تولي كبرها بعد تأسيس الدين الجديد ، ولذلك لن يكون كلامنا عن هذا الدين الجديد الا اجمالاً .

(١) شرما : ص ٥٤ .

مرسوم العصمة

فلنبداً بذكر محضرنامه او (مرسوم العصمة) الذي ما كان الا تمهيداً
لتسبيل الاحاد والاعلان بالدين الجديد . وكان ذلك بأن أعد الملا مبارك
الناكوري (ف سنة ١٠٠٣ / ١٥٩٣) والد الشقيقين الشيرين أبي الفضل
(ف سنة ١٠١١ هـ) وفيضي (ف ١٠٠٤ هـ) وزيري الملك ، مرسوماً في
رجب عام ٩٨٧ هـ / ١٥٧٩ م ، يخول الملك حق الاجتهاد ويصعد به الى
مستوى الامام العادل المتزه عن الاخطاء .

أما حق الاجتهاد للامير العادل وأهل الحل والعقد من رجاله في ما
يتجدد من وسائل ومشاكل ، فلا كلام لنا فيه ، بل الحق أن كل ما عتري
الفقه الاسلامي من الجود وخمول الذكر ، انما هو لانعدام روح الاجتهاد
وتطلب الحق في الفقهاء المتأخرين ؛ لكن البلية ، كل البلية ، ان الملك
أكبر كان أميلاً لا يعرف القراءة والكتابة ، ولا علم له بالدين الا ما
يخبر عليه رجال حاشيته وندماؤه . فما كان يرجي من مثل هذا المرسوم
الا أن يكون شؤماً وتعساً على الدين والمستمسكين به ووسيلة ناجعة بيد
الملك للقضاء على سلطان الشرع الاسلامي وافحام من ينكر عليه شيئاً
من أعماله .

كتب الملا مبارك الناكوري هذا المرسوم أو محضرنامه حسب
تعبيرهم بالفارسية - بقئه ليقدمه العلماء والاعيان الى سدة الملك السنية ،
يخولونه بذلك حق الاجتهاد ويعلنون على ملأ من الناس ان الملك اكبر

إمام عادل مجتهد ظل الله في الارض قد بلغ منتهى شأو المرتضى في الاجتهاد واستوفى الغاية في الاطلاع على دقائق الشرع ، لا يفوقه احد ولا يغلب رأيه رأي . وغير خاف على من له أدنى معرفة بالدين والشرع مافي هذا المرسوم من جرائم الفساد .

لكن علماء السوء من كلاب الدنيا في عصره - أمثال عبد النبي صدر الصدور (ت سنة ١١٩٢ هـ) ومخدوم الملك (ت سنة ١١٩٠ هـ) وجلال الدين الملتاني ، قاضي القضاة وغيرهم لم يتخرجوا في تأييد المرسوم والتوقيع عليه ، ولم يتجلجج في صدورهم من امره شيء . وذلك كله خوفاً ^(١) من اضطهاد الملك ورجاله .

واليك نص المرسوم بعد التعريب - والاصل بالفارسية :-

« ومن حيث ان الهند العزيزة - وقاها الله شرور الدهر - أصبحت اليوم في غاية من الدعة والامن ويكاد يضرب بها المثل في العدل والكرم ، قد نزع اليها عدد غير قليل من رجال العرب والعجم ، العامة منهم والخاصة ، وفيهم من تبوأ ذروة المجد العلمي وحاز قصب السبق في مضمار البحث والتحقيق - نزحوا اليها وتوطنوها ، بعدما هاجروا من بلادهم وفارقوا منابت عزهم .

والآن ، جمهور العلماء ، من الذين تضلعوا من العلوم الثقيلة وفاقوا

(١) يقال ان كثيراً من علماء عصر اكبر ما وقعوا عليه الاكرها . لكن ذلك لاهمنا في قليل ولا كثير . والذي يعنيننا في هذا المقام ، هو ان علماء السوء في عصره لم ينكروا عليه هذه الخطة المشؤومة ولم يخالفوا عن رأيه وامره .

أقرانهم في الفنون العقلية وعرفوا بالورع والامانة وصدق الطوية ، يعلنون بعد ما تدبروا معاني الآية الكريمة (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم *) وامنوا في مغزى الاحاديث الشريفة (إن أحب الناس الى الله يوم القيامة إمام عادل ^(١)) و (من يطع الامير فقد اطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني ^(٢)) .

وتقطنوا الى غيرها من الشواهد العقلية والدلائل النقلية - يعلنون بعد كل ذلك :

« ان السلطان العادل ، أرفع درجة عند الله من العالم المجتهد . وكذلك يصرحون ان سلطان الاسلام ، امير المؤمنين ، ظل الله في الارض ، الملك الغازي أبا الفتح جلال الدين محمد أكبر - خلد الله ملكه - أعدل الملوك وأعقلهم وأعلمهم .

فاذا عرضت مسألة من المسائل التي تضاربت فيها أقوال الائمة المجتهدين وأراد الملك ان يعزز جانباً او يرجح رأياً ، مستنداً الى ثقب ذهنه ونضوج رأيه - اذا عرضت مسألة كهذه وقطع الملك فيها بشيء تسهيلاً

(١) الحديث رواه الترمذي في أبواب الاحكام .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الامارة ، باب وجوب طاعة الامراء في غير معصية ولفظه : ان أحب الناس الى الله يوم القيامة وادناهم منه مجلساً إمام عادل وابعض الناس الى الله تعالى وابعدهم منه إمام جائر (ج ١ ص ١٥٩) .
- المؤلف -

- رواه احمد في مسنده والترمذي في سننه .

- مسمى المؤلف فلم يخرج الحديث المشار اليه برقم ٣ وكرر ذكر الحديث السابق له نص الحديث : « من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني » . صحيح مسلم كتاب الامارة ج ٣

* سورة النساء آية ٥٧ .
- الناشر -

للعامّة وتحسيناً لإدارة الملك، وجب على الجميع الخضوع لأمره والعمل به .
وكذلك إذا أصدر الملك أمراً لا يعارض النص ويكون فيه ترفيه عن
الامة وجب العمل بمقتضاه على كل واحد ، والذي يخالف عن أمره من
رعيته ، يستحق العذاب في الآخرة والحسran في الدين والدنيا جميعاً .
قد كتب هذا المرسوم ابتغاء لمرضاة الله واعلاء لكلمة الدين . وهانحن
عيون علماء الاسلام في هذا العصر ، قد زكيناها وصدقناه . وذلك في رجب
« عام ٩٨٧ هـ » .

انتهى المرسوم بقضه وقضيه .

فأنت ترى ما في ثنياه من دواعي الفساد والاحاد في الدين . ولا
شك أن هذا المرسوم المشؤوم كان أول خطوة في سبيل تأسيس الدين
الاهلي الجديد .

ومن غرائب ماروي عن هذا الملك المعنوي أنه أراد ذات مرة
أن يقوم خطيباً يوم الجمعة - وذلك بعد صدور هذا المرسوم أو بعده
بقليل - زعماً منه أن وقوفه موقف الامام يزيد قوة الى قوة في دعوى
الاجتهاد ، وكتب له نديمه فيضي (ت سنة ١٠٠٤ م) خطبة منظومة
بالفارسية ، لكنه ما كاد يقف على المنبر ويشرع في القاء الخطبة ، حتى
تزلزلت قدماه وألقي في قلبه من الرعب ما أذهله عن نفسه ، فاضطر الى
النزول عن المنبر والتنحي عن مثل هذه المواقف .

الدين الالهي

بعد ثلاث سنين من ظهور مرسوم العصمة ، أعلن الملك بالدين الجديد المعروف بالتوحيد الالهي أو الدين الالهي ، وذلك أن رجال حاشيته - وعلى رأسهم وزيراه فيضي وأبو الفضل - وسوسوا في صدره أنه قد مضى ألف سنة على دين الاسلام وانكشفت شمس مجده بتمام الألف الأول من بعثة النبي الأمي ، والآن آن له أن يتولى الزعامة الدينية ويرشد الناس الى الطريق الأقوم .

وقد تقدم ذكر كثير من البدع التي ابتدعتها أكبر قبل الاعلان بالدين الجديد وبعده وسردناها كلها في نسق واحد ، فنحن الآن في غنى عن اعادةها ، الا أنه لا بد لنا من الإشارة الى بعض المعتقدات والاعمال التي جعلها أساساً لبنيان « الدين الالهي » .

ضمنها الشرك بالله تعالى شأنه بحيث لا يقبل التأويل . ذكر المؤرخون أنه « كان يعبد الشمس أربع مرات كل يوم . وكان يكرر أسماء الشمس الهندية التي يبلغ عددها ألفاً ووحداً . وكلما ذكرت الشمس قالوا : جلّت قدرتها (والعياذ بالله) .

وكذلك كان يعبد النار والماء والحجر والشجر وسائر مظاهر الطبيعة ، الا انه كان يغلو في الشمس ، فكان يعتقد فيها أنها المتصرفة في في العالم ، واهبة النعم ، المظلة على الملك بظلال ربوبيتها .. الى غيرها من الخرافات » .

وللناس أقاويل في الدفاع عنه والثناء على خزعبلاته ، ورأيي أنه كان مجنوناً في باب الدين ، لا يكاد يركن الى شيء . وبما يؤثر عنه في جنونه الديني أنه قال ذات مرة « أي حاجة الى الدعاء ، اذا كان الله علام الغيوب ؟ » ثم شوهده أمام الشمس وبين يدي النار أخرى يعبدهما ظناً منه بأنها رمزان للألوهية - كما سبق .

فياليت شعري لماذا تخصيص هذا الرمز بالشمس والنار ؟ أفليس كل خلق الله رمزاً وآية ؟ ولا يكون ذلك مفضياً الى اعتبار ذلك الرمز هو المعبود - أعاذنا الله من ذلك .

ثم تقدم خطوة أخرى وانحاز الى تأليه السيدة مريم بنت عمران وعبادة الكواكب « بل بلغت منه السفاهة ان جعل يقدس عقله الواهي ، وهو الذي أفسد عليه كل شيء . والذي ذكرته عن مصابه في عقله ، اعترف به أشد الناس دفاعاً عن ضلالاته . وهالك مايقول أحدهم :

« نحن نعترف بأن أكبر ، شأن سائر الملوك ، كان شديد التأثير بمدايح ندماؤه . فلاغرو ، اذا وجدناه قد سكر بنشوة الفتوح ومآثره الجليلة وصدمته حميا الكأس ، فدخله شيء من الحبل فجعل يزعم أنه بوسعه ان يأتي بالمعجزات والاعمال الخارقة للعادة»^(١) . بقي لنا ان نذكر الميثاق الذي كان يأخذه على نفسه كل من أراد ان يدخل في هذا الدين وهو :

« أنا ، فلان بن فلان .. أتبرأ من دين الاسلام التقليدي والمجازي ، الذي ورثته عن آبائي وأدخل في (الدين الالهي الاكبر شاهي) وأقبل

(١) شرما : ص ٥٣

الأركان الأربعة التي هي من مراتب الإخلاص في هذا الدين - وهي ترك المال والنفس والعرض والدين » .

والذين كانوا يدخلون فيه ، كانوا يسمون « جيله » أي (المرید) حسب اصطلاح البوكيين - الفقراء الهندكيين ، إلا أنه لم يتشرف بهذا اللقب إلا ثمانية عشر رجلاً من بطانته ، كلهم من المسلمين إلا واحداً ، وهو نديمه الظريف بيبرس . وليس معنى ذلك أن الملك أكبر لم ينجح في اضلاله الناس . فانه وإن لم يؤمن بدينه إلا ثمانية عشر رجلاً ، قد تأثرت الحياة الاجتماعية بضلالاته أي تأثر ، فقد تبدلت الأرض غير الأرض ولاغرو ، فقدما قيل : « الناس على دين ملوكهم » .

ومن سيأت هذا الدين وأهله أنهم استبدلوا بالسلام سنة الاسلام ، كلمة « الله أكبر » يرمزون بها الى تأليه أكبر نفسه ، وكانوا يردون هذه التحية الاكبرية بكلمة « جل جلاله » لكون « جلال الدين » لقباً للملك . وكذلك ضربوا على السكة هذا الشعار (الله أكبر) فالويل لمن انحرف في سلوكه وانضم الى أنصاره .

ومن إمارات هذا التأليه الممقوت سجدة التحية للملك ، التي أتينا على ذكرها فيما تقدم .

وروى الثقات أنهم أرادوا في سنة ٩٨٧ هـ - أي السنة التي صدر فيها مرسوم العصمة - أن يزيدوا كلمة « أكبر خليفة الله » الى الكلمة الطيبة « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، لكنهم لم يروجوها خارج البلاط الملكي حذراً من غضب الجمهور .

التقويم الالهي

ومن نتائج هذا الاحاد وتأسيس الدين الجديد ان الغي التقويم الاسلامي واتخذ تقويماً جديداً ، وجعل بدأه سنة اعتلائه لسير الملك وسماء « التاريخ الالهي » .

هذا قليل من كثير من فتنة الدين الالهي المشؤوم . وقد توخينا الايجاز في هذا الباب . ولودهننا نصف كل مامني به الاسلام في عصر هذا الطاغية من جراء هذا الدين الكاذب لاستغرق أسفاراً ومجلدات .

وبما يحمل بنا الاشارة اليه في ختام هذا الفصل ان الحياة الاجتماعية في هذا العصر قد اصطبغت بالصبغة الهندكية الوثنية أيما اصطباغ ، ولم يبق للاسلام فيها عين ولا أثر ، حتى ان أبنية المساجد المبنية في بداية عهده كانت أشبه بمعابد الهنادك منها بالمساجد كما صرح به (Hamell)^(١) أحد المعجبين بالفن الهندي (Hindu Art) ومن مظاهر هذا الارتداد الاجتماعي ان كلمة (الله أكبر) اصبحت شعاراً للكتاب والمصنفين يبدأون بها كتاباتهم ، يريدون بذلك تأليه الملك ، ولو من طرف خفي . وقد شاهدت بنفسي عدداً غير قليل من المخطوطات التي نسخت او قدمت الى الخزنة الملكية في عصره ، فوجدت جميع التوقيعات والامضاءات عليها مفتحة بهذا الشعار .

وكذلك شاهدت بأم عيني توقيعات للملك^(١) نور الدين جهان
كير ابن الملك أكبر ، مفتحة بكلمة ، الله أكبر ؛ وغنى عن البيان ان
كل هذه التوقيعات والامضاءات خلو من (بسم الله الرحمن الرحيم) .

ومن عادة الكتاب المسلمين أنهم يبدأون كتبهم بالثناء على الله بما هو
أهله والصلاة والسلام على النبي الامي (ﷺ) ؛ لكن الكتاب المنتمين
الى البلاط الملكي في عصر أكبر وتلامذتهم ربما يشرعون في كتاباتهم
بأسماء آلهة المشركين ، لا سيما اذا كانت كتبهم مترجمة من السنسكريتية
أو الهندية .

ذكر الكاتب الهندي المحقق الدكتور تارا حيد - وهو المحدود
من منصفى كتابهم - وهو يثني على هذه (الوحدة الثقافية) التي تجلت بأجلى
مظاهرها في العصر الاكبري ومؤلفاته : -

« وما يلفت نظر الباحث ويأخذ بمجامع قلبه ، هو طريق كتاب
« الهندية والفارسية في الثناء على الخالق ؛ فانهم ما كانوا يحمدون الله
« ويرفعون أكف التضرع والابتهال اليه تعالى شأنه حسب معتقدهم ،
« بل حسب ما تقتضيه آداب اللغة التي يكتبون بها . فالمسلمون
« والهنالك جميعاً ، اذا كتبوا بالفارسية بدأوا بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) ؛
« واذا قدحوا زناد الخاطر بالهندية ، بدأوا بتوجيه المدح وكلابيات

(١) وذلك في الخزانة الشرقية العمومية في عظيم آباد (تبنه) من بلاد شرقي الهند راجع
نسخة ديوان كامران الوحيدة ونسخه ديوان حافظ الفريدة وكتابهما من أنفس
نفاثس هذه الخزانة .

الاطراء الى آلهة الهنادك مثل (كنيش) و (سرسوتي) (١).

وأورد تارا حيد أمثلة وشواهد من كتاباتهم ، يطول الكلام بذكرها . والذي نريد أن نعيده في هذا المقام ونقرره هو ان هذه الوحدة الثقافية والصبغة الهندكية هي التي كانت ، ولا تزال ، بلاء عظيما على الاسلام والمسلمين في هذه البلاد . وقد تأصلت جذور هذه الشجرة الحبيبة في المجتمع الاسلامي الهندي بتطاول الايام وتهاون العلماء في شأنها ، بحيث لم يتمكن المصلحون الى الآن من اجتثاثها واستئصال شأفتها .

جهان كير بن اكبر ١٠١٤ — ١٠٣٧ هـ

مات الملك أكبر سنة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م وخلفه من بعده ولده سليم وتلقب بنور الدين جهان كير . فاقتفى إثر أبيه وحذا حذوه في عدم الاعتناء بالدين ؛ بل زاد الطين بلة في عصره بأن تطاولت الشيعة بأغناقتها وتطلعت الى تسلم زمام الامر والنهي في الملك لمكانة حظيته نور جهان (٢) من قلبه ؛ حتى ان كير دعا الروافض ، نور الله الشوستري (ف ١٠١٩ / ١٦١٠) عين رئيساً للقضاة . ولك ان تقدر ما آل اليه الامر في عصر هذين الملكين — عصر الملك أكبر وبداية جهان كير — بما كتبه (٣)

(١) الخطبة الرئيسية للمؤتمر التاريخي ، المنعقد في ديسمبر سنة ١٩٣٩ م (في الفرع المختص بالحكومة المفولية) : ص ١٧-١٦ .
— المؤلف —

(٢) يقال انها هي التي كانت تسير دفة الحكم وتسوس البلاد وجهان كير غارق في مجار الملذات . وكانت شيعية ذات جمال بارع وذكاء مدهش توفيت سنة ١٠٠٦ هـ / ١٦٤٥ الميلادية .

(٣) في شرح الرسالة — رسالة «رد الروافض» التي هي بالفارسية للمجدد الهرندي .

— المؤلف —

الامام ولي الله الدهلوي (ف ١١٧٦ هـ) :

« وتولى السلطنة بعده ولده أكبر فتزندق وارتفعت راية الجهل والضلال وثاب من كل أوب أهل الملل المختلفة والمذاهب الباطلة وعظمت الفتنة وتولى بعده ولده جهان كبير ، وكان ماجناً مدمناً للخمر ، فرفعت الهنود رؤوسها ونصبت الروافض رؤوسها (كذا) وضيعت الديانات » الخ اقرأ هذا النقد الصراح ثم انظر الى الذين يقولون ان الامام الدهلوي قد أكمل بناء الصرح الديني الذي أسس بنيانه الملك أكبر ^(١) .

• ان تعجب فان الدهر لا تنقضي عجائبه ، رجل عالم مطلع على التأريخ ، عارف بمواقع الكلام ، يقول ويجاهر - وليف من تلامذته يتشدقون بأقواله - بأن الملك أكبر هو أول من أسس بنيان الحكومة الاسلامية الهندية ، وأن الامام ولي الله الدهلوي أراد أن يتم العمل الذي ابتداء به هذا الملك الغرير . عجيب ورب الكعبة أن يقول على الامام ولي الله مثل ذلك ، والامام نفسه يصرح في مؤلفاته بزندقته ومروقه من الاسلام ، وهاك نص ماجاء في كتابه (أنفاس العارفين) ،

(١) مولانا عبيد الله السندي ومن هذا حذوه في مؤلفاتهم ومقالاتهم . راجع كتاب (مولانا عبيد الله سندي) لتلميذه وراويته محمد سرور - المؤلف -

جلال الدين اكبر بادشاه اورا معظم ومفخم واشتي وبعد ازان كربادشاه الحاد وزندقد كرفت ، آل رشتدالفت زيم كسست وتنفر تمام از بردو جانب بظهور بيوست (ص ١٦٠)	وكان الملك جلال الدين اكبر يحله ويكرمه ، ولكنه لما سلك الملك طريق الاحاد والزندقة انقطع الحبل بينهما انقطاعاً تاماً وظهرت الجفوة من كلا الجانبين (ص ١٦٠)
--	---

أو بعد هذا وذاك يقال ان مملكة اكبر كانت مملكة اسلامية ؟
كلا ! بل الف كلا !! وان كانت حكومة اكبر حكومة اسلامية ، فعلى
الاسلام والدنيا السلام ،



بدا الإصلاح الحقيقي

المجلد السهرندي الفصل الرابع

فلما كان الآن قد بلغنا من تاريخ الهند الإسلامية منزلاً تشعب فيه
للسامع وتفرق منه الطرق وينبت غير الإصلاح الحقيقي لأول مرة
في تاريخ الهند .

ومن سنة الله أنه جعل الإسلام في الهند
وتصير جرداء قاحلة ، متعلقة إلى رحمة من ربه ، ونجا ان اشتداد الظلام
يؤذن دائماً بانبات الفجر ، وظلم الطواغيت الحالكة تكشف عن فرجة
ذات آمان وآمال ، كذلك جرت أحداث يلامدة في منبت القرن الحادي
عشر للهجرة ، فيما بلغ الاصطهاد الديني أشده وتكررت وجوه أعيان
الملوك وأمراء الدين الخيف وأهله وغرب المتصوفون بالشريعة السبعة
عرض الخاطئ وأمعن العلماء في التكالب على شهور الدنيا الدينية وتكلموا
واجب القيام بالدعوة (وأفضلها الجهاد) فأصبح القبايض على الدين
قبايض على الجور ، واحتاجت الأمة إلى إصلاح

بدء الإصلاح الحقيقي

(١) إشارة إلى ما روي عنه صلى الله عليه وسلم : أن من أعظم الجهاد كلمة حق على عند
سلطان جائر (الترمذي : ج ٢ ص ٤٠ ، أبواب الدين) . - المؤلف -

والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

يحيى بن قيس

المجدد السر هندي

هأنحن الآن قد بلغنا من تاريخ الهند الاسلامية منزلاً تتشعب فيه المناهج وتفترق منه الطرق وينبثق فجر الاصلاح الحقيقي لاول مرة في تاريخ الهند .

ومن سنة الله أنه لا يرسل السماء مدراراً الا بعد ما تحمى الارض وتصير جرداء قاحلة ، متعطشة الى رحمة من ربها ، وكما ان اشتداد الظلام يؤذن دائماً بانبثاق الفجر ، وظلم الحوادث الحالية تكشف عن فرجة ذات امان وآمال ، كذلك جرت الحوادث ببلادنا في منبثق القرن الحادي عشر للهجرة ، فبينما بلغ الاضطهاد الديني أشده وتنكرت وجوه أعيان المملكة وأمراءها للدين الحنيف وأهله وضرب المتصوفون بالشريعة السمحة عرض الحائط وأمعن العلماء في التكالب على شهوات الدنيا الدنيئة وتنكبوا واجب القيام بالدعوة (وأفضل ^(١) الجهاد) فأصبح القابض على الدين قابض على الحجر ، واحتاجت الامة الى رجل يقف موقف حسين

(١) اشارة الى ماروي عنه صلى الله عليه وسلم « ان من اعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر (الترمذي : ج ٢ ص ٤٠ ، ابواب الفتن) .
- المؤلف -

لله عنه بن علي رضي الله عنها وأحمد بن حنبل (ت سنة ٢٤١ هـ) ، يحدد
 لهذه الامة دينها في هذه القرون المتأخرة ويحيي مآثره ويعيده الى سيرته
 الاولى في زمان اتسع فيه الحرق على الراقع ، فوفق الله عبداً من عباده
 صالحاً للقيام بالدعوة والجهاد في سبيل الحق ، فمض للأمر واعلن بالحق
 ورأب الثأني * ورتق الفتق وطهر الدين المبين من أرجاس الوثنية وخلص
 ابريزه الواج من خبث الجهل والتصوف الباطل ونقى ثوبه الطاهر من
 أدران الرفض والالحاد ودعا الناس بدعاية الاسلام والاستمسك
 بعروته الوثقى .

وفوق كل ذلك أنه جدد السنة ، سنة الائمة الهداة الصالحين
 المجاهدين في احتمال الشدائد والثبات عند المحنة ، فبادى أهل عصره من
 أمراء الدولة وأعيانها بما كان يراه حقاً ، وأنكر على الملك^(١) تكبره في
 أرض الله بغير الحق ، ومازلت به قدم - إلا وذلك الرجل هو الامام

* الثأني بسكون الياء والهزمة قبلها الافساد والثأني بالالف المقصورة مثله الا انه
 يقال للامر الفظييع يقع بين القوم . ويقال رأب الصدع

- الناشر -

(١) جهان كبير نور الدين (١٠١٤ - ١٠٣٧) الذي تولى الامر بعد موت أبيه اكبر .

- المؤلف -

العارف بالله الشيخ احمد بن عبد الاحد الفاروقي السرهندي^(١) ، الذي
يلقب بمجدد الألف الثاني من الهجرة النبوية (على صاحبها أزكى التحيات
وأعطرها) وحق له ذلك . وكيف لا ؟ وقد قام بواجب أفضل الجهاد ،
ووقف امام طواغيت عصره موقف الجبال الراسيات فأحيا السنة وأمات
البدعة ورفع لواء الاسلام وأعلا كلمته . والحق ان مقام به حسين بن علي
رضي الله عنه واحمد بن حنبل (ت سنة ٢٤١ هـ) وابن تيمية (ت سنة
٧٢٨ هـ) في أزمانهم من اعلاء كلمة الحق وتجديد الدين المبين ، قد قام به
هذا الشيخ الفاروقي في فاتحة الألف الثاني من الهجرة ، قام به خير قيام
مستمكاً بأذيال السنة ، متنكباً طرق المبتدعة ، معرضاً بوجهه عن
متاع الحياة ، غير خائف في ذلك ملامة لائم ولا بأس ملك ، شأن من

(١) ولد من بيت عريق في المجد والعلم ، ينتمي الى سيدنا عمر بن الخطاب ، سنة ٨٧١
من الهجرة النبوية . ونشأ في بيئة دينية صالحة ، واستفاد من للشيخ العارف الخواجه
الباقى بالله (ت سنة ١٠١٢ هـ) في الطريقة ، وكان من صالحى زمانه المعروفين بالورع
والتقوى . وما يجدر ذكره ان شيعه الخواجه الباقي بالله تفرس في وجه امارات
المجد والكمال لاول عهده به وكتب الى بعض اصدقائه :

« قد جاءنا منذ قليل رجل من سرهند ، متضلع من العلم رفيع من القدرة على العمل والجد
ما لا يوصف . وقد جالسنا بضعة ايام ، وأرى بما شاهدت من احواله انه سيكون
سراجا يبين العالم بضيائه » . وما اصدق هذا التفرس . فقد تحقق في ما بعد انه كان
سراجا في ظلمات الهند الخالكة ، فانعم به من سراج ، واكرم بالذي تقف هذا
السراج ، وراضه على العمل . جزاهما الله عن الاسلام خير الجزاء وأجزل لها
المثوبة في الدارين .

- المؤلف -

اخلصوا دينهم لله من خاصته ، رحمه الله رحمة الابرار الصالحين من عباده
ونضر وجهه يوم القيامة .

غربة الاسلام في عصره كما يراها المجدد

نشأ السيد المجدد في النصف الثاني من عهد الملك أكبر ، لكن دعوته
ظهرت في عصر جهان كير ، حينما بلغ أشده وتكاملت معارفه ، الا ان
قلبه كان يسيل حزناً منذ فجر شبابه لما كاث يراه من انتكاس راية
الاسلام وتقلص ظله :

لقد بلغ من غربة الاسلام في هذه الديار ان الكفار يطعنون في
الاسلام ويشيدون بذكر الكفر وأهله من غير ماخوف ولا وجل ،
والمسلمون محظور عليهم ان يقوموا بشعائر الاسلام ويسعوا في
نشر كلمته (١) .

« وقد تغشت العالم ظلمات البدعة والكفر بعد مضي الف سنة
من الهجرة . وجنحت شمس الاسلام والسنة الى الافول (٢) » .

« ومن حيث ان البدعة قد ظهرت وفشت ، يتراءى ان العالم
غارق في بحر من الظلمات . قد غرق العالم كله في بحر البدعة وارتطم في
ظلماتها . فمن السنة ، يقوم لها ويذب عنها ويرد كيد المبتدعين في نخورهم
وعلماء عصرنا أكثرهم من المهالئين للبدعة واعداء السنة ، الساعين في

(١) المکتوبات (٩٢ : الجزء الثاني ، ص ١٦٢)

(٢) المکتوبات (٩٦ : الجزء الثالث ، ص ١٧٤)

القضاء عليها (٣) .

ظهرت دعوة السيد المجدد في زمن جهان كبير (١٠١٤ - ١٠٣٧ هـ) حينما جاهر بالحق وجاهد جهاداً مبروراً في استئصال شأفة البدع والمنكرات .

فبايعه على متابعة السنة واجتناب البدعة خلق كثير ، لا يأتي عليهم الاحصاء ، وانضوى الناس الى كنفه ، ووفد اليه عباد الله من كل صوب وناحية ، حتى خف تيار الاحاد الجارف الذي كاد يذهب بالبقية الباقية من شعائر الدين الحنيف وطفق الاعيان والامراء يرجعون الى الاسلام ويثوبون الى رشدهم .

اضطهاد الحكومة له : بدأت تظهر دعوته في السنين الاولى من حكومة جهان كبير ، فما اضطهدته باديء ذي بدء ، ولكنه لما ألف كتابه^(١) في الرد على الروافض وانتقد اعمالهم وعقائدهم علناً ، كادله بعض أفراد الشيعة وأضرموا له في قلوبهم العداوة يتحينون الفرص لاضطهاده ، فوشوا به الى الملك... حتى أرسل اليه الملك وأمر باحضاره.. ولما دخل على الملك حياه بتحية الاسلام ولم يسجد له شأن اهل زمانه فاستشاط أمراء المملكة غضباً وانتهزوا الفرصة للتنكيل به . لكن المجاهد أبى الا أن يصعد بالحق ويندد برجال الملك وأعمالهم المنكرة ، المعادية للدين الحنيف . فما كان من الملك الا ان أمر بحبسه في سجن كواليار^(٢) . لكن

(٣) المكتوبات (٤٥ : الجزء الثاني ، ص ١٠٣)

(١) رسالة بالفارسية ، أتاها (رد روافض)

(٢) بلدة في وسط الهند . - المؤلف -

جدران السجن ما كانت تمنعه من الدعوة الى الحق والعمل لاعلاء كلمة الدين فتجددت سنة ابن يعقوب (عليها السلام) هناك ، وجعل يدعوا من في السجن من عباد الله الى الحق ويرشدهم الى طاعة الله ورسوله .

حتى وجدت دعوته أذنًا صاغية وقلوباً داعية وتبدلت الارض ، أرض السجن ، غير الارض وشاهد رجال السجن ، والعجب ملء قلوبهم ان خدم السجن ومن فيه من أخلاط الناس وأوباشهم ، جعلوا يتوبون الى الله مولاهم الحق ويتبعون السيد المجدد في ما يأمرهم به من طاعة الله ورسوله . فكتبوا الى الملك يخبرونه بأن المحبوس عندهم قد أحدث في داخل السجن انقلاباً مدهشاً ، وأن « الوحوش الضارية » من قطاع الطرق والمفسدين في الارض قد انقلبوا بدعوته رجالاً برة ، فما أجدد هذا الرجل الورع المصلح بأن يطلق سراحه ويؤا المحل الأسمى الذي يستحقه . فتأثر الملك بذلك^(١) وعفا عنه ودعاه الى مقر حكمه واستقبله ولي عهد المملكة - الأمير خرم الذي اعتلى سرير الملك بعد أبيه متلقباً بـ شاه جهان - استقبلاً باهراً وتلقاه الملك بالترحاب وأكرم مثواه واعتذر^(٢) اليه عما صدر من قبل . فانتهاز المجاهد الفرصة ووعظ الملك وطلب

(١) وقيل ان الملك رأى في ما يري النائم ان الرجل قد ظلم وان رجلاً صالحاً يقول له وهو عاض على يديه : ويحك « قد حبست رجلاً مثله في الصلاح والورع » .

(٢) ويقال ان الملك عاهده على ترك الخمر واتباع اوامر الشرع . أما كون ولي عهد المملكة الأمير خرم الذي اعتلى سرير الملك بعد أبيه ، متلقباً بـ شاه جهان - قد بايعه على اجتناب البدعة واتباع السنة ، فذلك مما لا مجال فيه للريب - المؤلف -

اليه ان يصدر أمره بما يلي :

١ - تحريم السجدة للملك

٢ - الأذن بذبح البقرة

٣ - تعيين القضاة والمحتمسين في كل بلدة .

٤ - إعادة بناء المساجد المنهضة .

٥ - إلغاء القوانين غير الشرعية .

فنفذ الأمر الملكي وحصلت نهضة للدين جديدة بعد ذلك ، فكانت علامة خير وتباشير رحمة . واستبشر المسلمون بذلك وابتهجوا به أيما ابتهاج . هذا ما يرويه عامة كتاب المسلمين من تحريم جهان كير لسجدة التحية او السجدة التعظيمة - كما يقولون - ورجوعه بالملكة الى حظيرة الشرع الشريف واستمساكه بعروة الدين المبين في تدبير أمور الملك وتنظيم شؤونه ، الا ان التاريخ المعاصر لا يشهد بذلك ، ولم نظفر للآن بشهادة تدل على ان الملك جهان كير أصدر أمراً بتحريم السجدة^(١) للملك والاذن بذبح البقرة وغيرهما من الأمور على اقتراح من السيد المجدد او من غير اقتراح منه .

والذي نجزم به في هذا الشأن ، كما يرشدنا اليه التاريخ المعاصر ان الملك جهان كير قد تغير قليلاً في أواخر عهده بالملك عما كان عليه من قبل من اقتفاء أثر أبيه واتباع خطته ، تأثراً بدعوة المجدد ومواعظه

(١) قد ذكر بعض المؤرخين انه استثنى القضاة وكبار علماء الدولة من سجدة التحية له أما الاذن بذبح البقرة ، فلم نظفر عليه بشهادة بوثق بها .

وتأسيا بسيرته (١) .

(١) فمما يذكرك عنه ويؤثر في هذا الباب تشجيع من أراد من الهنادك الوثنيين ان يدين بدين الاسلام ويشهد شهادة الحق .

(٢) ومن مآثره أنه منع بيع الخمر وغيرها من المسكرات على مرأى من الناس ومسمع . ومنها أنه منع المقامرة في الأندية والمجتمعات العامة .

فلنعد الى الحديث عن السيد المجدد ومآثره الخالدة وأكرم به من حديث .

مآثره الجليلة

حينما بلغ السيد المجدد أشده وشاهد بأمر عينه ما آلت اليه حال الاسلام والمسلمين في هذه البلاد ، رأى ان أدواء المسلمين ترجع الى ثلاثة أقسام : -

(١) المملكة المسلمة الغاشمة وأمرؤها الذين اتخذوا الدين هزواً ولعباً .

(٢) علماء السوء الذين اشتروا بآيات الله وأحكامه البينة ثناً قليلاً وجعلوا المناصب الدينية مطية لأهوائهم وقضاء شهواتهم .

(١) مكث السيد المجدد في البلاط الملكي مدة من الزمن بعدما عفا عنه الملك وقربه اليه . فلم يزل - رحمه الله - يعظه ويرشده الى الحق ، كلما سنحت له فرصة ، كما تشهد به مکتوباته . - المؤلف -

(٣) المتصوفة الذين تقولوا على الله ورسوله أقويل وخرافات مما يجه السمع واستبدلوا بالتوحيد الاسلامي وحدة فلسفية تدعى بوحدة الوجود تارة وتشكل بالحلول والاتحاد ، أخرى وهيئات ان تكون لها علاقة بالاسلام .

ولما اطمأن السيد المجدد الى ان نكبات الاسلام في عصره انما نشأت من تلك الفرق الثلاث ، وجه همه الى مقاومتهم وشمر عن ساق الجسد لمناهضتهم ومعارضتهم حسب ما يسهه علمه وقوته . وهذه رسائله ودواوين مكتوباته غاصة بما كتب ودون وألف شاهدة على مدى الدهر بطول باعه في العلوم وقوة حجته في الكلام .

مقاومة السلطة القاهرة : فما كتب لدفع عدوان السلطة القاهرة رسائله الى أمراء المملكة وأعيانها يعظمهم ويرشدهم الى دين الحق ويطلب اليهم ان ينصروا الدين وأهله . وقد نجحت دعوته فيهم نجاحاً ملموساً حتى ان ولي عهد المملكة بايعه على اجتناب المعاصي والرجوع الى الله وازمحل نفوذ الملاحدة من الروافض وغيرهم في البلاط المللكي ، كما تقدم . ولولا ان ضيق نطاق المقام يدعونا الى طرق باب الاختصار لتوسعنا فيه ؛ الا انه يجمل بنا أن نتحف القراء بنموذج من رسائله الداعية الى الحق . فهناك شيئاً ما كتبه في رسالة له الى أحد أتباعه ، ممن كان لهم حظوة لدى المللك :

« أما بقاء شيء من شعائر الكفر ، التي نجم قرننا في العهد الماضي على حالها في هذا العصر ، حينما لم يبق للملك هوى في الكفر وشعائره ، فذلك مما يشق على كل مسلم . وعلى المسلمين أن يبلغوا خبر أولئك الاشرار مسامع

الملك وبينوا له سوء مغبة أعمالهم الشنيعة وبيذلوا الجهد المستطاع في القضاء عليها ، ربما لا يكون الملك قد اطلع على سوءاتهم . وعلى كل ، فلا بد من اخبار الملك بحقيقة المسائل الشرعية ، حتى يبرىء العلماء والذين لهم اسم وشرف في الباب الملكي ذمهم . فان أوزي احد في سبيل الحق والدعوة الى الله ، فنعما هو ؛ وأي محنة ما قاسى الانبياء شدايدها في ابلاغ رسالتهم ، وأي مصيبة ما ابتلوا بها في سبيل الدعوة الالهية التي حملوها واضطلعوا بها ؟ وقد روي عن خيرهم وفضلهم انه قال ^(١) **صلى الله عليه وسلم** « ما أوزي نبي مثل ما أوزيت » .

أما علماء السوء فقد سعى السيد المجدد في دفع اعتدائهم على الدين ، بثلاث طرق :

الأول انه كشف عن عوراتهم وانتقد أعمالهم انتقاداً مرأ ، وأظهر للملأ ضررهم على الدين بكتبتهم للحق واستبدلهم الحياة الدنيا بالآخرة واستترائهم بآيات الله ثمناً قليلاً .

وفي رسائله من ذلك ما سارت بخبره الركبان . وقد تقدم لنا نقل شيء منها في هذا الكتاب . وان شئت الزيادة من هذا الباب فاقراً ما كتب الى أحد امراء المملكة في رسالة له :

« قد بلغنا ان الملك في حاجة الى عدد من العلماء ، لما يحس من نفسه

(١) روى ابن عدي وابن عساكر بسند ضعيف عن جابر مرفوعاً « ما أوزي احد ما أوزيت » وروى ابو نعيم في الحلية عن أنس مرفوعاً « ما أوزي احد مثل ما أوزيت في الله » - الجامع الصغير للسيوطي : ص ١٢٢ - المؤلف -

من ميل الى الاسلام . فالحمد لله على ذلك أولاً وآخرأ . وغير خاف عليكم أن كل مظهر من الفساد في القرن الماضي ، انما ظهر بسوء أعمال العلماء وقبح سيرتهم ، فإياك والتهاون في هذا الشأن وعليك بالصلحين منهم المتشبثين بأذيال الدين . وانما علماء السوء هم لصوص الدين لا يبتغون الا التقرب الى الملك والكرامة في أعين الناس والكبرياء في ارض الله ، أعاذنا الله وإياكم من فتنهم .

علماء السوء : والثاني انه رأى ان علماء السوء ، على ما بهم من الجهل والانتعاس في الشهوات قد ادعى نفر منهم الاجتهاد وحرفوا الكلم عن مواضعه . وتذرعوا بذلك في انجاح دعوتهم الباطلة وتحقيق آمالهم المشؤومة في انتكاس راية الاسلام وخقوق لواء الكفر وعموم الفوضى الدينية والفساد في الارض .

فاعتزم معالجة هذا الداء العضال بالدعوة الى الكتاب العزيز والسنة النبوية والاعتصام بما جرى عليه الصحابة والتابعون لهم ومن جاؤوا من بعدهم من الائمة الاربعة والسلف الصالح .

ومن ثم تراه في رسائله يتكلم في شأن تصحيح العقيدة ويهيب بالناس الى الاخذ بما كان عليه السلف الصالحون والائمة المجتهدون ويدعوهم دائماً الى الاستمسك بما استمسك به جمهور العلماء .

فما كتبه وبعث به الى أتباعه وتلامذته في مختلف الاقطار في هذا الشأن ما جاء في رسالة له :

« علينا جميعاً أن نصح عقائدنا حسب ما أخذه العلماء الربانيون من

الكتاب والسنة وفهموه .

فانه لا عبرة بما نستنبطه نحن من العقائد والاحكام ان عارضت مافهمه أولئك العلماء الفطاحل وتسكروا به .

فانه لا تجد مبتدعاً ولا ضالاً الا ويدعى الأخذ من الكتاب والسنة واستنباط عقائده الباطلة منها . والحال أنه لا يعني من الحق شيئاً^(١) .

التنديد بالبدعة الحسنة : والثالث أنه قد أدرك ببصيرته وثقوب ذهنه أن كل ما يأتي به علماء السوء من المنكرات وقبائح الاعمال انما يأتون به مستظلين بظل البدعة الحسنة ، حتى اتخذوها جنة من كل ما يفترون من المحدثات والكبائر . وفتنة « البدعة الحسنة » لم تكن جديدة وانما استفحل أمرها وتفاقم شرها في عصر السيد المجدد . وماذا عسى ان نقول في بعض كبار العلماء زلت أقدامهم في وحلها وجاءوا بأقوال لا تتفق مع روح الدين والسنة النبوية . وناهيك برجل عالم مثل الطرطوشي^(٢) يقول بوجود البدعة الحسنة في الشريعة الكاملة . وكذلك كبير علماء متأخري الحنفية الملا علي القاري الحنفي (ت سنة ١٠١٤ هـ) يؤيد البدعة الحسنة ، ويستدل على مشروعيتها^(٣) فأنت ترى ان فتنة

(١) المکتوب الـ ١٥٨ : الجزء الاول .

(٢) الباعث على انكار البدع والحوادث للطرطوشي المغربي « ت سنة ٥٢٠ هـ » واختصره بن شامة المغربي - وهو أروع الناس وازهدم بشهادة السيوطي في « حسن المحاضرة : ١ : ١٨٨ » راجع ص ١٤ ، ١٣ .

(٣) راجع الادب في رجب للملا علي القاري « المخطوط برقم ٢٥٦٨ بالخزانة الشرقية في بانسكي بور - الورق ١٩٥ ب » .
- المؤلف -

البدعة الحسنة ، كانت قد تعدت العمامة ووجدت تربة صالحة بين الخاصة ، فأصبحت داء عضالاً أعيا النطاسيين دواءه وعقدة صعب على الحذاق حلها .

ومن هنا تعرف قيمة جهاد السيد المجدد في قمع هذه الفتنة الشنيعة ومساعيه المتواصلة المتتابعة في كبح جماحها واستئصال شأفها . فلما تبين السيد المجدد ان فظائع علماء السوء وسيات أعمالهم وشنائع أقوالهم ، انما ترجع كلها الى أصل واحد وهي البدعة الحسنة ، أعلن بالجهاد على هذا المنكر وبذل كل ما آتاه الله من تصلب في الفكرة وحكمة في الدعوة وبراعة في الحجة وبلاغة في البيان لدرء هذه الفتنة والكشف عن عورتها .

وهذه مكاتباته تراها مكتظة بانتقاد البدعة والرد عليها . وناهيك بها من شهادة . وهالك بعض ماجاء فيها من قول رصين وعظة بالغة :

« النصيحة هي الدين ومتابعة سيد المرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام واتيان السنة السنية والاجتناب عن (كذا) البدعة اللامرضية وان كانت البدعة ترى مثل فلق الصبح ، لأنه في الحقيقة لانور فيها ولا ضياء ، ولا للعليل منها شفاء ولا للداء منها دواء . كيف ، والبدعة اما رافعة للسنة أو ساكتة عنها . والساكتة لا بد وأن تكون زائدة على السنة . فتكون ناسخة لها في الحقيقة أيضاً ، لان الزيادة على النص نسخ له .

فالبدعة كيف كانت ، تكون رافعة للسنة ، نقيضة لها ، فلاخير فيها ولا حسن فيها ، ليت شعري ، من أين حكموا بحسن البدعة المحدثه في

الدين الكامل^(١) وورد في مكتوب له آخر الى بعض أصحابه : « يسأل هذا الفقير الى الله ، متضرعاً اليه تعالى سبحانه أن يقيه والذين معه شرور كل ما استحدث في الدين وابتدع بما لم يكن له أثر في زمن النبي ﷺ وخلفائه الراشدين - رضي الله عنهم أجمعين - ، وان يتراى للناس مستنيراً مثل فلق الصبح - يدعو الله أن يجعلنا في منجاة من تلك البدع المستحدثة . يقولون ان البدعة تنقسم الى نوعين : الحسنة والسيدة . أما هذا العاجز فلا يرى في شيء من هذه البدع حسناً ولا نوراً ولا يشاهد فيها الا ظلمة وقذراً .

وقد قال سيد البشر عليه وعلى آله التسليمات ، من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد . وقال عليه الصلاة والسلام اياكم ومحدثات الامور ، فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة . فاذا ثبت ان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، فأبي معنى لوجود الحسن في البدعة وأي علاقة بينهما ؟

هذا هو شأن المجدد ، يبين للناس المحجة الواضحة ويدفع عن أبصار الناس دياجير الشكوك والالوهام ، لا يعرفون في ذلك خوف ولا وجل . فالذي كتبه السيد المجدد ودعا اليه من التشبث بأذيال السنة واجتناب البدعة ، ولو كانت مبرقة بنقاب الحسن ، يعد من جلائل أعماله وحسنه من حسناته العظيمة . فان علماء السوء والمتصوفين قد تعودوا منذ قرون

(١) المكتوب التاسع عشر ، الجزء الثاني . ص ٣٢ ، وما يجب التنبيه عليه ان هذا المكتوب ورد في الاصل بالعربية فأثبتناه بحروفه ههنا . - المؤلف -

أن يتخذوا البدعة الحسنة جنة لمنكراتهم وشنائع أعمالهم ويدافعوا عن أنفسهم وعن سيئاتهم مستترين من ورائها .

فكلما انكرت عليهم شيئاً من أقوالهم أو أعمالهم ، قالوا : انها بدعة حسنة ، وكلما انتقدت عليهم شيئاً من بدعهم ، مالبثوا أن واجهوك بمجن (الحسنة) . ما أفدح الخطب وما أظفعه !! قال النبي ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه ، فهو رد » . وهام أولاء كلاب الدنيا من علماء السوء والمتصوفة المشعوذين مازالوا يختلقون البدع والمنكرات ويدسونها في الدين الكامل .

واذا قلت لهم : « ماشأن البدع في حمي الدين الكامل ؟ » ، قالوا « انها بدعة حسنة » كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، ان يقولون الا كذبا فرحم الله السيد المجدد رحمة الابرار الصالحين من عباده وجزاه الله عنا وعن الاسلام خير الجزاء ان قام لنصرة الدين والذب عن حمي السنة الطاهرة المرضية .

الرد على الصوفية ومعتقداتهم الباطلة :

اما المتصوفة المتفلسفون الذين هجروا الكتاب والسنة واتبعوا ماشاؤوا وشاءت أهواؤهم من النظريات الباطلة والآراء الواهية السخيفة ، فانتقد معتقداتهم وأعمالهم وبين لهم وللناس ما التبس عليهم من بينات الدين وبحكماته وندد بالذين آثروا أقوال مشايخهم على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وكشف عن عوراتهم وفضائحهم حتي صرح المحض عن الزبد وتجلى صبح الحقيقة لكل ذي عينين .

آ - وحدة الوجود : ومن أكبر مازلت فيه أقدام الصوفية ، هو القول بوحدة الوجود التي ربما تنجر الى القول بالحلول والاتحاد ، مما تقدمت لنا الإشارة اليه في بدء هذا الكتاب (١) .

فما كان من المجدد الا ان صرف معظم همهم في نقض هذه العقيدة الباطلة واماطة اللثام عن سوءاتها ، حتى لا يبقى في القوس منزع ظفر للشك ، وتبرد قلوب الذين يريدون الحق ويحبون ان يجتنبوا الباطل ، اذا تبين لهم .

ومن حسن المصادفة أن السيد المجدد كان أجدر من غيره بخوض هذه المعركة ، لأنه كان بنفسه من رجال الطريقة المعدودين وكان في بدء عهده قد مارس فنون الرياضة والاشغال الشاقة التي يمارسها الصوفية للتركية بزعمهم . فما كان ليخفي عليه شيء من أباطيلهم وتوهماتهم . ومن ثم ترى أنه لما أعلن في رسائله أن ابن عربي الحاتمي الاندلسي (ت ٦٣٨ هـ) - وهو رأس من قالوا بوحدة الوجود - قد زلقت رجله في ثناء الطريق ، وانخدع بما يعتري السالك من الاحوال في (سفره) ويتراءى له من وحدة هذا الوجود .

(١) للصوفية تعاريف مختلفة لعقيدتهم المحبوبة وحدة الوجود . واساس هذه العقيدة « ان الله هو الموجود ولا شيء غيره ولا أصل لشيء غيره في الوجود . وذلك الموجود الحقيقي ينبوع الوجود كله وعلته والموجود هو الله » . فأنت ترى ان هذا تحريف شنيع وتعبير غريب عن عقيدة التوحيد في الاسلام . الاسلام يدعو الى ان « لا إله إلا الله » وابن عربي يستخرج من هذا ان لا موجود الا الله » وهذه العقيدة الوجودية تتشكل بصورتين : اما القول بان هذا العالم الظاهر خيال محض وان الله هو الموجود فقط في نفس الامر » . او كما يقول البعض « ان هذا العالم الظاهر هو الموجود في الحقيقة -

ولو تقدم خطوة أخرى لشاهد ان لاوحدة بين وجودي العبد
 والمعبود وأن الله هو الراء ثم وراء الراء ثم وراء الراء - لما أعلن
 ذلك لم ينكر عليه أحد . واني لهم التجاسر على ذلك ، وهم يعلمون أن
 السيد المجدد من كبار رجال الطريقة ، المطلعين على أسرارها ودقائقها !
 ولما يفارقهم في أنه مستمسك بعروة التوحيد التنزيهي - حسب تعبيره -
 ومتشبت بأذيال السنة النبوية الطاهرة . والسيد المجدد بجوثر وآراء ناضجة
 في نقض عقيدة وحدة الوجود والرد على ابن عربي^(٢) وغيره من القائلين بها ،
 تنحف القاريء بشيء منها ، ومن شاء التوسع فليراجع كتاب « تصور
 المجدد للتوحيد » (The Mufaddids Cenceptionof Taubid)

- وان الله قد اوجدته الظنون والاهام .« وكنتا هاتين الصورتين ، منافضتان لعقيدة
 الاسلام معاديتان لها ، اما ابن عربي - وهو إمام الوجوديين بين الصوفية المسلمين -
 فقد اختار الصورة الاولى وكل ما يترتب عليها من نتائج منطقية .
 (٢) اول من رد على ابن عربي وكشف عن عوراته الامام ابن تيمية الحراني (ت سنة
 ٨٢٨ هـ) مستدلاً بالكتاب والسنة ، لكن الذين اصبوا بداء التصوف لا يقيمون
 للكتاب والسنة وزناً ، اذا وجدوا نصاً لاحد شائخهم يعارض نصوص الله ورسوله
 ومن ثم نعت مؤلفات ابن تيمية المتصوفة واتباعهم الا قليلا اما السيد المجدد فما كان
 في وسعهم ان يقولوا فيه كما قالوا في ابن تيمية وغيره من انهم لا يعرفون الطريقة
 وماذا فوا حلاوة السلوك ، واني لهم ان يتفوهوا بذلك . وقد رد على امامهم ابن عربي
 من طريق تجارب الطريقة والسلوك نفسها ، كأني به غزاهم في عقر دارهم وبسلاحهم
 فجزاه الله عن الاسلام خير جزاء .
 - المؤلف -

للدكتور برهان أحمد الفاروقي فانه اصاب الخبز وطبق * المفصل في هذا الباب ، فمما جاء في مكتوب له : - « القول بأن الممكن عين ذات الواجب تعالى شأنه ، وصفات الممكن وأفعاله (عين صفاته وأفعاله) جل قدره ، سوء أدب والحاد في أسمائه تعالى وصفاته » ^(١) وكذلك ورد في كتاب له :

« اياك وأن تنخدع بترهات الصوفية وترغم أن غير الحق والحق جل وعز شأنه ، كلاما واحدا لافرق بينهما » ^(٢) ، ومن أقواله في هذه المسألة :
« لا يتحد الله تعالى شأنه بشيء من الاشياء . والذي يظن — ر من كلام الصوفية من معني الاتحاد . انما هو بما لا يمكن أن يكون مرادهم به على ظاهره .

فان مرادهم بهذا الكلام المشعر بالاتحاد — اذا تم الفقر فهو الله — أنه اذا اكمل الفقر وحصل العدم المحض فلا يبقى في نظره الا الله تعالى ولا يترأى للسالك غيره . وليس مرادهم به أن الفقير ، أي الصوفي ، والحق تعالى شأنه يتحدان ، فانه كفر وزندقة . تعالى سبحانه عما يتوهم

(١) ج ٢ : المكتوب الاول

(٢) ج ١ : ص ٣٤٧ ، المكتوب رقم : ٢٧٢ . - المؤلف -

* طبق المفصل بفتح الميم وكسر الصاد واصاب الخبز بفتح الميم والحاء تقال عنه الاجادة . - الناشر -

الظالمون علواً كبيراً» (١). فأنت ترى أنه يؤول كلامهم تأويلاً حسناً ،
 وذلك شأنه دائماً في رده على الصوفية وعقيدتهم الباطلة هذه . فانه يؤول
 كلامهم حسب مايسعه ويصرفه الى معنى لا يناقض عقيدة الاسلام الثابتة
 من التوحيد التنزيهي ، وان لم يستطع فيضرب به عرض الحائط ويعارضهم
 ويرد عليهم مستمسكاً بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ .

المكاشفات : ومن ضلالات المتصوفة وأتباعهم التي نفقت سوقها
 وكثر المعتقدون بها أنهم يعتمدون على « مكاشفات » مشايخهم ويثقون بها
 ويعملون حسب مقتضاها ، وان خالفت نصوص الكتاب والسنة . فان
 قلت لهم : سبابا لكم تؤمنون بمظنونات مشايخكم وأحلامهم « ومكاشفاتهم »
 - حسب تعبير القوم - والحال أنها معارضة لنصوص الشرع البينات ؟
 قالوا « هذه من أسرار الطريقة لا يدركها الا المشايخ والصوفية . » الى
 غيرها من أباطيلهم وخزבלاتهم .

ومن حسنات السيد المجدد التي تذكر وتشكر أنه رد على أمثال
 أولئك المتصوفة وأتباعهم رداً عنيفاً وبين لهم بكل قوته أن الكتاب
 والسنة هما أساس الدين ، واليهما المرجع في المسائل الشرعية . فمما كتب في
 هذه المسألة العظيمة الشأن :

« انما المعتبر في اثبات الاحكام الشرعية ، الكتاب والسنة ، والقياس
 والاجماع ايضاً مما تثبت به الاحكام . وليس هناك حجة اخرى ، غير هذه
 الاربعة في اثبات الاحكام الشرعية ، اما الهام الاولياء فلا يحل حراما

(١) ج ١ : ص ٣١٤ ، المكتوب : رقم ٣١٤

ولا يحرم حلالاً . وكذلك (كشف) الصوفية ، لا عمل لها في وجوب شيء من الاحكام او جعلها سنة . والذين حظوا بالولاية الخاصة من الصوفية لا فرق بينهم وبين العامة في تقليدهم الاثمة المجتهدين (١) »

اما الرياضات والمجاهدات التي اختارها المتصوفة ؛ متنبكة السنة فلا عبوة بها ، لان البراهمة واليوكية والفلاسفة من الهناك ايضاً مشاركون لهم في هذه الصناعة ، لكنها لا تزيدهم الا ضللاً وخسراً (٢) .

وكذلك تطرق السيد المجدد الى منكرات المتصوفة في عصره ، التي اتخذوها ديناً لهم وعصوا عليها بالنواجذ فانتقدها انتقاداً صريحاً لا يشوبه ادنى غموض ولا ابهام ، فمن ذلك قوله في مكتوب له :

« وما لاريب فيه ان السماع والرقص من باب اللهو واللعب : والآيات والاحاديث وأقوال الفقهاء متضافرة في تحريم الغناء ، بحيث لا يأتي عليها الا حياء . .

وما أفنى مفت في عصر من العصور باباحة الرقص والغناء والمزامير . اما عمل الصوفية فليس حجة في تحليل شيء وتحريمه وأقصى ما يسعنا في شأنهم ان لا نلومهم ولا نذكرهم بسوء بل نفوض أمرهم الى الله . وانما العبرة في مثل هذه المواقف بأقوال الأئمة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد ابن الحسن لا بعمل أبي بكر شبلى وأبي الحسن الثوري . وانما اتخذ

(١) ج ٢ ، ص ١٠٨ - المكتوب الخامس والخمسون

(٢) ج ١ ، ص ٢٣٦ - المكتوب رقم ٢٢١

صوفية عصرنا الرقص والغناء ديناً لهم وشعاراً ، متسترين وراء اعمال مشايخهم ، مستندين اليها .

أولئك الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً^(١)

ومكتوبات السيد المجدد طافحة بمثل هذه الاقوال المارضية الناصرة للسنة السنية .

وكان - رحمه الله ونصر وجهه يوم القيامة - حريصاً على اتباع السنة . مولعاً بالعمل بها . فكان لذلك تأثيره في رجوع الناس الى الحديث النبوي ودراسة ، حتى نشأت بعد ذلك طائفة - ولو كانت قليلة - من الصوفية المحدثين .

الشيخ عبد الحق الدهلوي - ٩٥٨ - ١٠٥٢

اذا ذكرنا جهاد الشيخ المجدد السرهندي وأعماله الجليلة فلا يناسب اغفال ذكر الشيخ عبد الحق الدهلوي^(٢) الذي كان معاصراً للسيد المجدد وهو الذي أحيى علم الحديث في شمالي الهند وجعل خزانته في متناول

(١) ج ١ ، ص ٣٣٥ - المكتوب رقم ٢٦٦ .

(٢) ولد سنة ٩٥٨ هـ في دهلي ، عاصمة الهند . وبعد ان تلقى العلوم على والده ، ارتحل الى الحرمين الشريفين وصحب الشيخ عبد الوهاب المتقي « ت سنة ١٠٠١ هـ » وقرأ عليه الكتب الستة . ثم عاد الى الوطن واستقر به وظل ينشر العلم ويخدم السنة الى ان توفي سنة ١٠٥٢ هـ اما شيخه عبد الوهاب المتقي فهو اخذ عن الشيخ علي المتقي « ت سنة ٩٧٥ هـ » صاحب كنز العمال وقد اسلفنا شيئاً من ذكره في ماتقدم من هذا الكتاب .

- المؤلف -

الناس ليأخذوا منها ماشاؤوا . وصنف كتباً كثيرة أجاد في تأليفها حتى
أثنى عليه الفقهاء والصوفية معاً واتفقوا على جلالة شأنه وعلو قدره .
ومن أشهر مؤلفاته « اللغات ، شرح مشكاة المصابيح بالعربية ،
وأشعة اللغات بالفارسية » .

ذكرنا الشيخ ههنا في من بذلوا جهدهم في تجديد الدين واحياء
السنة الصحيحة ، والحال أننا ما ذكرنا في عداد اولئك غيره من فطاحل
العلماء الذين تقدموه او عاصروه . ولنا في ذلك عذر ، لان عامة علماء
الهند ، ولاسيا في شمالي البلاد ، ما كانوا يلتفتون الى علم الحديث والسنة
النبوية الا قليلاً ، بل كان جل همهم في كتب المنطق والفلسفة او الفقه ،
فغفلوا عن معين العلم الصحيح وأنغلوا ، رحمهم الله وتجاوز عن سياهم .
واما الشيخ عبد الحق فهو اول رجل سعى سعيه في نشر علوم
السنة وبذل الجهد المستطاع في بث معارفها وكان سعيه مشكوراً بفضل
الله وتوفيق من عنده ، فله منة في أعناقنا ويد على مسلمي الهند لاتنكر
ولا تنسى ، لان ذبوع علم الحديث وانتشار السنة الصحيحة مما يقرب الناس
بنفسه الى الدين الصحيح ويديني الطالب من عيونه الثائرة * ويحث
المسلم المتعطش على ان يرتوي منه ماشاء ان يرتوي

وأحدث المعاصرة التنافر بين الشيخ والسيد المجدد اولاً ، كما

* العين الثائرة والثارة والثره بمعنى واحد وهي الغزيرة الماء - الناشرون -

جرت به العادة . والمعاصرة فتنة قلما سلم^(١) منها أحد . ثم زال ما بينهما من
التنافر وسوء التفاهم وعمل حسن طوبتهما في عقد أوامر الود والاخاء ، حتى
اتحد أحفادهما فيما بعد لإصلاح المسلمين وأرشادهم الى سبيل الحق .

الملك عالم كير اورنك زيب - ١٠٦٨ - ١١١٨ هـ

لقد عرفت فيما تقدم من أبواب هذا الكتاب ان الملك جهان كير
(١٠١٤ - ١٠٣٧ هـ) قد تغير قليلاً في أواخر سني حكمته عما كان قد
تابع عليه أباه من اضطهاد المسلمين وعدم الاهتمام بالدين . فأعفى المسلمين
من كثير من الاضطهادات الشائنة والتضيقات الخزية التي حملوها في عصر
أبيه الطاغية أكبر (٩٦٤ - ١٠١٤ هـ) .

ثم خلفه من بعده نجله ولي عهده الأمير خرم وتلقب بشاه جهان
(١٠٣٧ - ١٠٦٨ هـ) ، وهو الذي بايع السيد المجدد في زمن ولاية
عهده على اجتناب المعاصي وإطراح المآثم . فأصلح كثيراً من المفاصل التي
تسربت الى داخل المملكة وتعلقت في عروقها ، وحصلت المسلمين في
عصره حرية لأبأس بها في أداء واجباتهم والدعوة الى دينهم ، وتطورت
الثقافة أيما تطور وتطهرت الابنية والملابس وطرق المعيشة وأزياؤها من
طابع الوثنية واطرحت الصبغة الهندكية أطراحاً تاماً . واني لمفوض اليك

(١) « ولو فتحنا هذا الباب واخذنا بقول المعاصرين بعضهم في بعض لما سلم لنا احد من
الائمة بل - أجل الصحابة والتابعين - كما قاله الذهبي » ت سنة ٧٢٨ هـ في احدى
رسائله (نقلا عن كتاب « تذكرة » لابي الكلام آزاد : ص ١٤٣ في الحاشية) .

يمثل على ذلك حتى تنجلي الحقيقة ويتضح الامر .

٦- الرجل المسلم :

قد عرفت بما أسلفنا من الكلام أن الكتاب والمؤلفين كلهم كانوا يبدؤون مؤلفاتهم في عصر الملكين اكبر وجهان كير بشعار الله أكبر مشير - ولو من طرف خفي - الى ما كانوا يعتقدون من عصاة اكبر وتسنيه غارب الالوهية أعادنا الله واياكم من هذه الخزعبلات . ولما اعتلى شاه جهان سرير الملك واخذ زمام الامر بيده ، جعل شعاره « الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب » فاقتفى الناس أثره وامحت هذه البدعة لكنه لم يتمكن من القضاء على البدع الاكبرية ، جميعاً خوفاً على سلطانه او لضعف في عزيمته ، فبقيت الحاجة ماسة الى ملك يعالج بحزم ودهاء الشرور التي بذر بذورها وتولى كبرها الملك اكبر ويسعي سعياً متواصلاً في قمع الفتن التي تأصلت جذورها وتمكنت من قلوب العامة والخاصة ؛ فأنجز الله الامر وأكمل المهمة على يد أبي المظفر عالم كير أورنك زيب بن شاه جهان بن جهان كير بن اكبر ، الذي تولى الامر بعد أبيه سنة ١٠٦٨ للهجرة النبوية ، بعدما استبد بالملك دون شقيقه الاكبر دارا شكوه وقهره قهراً .

وما كان النزاع بين الامير دارا شكوه وعالم كير نزاعاً في الملك فحسب ؛ وانما كان نزاعاً بين فكرتين (Idologies) متناقضتين ، كان أحدهما - دارا شكوه - يريد ان يحيي مآثر جده الاكبر - اكبر بن همايون - ويجذو جذوه في التوفيق بين الاسلام والوثنية والاخذ بيد الزندقة والاحاد .

والآخر - عالم كبير أورك زيب كان يجب ان يحيي سنة سيد المرسلين صلوات الله عليه وسلامه ، وينتصر للاسلام من يناوؤونه ويجعل كلمته هي العليا قالوا « لو كانت الغلبة والنصر للامير دارا شكوه، لبقيت الحكومة المغولية عزيزة الجانب مرفوعة الرأس أمدأ غير قليل من الزمان لالتفاف الهنادك حول رأيتها » .

قلنا : اي ونعم ! لا نستبعد ذلك ، يمكن ان تكون قد بقيت الى يومنا هذا - وليس من همنا الآن أن نخوض غمار هذا الموضوع - لكن الذي لا نشك فيه أنه لو كان الظفر والغلبة لدارا شكوه لما بقي في هذه الديار للاسلام عين ولا أثر .

والحق أن عالم كبير أول ملك من ملوك المسلمين في الهند - اذا استثنينا بعض ملوك آل تغلق - استمسك بعروة الدين الوثقى وعاش عيشة الزهاد والفقراء ، يقوم الليل ويصوم النهار . وهو الذي أعاد للدين المبين في عصره نضرتة وشبابه وألغى القوانين المناقضة للشرع واكرم العلم والعلماء وقضى على البدع والمنكرات . وكان الى ذلك ، من كبار ملوك الهند قديماً وحديثاً . وان كان في طول العمر واتساع مدة الحكومة فضل للرجل وشهادة على نبوغه وشدة مراسه وصلابة قناته ، فالمملك عالم كبير لا يضاھيه في هذا الشأن ملك من ملوك الهند ، لافي القديم ولا الحديث من تاريخها .

فلم يتول الامر كبير ملوك الهند القدماء (آشوك) (٢٧٣ - ٢٣٢ ق.م) الا احدى اربعين سنة ، وكذلك لم يتول (بكر

ماجيت) ، من ملوك الهنادك (٣١٥ - ٣٧٥ ق.م) اكثر من اربعين عاماً . وهذا فيروز شاه تغلق من كبار ملوك الهند ، ملك الامر ثانية وثلاثين عاماً فقط . اما اكبر ، فهو يضاعيه في بادىء الراي ، لكن الحقيقة انه نودي به ملكا وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، فتولى الامر عنه بيرم خان الى ان بلغ اشده واخذ زمام الامر بيده . وذلك بعد خمس سنوات ، اما صاحبنا ، فتولى الامر وهو ابن اربعين ، منجذ^(١) في الحروب ، رجل السياسة وواحد .

ب- ميزاته ومآثره :

ومن ميزاته ان الحكومة المغولية ما اتسع نطاقها في زمن اتساعها في عهده . وكذلك زادت ثروة البلاد ازدياداً يدهش له القاريء ، الى غيرها من جلائل اعماله ومآثره الخالدة التي تضيق عنها بطون الاسفار . لكنه من دواعي الاسف والالام ان المؤرخين الافرنج والهنداك وصموا هذا الملك العادل الزاهد بمعاييب واختلقوا عليه اكاذيب ، وكأنهم ارادوا ان يطووا اعماله الجليلة طياً ويمحو مآثره الخالدة محواً .

(١) ومن أعاجيب شجاعته وإيمانه بالله ما روى أنه بينما كان يقاتل عبد العزيز البلخي ، اذ حانت صلاة الظهر والمركة حام وطيسها . فإكان منه الا ان نزل عن صهوة جواده واصطف بن معه من الجند للصلاة مع ان رجال معيته وأصحابه ألحوا عليه في الامتناع عن ذلك خشية على نفسه . فأدى الصلاة كأحسن ما يؤدي المرء ، فتأثر بذلك عبد العزيز البلخي وطلب الهدنة فأثلا : مقاتلة مثل هذا الرجل انكسار وجريمة . (عن ، رودكوثر ، ص ٢٧٦) .

- المؤلف -

- الناشر -

منجذ في الحرب : متمرس بها .

اما مفترياتهم ، فلا يسكاد يأتي عليها عد . وقد انبرى للرد عليهم
لفيف من كتابنا المحققين وعلى رأسهم العلامة شبلي النعماني (ف سنة
١٣٣٢ / ١٩١٤) .

فلنعد الى الكلام عن مآثره وخدماته للدين الخفيف .
فمن جلائل اعماله التي تذكر وبلسان الثناء تؤثر أنه ألغى جميع
البدع والمنكرات التي روجها اكبر ونقضها عروة عروة . ودونك
فذلكتها :

(١) ألغى التقويم الالهى الشمسى .

(٢) منع الاحتفال بعيد رأس السنة الشمسية .

(٣) أذن أولاً للمغنين ان يحضروا باب الملك بشرط ان يمتنعوا
عن الرقص والغناء . وبعد قليل حظر عليهم ذلك ايضاً .

(٤) قد جرت عادة ملوك المغول في الهند ان يزونا أنفسهم
بالذهب والجواهر الثمينة ويتصدقوا بها على الفقراء وذوي
الحاجة زعماً منهم ان هذه تقيم نواب الدهر وتدفع عنهم
شرها . فألغاهم أورنگ زيب في السنة الثانية عشرة
من حكمه .

(٥) وفي السنة نفسها عزل المنجمين عن مناصبهم .

(٦) ومن عادة بعض ملوك المغول أنهم كانوا يطولون من شرف
قصورهم وحصونهم كل صباح لتمتع الرعية بالنظر الى
وجوههم الميمونة ، شأن الملوك الوثنين في رعيهم ، اذ

كانوا يعبدون ملوكهم ويقدمونهم . وقد أصر على هذه
البدعة المشؤومة الملك شاه جهان (١٠٣٧ - ١٠٦٨ هـ)
على ما كان به من رزاة وسلامة في الفكر .

ما الملك أورنگ زيب ، فما كان ليتحمل هذه الصنيعه ،
فأمر بالانقطاع عنها في السنة الحادية عشرة من توليه الأمر .
(٧) أصدر أمراً بأن لا ينسج شيء من الثياب الذهبية في دار
الصناعة الملكية .

(٨) قد عرفت بما أسلفنا ان اكبر أباح بيع الخمر علناً ، ثم منع
ولده جهان كير (١٠١٤ - ١٠٣٧ هـ) بيعها العلني ، الا أن أمره بذلك
لم يغن شيئاً ، اذ كان بنفسه مدمناً للخمر سكيراً وأباح للناس ان يتعاطوها
في بيوتهم ، بحيث لا تقع عليها عين الناظر . ولما تبوا شاه جهان عرش الملك
أصدر امره السامي بمنع بيع الخمر بتاتا ، الا انه استثنى النصارى من
ذلك وابعاح لهم ان يصنعوا لانفسهم مشاؤوا من انواع الشراب .

لكن اورنگ زيب الملك المسلم الزاهد ؛ ما كان ليقنع باصدار
الاوامر فقط ، بل اعتزم ان يستأصل شأفة ام الجبائث ويبحث شجرة الشر
من جذورها . فأفرد مصلحة خاصة للاحتساب الشرعي وعين لها موظفين
وعمالا يقومون على تنفيذ امره ويسعون سعيهم في البحث عن عسى ان
يكون قد اقتوف هذا الكبيرة . فكان كل من يؤخذ ببيع الخمر يعاقب
بالضرب بالدرة او الحبس . وهذه مآثرة لهذا الملك المسلم لم يستطع
جحودها من يصونه بكل عيب وينسبون اليه كل قبيحة .

وهاك ماقاله أحد معاصرينا من مؤرخي الهنادك بعدما فصل القول في جهوده المتابعة للقضاء على هذا المنكر الشنيع :

« ... لكنه لم يكن ممكناً ان يحق هذه الجريمة محققاً بحيث لا يبقى لها عين ولا اثر ، لان الفساد كان قد بلغ من قبله مبلغاً ماعاد يمكن معه القضاء عليه واستئصال شأفته ، الا ان الفخار كل الفخار لاورك زيب ، اذ لم يأل جهداً في ابتغاء ذلك الحال ^(١) »

(٩) وكذلك صدر الامر الملكي للبغايا والراقصات أن يتزوجن او يخرجن من حدود المملكة .
(١٠) منع المقامرة .

ج - نظام الحكم في عصره :

هذا برض من عد وقليل من كثير فيه كفاية لمن اراد معرفة مزيتة بين اجداده . وجملة القول ان الملك اورنك زيب كان مثلاً حسناً ، ملكاً مسلم ، وورث المملكة الارستقراطية عن آبائنه واحب ان يبقى متقيدا بقيودها محافظاً على خصائصها . وفي الوقت نفسه تمنى من صميم فؤاده ان يبقى مسلماً صادقاً ، مستمسكاً بأذيال الكتاب والسنة ، مطيعاً لماورد فيها من نظم للحياة البشرية وقوانين للسعادة الانسانية . فكأنني به اراد ان يجمع بين نقيضين من حيث يشعر ولا يشعر ، لان الاسلام لايعرف للأمير او الخليفة السلطان المطلق ، والممالك المسماة الهندية كلها

(١) شرما : ص ١٢٢

كانت ارستقراطية بحتة ، لم تكن من نظام الحكم الاسلامي في قليل
ولا كثير .

وإنما كانت يختلف ضررها باختلاف الملوك وافكارهم الشخصية
وميوهم الذاتية ووجهات نظر كل منهم فاذا اعتلى سرير الملك رجل صالح
مثل فيروز تغلق (٧٥٢-٧٨٩ هـ) او أورنگ زيب (١٠٦٨-١١١٨ هـ)
تجلت الثقافة الاسلامية بأجلى مظاهرها وظهر للأمام في الاسلام وقوانينه
المدنية من حكمة وبصر بطابع الامم . وان امتلك ناصية الامر رجل
لا يابيه لأوامر الشرع ولا يحتفل بهامثل علاء الدين الخلجي (٦٩٥-٧١٦ هـ)
انتكست راية الاسلام وانكسفت شمس محاسن الدين المبين ونظمه الادارية
واذا شاء ربك ان يستبد بالامر طاغية مثل جلال الدين اكبر (٩٦٤ -
١٠١٤ هـ) ، يتخذ دين الله هزوا ولعبا وينصب لأهله العداء ، فلا عجب
ان ضاقت على المسلمين الارض بما رحبت وحسبت ان لا ملجأ لهم من
عدوانه واضطهاده الا الى الله جل وعز شأنه .

فأنت ترى ان ملوك الهند المسلمين ما كانوا يتقيدون بشيء من
نظام الحكم الاسلامي ولم يكن لهم دستور او قانون اساسي يسيرون عليه
ويعملون بقتضاه وانما كان الصالحون منهم يودون من تلقاء انفسهم ان
يكوق الشرع الاسلامي رائدهم في تنظيم أمور المملكة يرجعون اليه
إذا أشكل عليهم شيء أو عرضت ملهمة ؛ فكأنهم كانوا يسعون ان يجمعوا
بين طرفي نقيض ، كما قلت آنفاً . ومن ثم تراهم يخطئون كثيراً في
تطبيق الشرع الاسلامي والتوفيق بينه وبين ميوهم الاستبدادية الارستقراطية

فبينما نرى الملك اورنك زيب - وهو أورعهم وأوقفهم عند حدود الله ورسوله - يضرب الجزية على سكان البلاد ، نجده في الوقت نفسه يهدم معابدهم وأوثانهم ، مع ان الشرع لم يسمح بهدم معابد أهل الذمة الذين تضرب عليهم الجزية .

وبينا نقرأ كثيراً في كتب التاريخ عن كمال خلقه واتزان طبعه واعتدال سيرته ، اذ بحادثة خطيرة تستوقفنا - وان كانت تافهة في بادئ امرها - تجعلنا في حيرة من أمره وبيان ذلك انه «... في السابع والعشرين من شعبان من سنة ١٠٨٧ للهجرة - السنة التاسعة عشر من توليه الأمر - دنا منه أحد السقاة على سلام الجامع الكبير وحياه بتحية الاسلام . فنفذ الأمر الملكي بأن يفوض الى الشرطة^(١) »

هذه هي غطرسة الملك وكبرياء الارستقراطية . وهذا شأن الملوك في كل بلد وفي كل زمان . وقد أحسن الاسلام اذ قضى على هذه وتلك قضاء لاهياة بعده

ولست تبعة هذا النظام على اورنك زيب فهو من تقاليد ملوك المغول الارستقراطيين وانما يؤخذ عليه أنه لم يتطهر من أرجاس النظام

(١) تبصرة الناظرين (من كرائم مخطوطات الخزانة الشرقية في بانكي بور : رقم ١٥٨) للمير السيد محمد بن عبد الجليل البلكرامي . وهالك نص المباراة بالفارسية :
منه جلوس نوزدم . . . بيت ويغم شعبان آبدارى بزرينك مجد جامع نزيديك ميده
سلام عليك كنف حك شد حواله كوئوال ثنائيد (الصحيفة : ٥٩)

المهين في عصرة تطهراً كاملاً . وقد يعذر من يكون في مثل موقفه الخرج .

وكذلك نجد هذا الملك الصالح يتعاطى بعض البدع مع أنه نفسه قضى على معظم البدع التي كان قد استحدثها أكبر ورجال حاشيته . وما لنا نلومه على ذلك ، حينما نرى علماء عصره متمسكين في ظلمات البدع يخبطون فيها خبط عشواء^(١) .

وانا ذاكرون لك شيئاً منها عن قريب ، ان شاء الله تعالى .
وجملة القول ان الملك اورنك زيب قد خدم الدين وأحيا مآثره وبذل الجهد المستنطاع لاعلاء كلمته ورفع شأنه في زمان قل فيه ناصره فأدى الواجب وقام بما عليه وله يد على كل مسلم في هذه البلاد لانتسب أبداً الدهر . نضر الله وجهه يوم القيامة وتجاوز عن سيئاته .

(١) راجع تبصرة الناظرين . ص ٩٦، ١١٩، ١١٨، ١٨٧، ٤٨٦ مخطوطة من كراشم مخطوطات الخزانة الشرقية في بانكبي بور .
- المؤلف -

الإمام ولي الله الدهلوي

ومن تبعه

١١١٤ - ١١٧٦ هـ

الهند الإسلامية في عصره :

دخل الاسلام الهند من طريق الجبال الشمالية الغربية في أواخر القرن الرابع للهجرة . وقد حدثناك فيما اسلفنا عن غربة الاسلام خلال القرون الستة التي تلت محمودا الغزنوي (٣٨١ - ٤٢١ هـ) وما كان عليه المسلمون من جهل فاضح بدينهم وما نشره بعض ملوكهم من الفساد والضلال فتجاوزوا فيه الحد ، وكذلك مر بك فيما تقدم انه ما نبغ في المسلمين طوال تلك القرون من يجدد لهم أمر دينهم ويحيي مآثر الاسلام في هذه البلاد ويبعيد لها نضرتها وشبابها الا رجلين صالحين : احدهما كان فقيراً ملك على الناس مشاعرهم وقلوبهم فارشدهم الى مواطن الحق وسعى سعيه في اخراجهم من ظلمات الجهل والشرك والبدعة ، وثانيها كان ملكاً عاش عيشة الزهاد والفقراء واجتهد بكل ما أوتي من عزيمة وقوة في أن

يكبح جماع الفتن ويقمع شرها وفي ماسر دنا من عظام أعمالها كفاية للقارىء المستبصر ، ولكن ، قل لي بالله ماذا يفعل ذاك الرجلان وقد تأصلت جذور الفتنة وامتصت دماء المسلمين السذج ستة قرون أو أكثر ، فتفاقم شرها وأعيأ الخذاق النطاسيين دواؤها ، ولو خلف اورنك زيب خلف ، لهم رأي وصلاح واقدام وعزيمة لكان يرتجى أن تثمر جهود ذينك المجاهدين الصالحين وقوتى أكلها ، لكنه مما يؤسف له أنه قد خلف من بعده خلف كل منهم كان أضعف قوة وأدنى بأساً من سابقه ، حتى أصبحت الدولة المغولية على وشك الانقراض ، فنجمت قرون الفتن من جديد ونفقت سوق البدع والخرافات في المسلمين حسب ما جرت به عادتهم منذ قرون ، وعادت الثقافة الهندكية الوطنية - التي كان قد تقلص ظلها بجهود السيد المجدد والملك اورنك زيب - تسترد سابق عهدا وغابر شأنها ، وكذلك تطاولت الشيعة بأعناقها ، مستظلة برايات امراء الولايات ، متدرجة في اعطافهم واكنافهم .

هذا ما آلت اليه حال الحكومة ورجالها ، اما العلماء والمشايخ فلا تسل عما صاروا اليه من الوهن في عقائدهم والانحطاط في اخلاقهم والتهاون في مآثر اعمالهم ،

فهؤلاء المتسمون بالدروشة والصوفية قد بسطوا زرايعهم في زواياهم وانغزلوا عن الناس ، يكيدون للاسلام ويخربون بيوت الله بأيديهم وأيدي أتباعهم من الجاهلين ،

اما المدارس ^(١) فما زالت ترتج بأصوات أتباع أرسطو وفلاسفة اليونان ، وان تعجب ، فعجب عكوفهم على عظام اليونان ، وان تعجب ، فعجب عكوفهم على عظام اليونان البالية - اريد بها علومهم - ودراساتهم لكتبهم ومؤلفاتهم في القرن الثاني عشر للهجرة وقد نخرت وبلت ، ولم يبق في بلاد اليونان نفسها من يلتفت اليها ويبدل مجهوده في تحصيلها ، لكن علماءنا مازالوا معجبين بها واصلين ليلهم بنهارهم للتبريز فيها ، غافلين عن حاجات العصر ومقتضياته ،

فبقيت تلك المدارس المسماة بالاسلامية ، متسكعة في ظلمات اليونان ، صارفة وجهها عن ينبوع الدين الثوار * ، فلا تكاد تسمع فيها للكتاب او السنة ذكراً او همساً ، ومن أكبر البليات ان البيوتات العلمية الكبرى وفطاحل علماءها ايضاً ، كانوا يكتفون من كتب الحديث

(١) دخلت العلوم الاسلامية في الهند أولاً في القرن السابع وظل همهم منحصرأ في الفقه والاصول الى القرن الثامن . ثم جاءت كتب التفتازاني (ت سنة ٧٩٣ هـ) فنالت رواجاً عظيماً وتلقاها الناس بالقبول وأقبلوا على دراستها اقبالاً . ثم جاءت كتب وشروح جديدة لكتب المتأخرين من المناطق ، حتى جرى هذا المنهاج العقيم - المعروف بالدرس النظامي ، نسبة الى الملا نظام الدين السهالوي (ت سنة ١١٦١/١٧٤٨) - الذي لا يزال العمل به جارياً في مدارسنا «الاسلامية» . والنسب الاوفر فيه للشروح والخواشي وتعليقات المتأخرين على كتب المتفلسفين والمناطقة ثم أعرفوا الى «الدرس النظامي» كثيراً من الشروح والخواشي لكتب المنطق ، فأصبح ضيقاً على إباله .

المؤلف -

* الثرثار : ذو الماء الغزير وقد سبقت الاشارة اليه . - الناشرون -

بدراسة مشكاة المصابيح^(١) ومشارك الانوار ، وهم هم يصرفون سنين طويلة من أعمارهم في العكوف على كتب أوسطو وعلماء اليونان ، ينخلونها نخلًا ويقتلون بها بحثًا ، فأني عجب اذا بلغ منهم الانحطاط هذا المبلغ ؛ وهل يرتجى للمسلم شفاء من أدواء الجهل والبدع اذا تتكب عيون الكتاب العزيز والسنة النبوية ؟ وكأني بهم ما استفادوا من عظات السيد المجدد والشيخ عبد الحق التحلة للقسم ،

وكأني بالشيخين لم ينجحوا في ترغيب العلماء في القرآن والسنة الا قليلا ، والذي أراه انه ما حرمت طبقة من المسلمين دعوة السيد المجدد والشيخ عبد الحق ونصائحها الغالية مثل ما حرما علماءنا اما اهل الفتوى فجعوا يقدسون كتب الفقه والفتاوي واتخذوها قرآنهم وآمنوا بها كما يؤمن بالغيب واصبح الشك في مسألة من مسائلها عبارة عن كفر بالله ورسوله ، ومن ذا الذي يجترئ ان ينكر عليهم شيئاً من مسائلهم التي يفتون بها او افتي بها ض من تقدمهم من علماءهم وفقهائهم كابن نجيم المصري (ت ٩٧٠ هـ) او الملا علي القاري الحنفي^(٢) (ت سنة ١٠١٤ هـ) وان تجاسر أحد على ذلك سلقوه بالسنة حداد ولقبوه بألقاب شنيعة .

(١) ومن علمائنا المعاصرين من بلغت به العصبية لاسلاف والجدد ، ان بالغ في الدفاع عن قلة احتفالهم بدراسة كتب الحديث وتهافتهم على خرافات اليونان وترهاها . وقد أشرنا الى ذلك من قبل أيضاً .
- المؤلف -

(٢) ذكرنا هذين العالمين الجهاديين ضربا للمثل ، وليست التبعة على هؤلاء الاعلام ، وانما على الذين يؤمنون بأقوالهم وإيمانهم بالكتاب والسنة .

لعل القاريء يسألني - وقد أسهبت في الكلام عن عصر الامام ولي الله - كيف كانت معاملتهم للكتاب العزيز في مدارسهم وحلقات دروسهم ؟ فالحق - والحق أحق ان يقال - أننا لم نسمع بالكتاب العزيز يدرس في مدارسهم أو يصرف بعض الوقت في الكشف عن وجوه معانيه والتنقيب عن مخبآت أسرارِهِ . وكيف يتأتى لهم ذلك ، وقد نهافتوا على المعقولات تهافتاً وتزاحوا عليها بالمناكب .

فلم يكن لأهل العلم منهم أدنى المام بمعارف الكتاب العزيز ، دع عنك ذكر العامة والأوساط .

العالم الاسلامي في القرون الثاني عشر للهجرة

ولما كانت دائرة كلامنا في هذا الكتاب تنحصر في تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ، ماتعرضنا للآن لما كانت عليه الحال في سائر البلاد الاسلامية في تلك القرون ، الا انه يجمل بنا الآن ان ننظر في أحوال العالم الاسلامي ونتأمل أفكار أهله وأعمالهم في القرن الثاني عشر للهجرة ، فنحن الآن بصدد ترجمة رجل عبقرى فضله في العرب والعجم واختوت معارفه حدود بلاد الهند . فلا يخفى على من له إلمام بمجريات التاريخ الاسلامي ذلك الانحطاط العلمي والفكري الذي أحاط بالعالم الاسلامي سرادقه وأنخ عليه منذ القرن الثامن للهجرة ، فقد أغلق الفقهاء باب الاجتهاد وتلقوا متون مؤلفات المتأخرين وحواشيا بالقبول في حلقات دروسهم . وكذلك تسرب الى المجتمع الاسلامي وهن في خلق أهله وشماثلهم لاستيلاء أمراء الجبهة على أمورهم واستبدادهم بالأمر دون غيرهم

فدب فيهم الانحطاط ، ديبب الديدان في العود ، الى ان استفحل الأمر واشتد الخطب وبلغ الأمر مبلغاً في القرن الثاني عشر للهجرة ، بكى عليه الصديق ورثى له العدو الشامت ، وهذا ستودارد Lothsop Stoddard الاميركي ، أحد علماء الاجتماع المعاصرين .

وقد وصف تلك الحال الموجعة المؤلمة وصفاً حقيقياً وصورها تصويراً ، « حتى لو ان فيلسوفاً نقريساً* من فلاسفة الاسلام او مؤرخاً عبقرياً بصيراً بجميع أمراضه الاجتماعية أراد تشخيص حالته في هذه القرون الاخيرة ما أمكنة ان يصيب الحز وان يطبق المفصل تطبيق هذا الكاتب الاميركي ستودارد - كما قال عنه أعظم كتاب الشرق وامامهم في هذا العصر الامير شكيب ارسلان رحمه الله - وهاك ما وشته بنانه لتعرف كيف يشخص كاتب نصراني أمراضنا الاجتماعية . قال ستودارد وهو يصف حال المسلمين والاسلام في القرن الثامن عشر للميلاد (القرن الثاني عشر للهجرة) : - « في القرن الثامن عشر كان العالم الاسلامي قد بلغ من التضعع أعظم مبلغ ومن التدني والانحطاط أعظم دركة ، فاربذ جوه وطبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه ، وانتشر فيه فساد الاخلاق

(١) حاضر العالم الاسلامي : ١٦٠٠١ (الحاشية)

(٢) Thenew Worldof : ص ٢٦٠ ، ٢٥٠ ؛ والتعريب للاستاذ عجاج نويهض (حاضر

العالم الاسلامي : ١٠١٠٢٦٠٢٥٩) ، الا اننا ما تقيدها بتعريبه .

(٣) القرن الثامن عشر للميلاد ١٧٠١/١٧٩٩ يوافق معظم القرن الثاني عشر للهجرة

(١١١٣/١٢١٤) الا ثلاثة عشر عاماً .

- المؤلف -

* النقرس والقرس الداهية والمخنك والنقرس ايضاً مرض معروف - الناشرون -

والآداب ، وتلاشى ما كان باقيا من آثار التهذيب العربي واستغرقت الامم
الاسلامية في اتباع الأهواء والشهوات ، لافرق في ذلك بين الخاصة والعامة
وساد الجهل وانطفأت قبسات العلم الضئيلة لانعدام من يتعهد المدارس
العديدة الباقية بالانفاق عليها والقيام بشؤونها . وانقلبت الحكومات
الاسلامية الى مطايا استبداد وفوضى واغتيال . فليس يرى في العالم الاسلامي
في ذلك العهد سوى المستبدين الغاشمين كسلطان تركية وأواخر ملوك
المغول في الهند (أي الذين ملكوا الأمر بعد وفاة اورنك زيب) يحكمون
حكماً واهناً ، وقام كثير من الولاة والامراء يخرجون على الدولة
وينشئون حكومات مستقلة ، ولكن مستبدة كالتي خرجوا عليها .

وكان هؤلاء الولاة البغاة لا يستطيعون اخضاع من في حكمهم
من الزعماء وأمراء الاقاليم هنا وهناك . فكثر السلب والنهب وفقد الامن
وصارت السماء تمطر ظمأً وجوراً . وجاء فوق ذلك كله رجال الدين
المستبدون ، يزدون الرعايا إرهاباً فوق إرهاب ، فغلت الايدي وقعد
الناس عن طلب الرزق ، وكاد العزم ينعدم في نفوس الاهالي ، وبارت
التجارة بواراً شديداً وأهملت الزراعة ايما إهمال . وأما الدين فقد غشيته
غاشيه سوداء . فالبس التوحيد النزيه الساذج (Austere) الذي علمه
صاحب الرسالة سجعاً من الحرافات وقشور الصوفية . خلت المساجد من
المصلين وأفقرت ، وكثر عدد الادعياء والجهلاء وطوائف الفقراء
والدراویش المشعوذين ، يخرجون من مكان الى مكان يحملون في أعناقهم
التمائم والتعاويذ والسبجات ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ويرغبونهم في

الحج الى قبور الأولياء ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور
وظنوا ان الله تقدست أسماؤه بمكانة لا يمكن الوصول اليه الا بواسطة
هؤلاء الأولياء . وغابت عن الناس تعاليم القرآن وهم بين غافل وجاحد .
فصارت تشرب الخمر ويتعاطى الافيون في كل مكان ، وانتشرت
الفحشاء وهتكوا ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء . ونالت مكة
المكرمة والمدينة المنورة مانال غيرهما من سائر مدن الاسلام فصار الحج
الذي فرضه النبي (الله) على من استطاعه هزواً وسخرية وعلى الجملة فقد
بدل المسلمون غير المسلمين وهبطوا مهبطاً بعيد القرار . فلو عاد صاحب
الرسالة الى الارض في ذلك العصر ورأى ما كان يدهى الاسلام ، لغضب
واطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين ، كما يعلن المرتدون
وعبدة الاوثان .

بينما بلغ حال المسلمين هذا الدرك الاسفل من الانحطاط وذهبت
بهم الغواية كل مذهب ، بزغت الشمس التي أشرقت بنورها الظلمات
وانقشعت بضياءها سحب البدع والمنكرات ونبغ الرجل الذي رتق
الفتوق التي ضلت بها العقول وجبر الصدوع التي حارت لأجلها الأبواب .
ألا وهو الرجل العبقرى الفذ الامام العارف بالله الحجة ولي الله بن

عبد الرحيم الدهلوي^(١) ، فتبدلت الارض غير الارض وتغير الجو وخففت
 واية الكتاب والسنة مرفرفة بعد ما كانت ناكسة . وظهرت بوادر
 الاصلاح والتجديد بعد ما كانت خافية . وذلك كله بمساعي الامام ولي الله
 الدهلوي وأنجاله الغر الميامين الكرام وتلامذته النجباء النوابغ العظام الذين
 جددوا مدارس من آثار الدين القيم وأحيوا معالمة ورغبوا الناس في الاعتصام
 بالكتاب والسنة ، الى غيرها من أعمالهم التي تضيق عن سردها بطون
 الاسفار . ولكن هذه النظرة الاجمالية في تاريخ الاسلام في الهند تبقى
 ناقصة بقاء ان أغفلنا ذكر أعمال ولي الله ومساعيه الجليلة في احياء دعوة
 الاسلام واقامة الدين من جديد وها أنا مفض اليك بلعم من جلائل أعماله
 متوخياً الايجاز حسب ما استطعت .

جلائل أعماله :

ولد الامام سنة ١١١٤ للهجرة قبل وفاة الملك العادل أورنك زيب

(١) ولد سنة ١١١٤ للهجرة . وكان أبوه الشاه عبد الرحيم (ف ١١٣١ هـ) معدوداً
 من كبار الشيوخ في عصره . قرأ الامام على أبيه وتخرج على يده ولما تجاوز السنة
 الخامسة عشرة من عمره . ثم اشتغل بالتدريس الى ان تأقت نفسه الى زيارة الحرمين
 الشريفين ، فسافر اليها سنة ١١٤٣ هـ . وهو اذ ذاك في الثلاثين . [واقام هناك عامين
 وقرأ الحديث على الشيخ أبي الطاهر محمد بن ابراهيم الكردي المدني (ت ١١٤٥) .
 ثم رجع الى الهند سنة ١١٤٥ هـ وبقي بها يدرس ويصنف ثلاثين سنة ، انتفع به في
 خلالها خلق كثير ممن لا يأتي عليهم الاحصاء . وتوفي سنة ١١٧٦ للهجرة ؛ رحمه الله
 ونضر وجهه يوم القيامة .

بأربعة أعوام . وكما قارنت بين البيئة والعصر^(١) الذين نشأ فيها الامام وترعرع وبلغ أشده وبين ما جاء به من فكرة سليمة ناضجة ومعرفة صادقة بأدواء الامم وأسباب انحطاطها ، أخذ العجب من قلبك مأخذاً عظيماً . نشأ في زمن عمت فيه الفوضى وفشا الجهل وانتشرت الرذيلة والفحشاء بين الملوك والسوقة ، ثم يأتي بمؤلفات وكتب ، يضرب فيها ربة التقليد الاعمى عرض الحائط وينظر الى التاريخ والمجتمع البشري نظرة الحكيم المستبصر ، ويتكلم ويخوض في دقائقهم مستقيماً من معين الكتاب العزيز والسنة النبوية . هذه مؤلفاته ونتائج قريحته منتشرة بين القاصي والداني ، هل تجد في لغتها وطرق تأديتها لهاماني وأفكارها ونظرياتها والحقائق المبعثرة في مطاوي بحوثها وثنائا كلامها - هل تجد في كل ذلك من أثر لتلك البيئة القذرة المرذولة التي قلما سبق لها نظير في تاريخ الشعوب ؟ هذه حجة الله البالغة

-
- (١) ولد قبل وفاة اورنك زيب (١٠٦٨ - ١١١٨ هـ) بأربع سنين؛ وتوفي سنة ١١٧٦ هـ في عصر شاه عالم الثاني (١١٧٣ - ١٢١٨ هـ) الذي تقوضت في عهده دعائم المملكة المغولية تقوضاً تاماً ، وان تبوأ سرير المملكة بعده ملوك ، لكنهم كانوا ألعوبة بيد الانكليز ، حتى ان آخرهم بها ورشاه الثاني (١٢٤٥ - ١٢٧٣ هـ) لم يكن له الامر الا في داخل الحصن الاحمر - فعاش الامام ولي الله في زمن تتابع فيه ثمانية ملوك على عرش دهلي منهم سبعة ، كل تال منهم أضعف بأساً من سابقه : وم : بهادرشاه الاول (١١٨٨ - ١١٢٣ هـ) وجهان دارشاه (١١٢٣ هـ) وفرخ سير (١١٢٤ - ١١٣١ هـ) ومحمد شاه المعروف بالخليج (١١٣١ - ١١٦١ هـ) واحمد شاه (١١٦١ - ١١٦٧ هـ) وعالم كبير الثاني (١١٦٧ - ١١٧٣ هـ) وشاه عالم الثاني (١١٧٣ - ١٢١٩ هـ) .

ولغتها النقية الصافية ، هل مريبك شيء من مثلها في الالف سنة من تاريخ المسلمين في هذه البلاد ؟

كلا ! لا والله ، وايم الحق ان الامام نظير نفسه ونسيج وحده في بيانه والكشف عن أسرار القرآن والبيان لوجوه التوفيق بين أقوال الأئمة وتطبيق الشريعة الاسلامية لقوانين الاجتماع والاقتصاد .

وصفوة ماقلنا آنفأً ان الامام ولي الله الدهلوي^(١) من الرجال العباقره الافذاذ الذين يسعون ليل نهار لاحداث انقلاب فكري وتغيير في عقول الناسمة والشبية وصقل أذهان الشيوخ ليرقى بهم جميعاً الى المستوى الفكري المنشود الذي يمكنهم من النظر الى الاشياء نظرة الناقد المتصف النزيه ،

(١) كل عبقرى أو عالم فذ يكون وليد بيئة ، كما يقولون ، او يكون للاستاذة تأثير مغموس في أفكاره وآرائه حسب المعتاد في آراء أعظم الرجال ومفكرهم . لكن الامام ولي الله نظير نفسه في هذا الباب ، فلن نجد في الهند عالماً او مفكراً سبقه الى مثل هذه الافكار والآراء السديدة التي جاء بها في مؤلفاته . أما بيئته فقد عرفتها آنفأً ، الا انه يظهر لنا من قراءة مصنفاته أنه قرأ ما وصلت اليه يده من كتب من تقدمه من العلماء - أمثال الغزالي وعز الدين بن عبد السلام وأبي طالب المكي وغيرهم - واستفاد منها من غير تعصب أو تحفظ . وكذلك نجد في ترجمته انه درس على الشيخ أبى الطاهر محمد بن ابراهيم الكردي المدني وتخرج على يده في علم الحديث حين زيارته للحرمين سنة ١١٤٣ هـ والمعروف من امر الشيخ محمد بن ابراهيم الكردي أنه كان عالماً نحويّاً ومحدثاً جليلاً يجب ابن تيمية وجلال آثاره كما ذكر صاحب (جلاء العينين : ص ٢٦) عنه انه كان « سلفي العقيدة ذاباً عن شيخ الاسلام ابن تيمية » . فاستخرجنا من ذلك انه درس كتب شيخ الاسلام واستفاد منها . ثم تحققنا من بعد ذلك بعدما سيرنا غور مؤلفاته وتأملنا بعض بحوثه ، فوجدناها مقتبسة من بعض مؤلفات شيخ الاسلام . هذا مما أثرت الاشارة اليه في هذا المقام وبسط الكلام له موضع آخر .

غير متأثر بما تقلي عليه بيئته وتدعو اليه من سفاسف القول ومنكرات
الافعال . ومن أنعم النظر في مصنفاته ومؤلفاته اعترف بصدق ما قلنا .
وكذلك يعرف الذين لهم اطلاع على تاريخ الشعوب والامم وسير قادتها
ورجالها المفكرين ، أن أمثال هؤلاء الرجال قلما يتسنى لهم أن يقوموا
بأنفسهم بحركة عملية تأتي بالانقلاب المطلوب والتجديد المنشود . بل
كثيراً ماتمضي حياتهم كلها في صقل الاذهان وتنوير الافكار وازاحة العقبات
وحل العقد فتنشأ بذلك ناشئة متوثبة متضلعة من تلك الآراء والافكار ،
مشربة قلوبهم حبها وحب العمل لها ، تأخذ بيدها لواء الاصلاح والتجديد
وتسير بالامة الى بغيتها وضالتها حتى تدرك غايتها أو تموت دونها . هذه
سنة الله في خلقه ، حسب ما يظهر لنا من تتبع تاريخ الامم ودراسة
ماجزيات الشعوب الماضية . فالذي نراه والتاريخ يشهد به ، ان الامام
ولي الله كان من عداد أولئك المفكرين المصلحين الذين استنارت
بأفكارهم المبثوثة في تفاريق مؤلفاتهم عقول معاصريهم ومن جاء من بعدهم
وتنورت قلوبهم وانجلي مالمصق بمرآتها من صدأ الشك والجود وانحل
ما انعقد في أذهانهم من مشاكل الزيغ والارتياب .

لكنه رحمه وأسكب عليه سجال رضوانه ، لم يتأت له أن يقوم
بنفسه بالتجديد العملي وينهض بالامة ويرقى الى المستوى الفكري والخلقي
الذي أوضحه في مصنفاته ، حتى أنه لم يتسن له أن يقضي على البدع

التي كانت فاشية في بيته (١) . وعذره في ذلك أنه كان منصرفاً بكل قوته الى صقل مرآة الافكار وتنوير ظلمات الجهل وجلاء أصداء الزيف وتكوين فكرة صافية مرتوبة من موارد الشرع ، ثابتة على دعائم الكتاب والسنة . فما سنحت له فرصة يتناول فيها ما أحاط به وببشئنه من الفساد والطغيان ، يتناولها بالاستنكار ويقوم في وجهها جهراً ، قومة جندي باسل . وانما كانت تلك الخطوة الجبارة في حاجة الى رجال آخرين ، وقد هيأهم الله في أقل من نصف قرن من بين أهل بيته وتلاميذ تلامذته وسير بك فيما يأتي من فصول هذا الكتاب من حديث جهادهم المبرور ما تقربه عينك وينلج به صدرك ان شاء الله تعالى .

أما الامام ولي الله فيمكننا أن نقسم أعماله الجليلة الى قسمين :
قسم يتعلق بتنقيح النظريات والفكر والآراء وانتقاد التاريخ والممالك المسماة المنبثة في مختلف بقاع الارض من لدن عصر التابعين الى العصر الذي عاش فيه الامام .

وقسم آخر يتعلق بمذهبه المعتدل في الفقه واطلاق سراح العقول من ربة التقليد الأعمى والامعان في النظم الاسلامية ومناهجها واستخلاص

(١) من البدع الفاشية في ذلك العصر أنهم ما كان يحبون بتحية الاسلام على الصيغة السنوية (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) ، بل كانوا يسلمون تسليم الاعاجم بكلمات (الخادم يرفع الى سدتكم آداب التجلة والاكرام) او (العاجز يعرض عليكم التحيات اللازمة) ، حتى ان البيت الولي الله أيضاً ما كان خالياً من هذه البدعة ، وكذلك ما كانوا يزوجون الأيامى من بناتهم حسب ما حرت عليه الجاهلية الهندكية .

رأيه الناضج الحكيم الجامع من ثناياها وتقاريقها . وأنا لمفوضون اليك بشيء من البيان والتفصيل عن القسمين لتكون على بينة من الامر وتعرف ما ملو لقاته وآرائه الحكيمة السديدة من قيمة .

تنقيح النظريات والافكار :

فأول ما قام به الامام ولي الله بهذا الصدد أنه نظر نظرة في تاريخ الاسلام والمسلمين في القرون التي سبقت عهده وانتقده انتقاداً شاملاً محيطاً بجميع جوانبه . فهو أول رجل - في ما نعرف - فرق بين تاريخ الاسلام والمسلمين ونظر في تاريخ المسلمين من جهة مقدار التوافق بين حياتهم وبين تعاليم الاسلام وعقائده . فهل كان المسلمون مثلاً مستمسكين بالاسلام الصحيح ، داعين الى دين الحق الذي جاء به النبي ﷺ ؟ أم التبس عليهم الامر ، فأدخلوا في حياتهم ومنهاج أعمالهم ونظام حكوماتهم أشياء لم تكن من الاسلام في شيء وهذا موضع دقيق تزل فيه الاقدام وتلتبس فيه الطرق ويستبهم فيه وجه الصواب ، فقلما تجد في علماء المسلمين ومؤرخيهم - ممن نبغ قبل صاحبنا أو بعده - من تنبه لهذا الفرق العظيم بين تاريخ الاسلام والمسلمين وأراد ان يجلو مرآة الاسلام بما لصق بها صدى الجاهلية والعادات الاعجمية في مختلف القرون .

لكن الامام ولي الله قام بهذه المهمة خير قيام وأشار الى ذلك في معظم مصنفاته ؛ الا انه استوعب الكلام في ذلك ووفى الموضوع حقه في كتابه الشهير (ازالة الخفاء عن تاريخ الخلفاء) .

ثم هو انعم النظر في الأسباب الجوهرية التي افضت بالمسلمين

وملوكهم وعلمائهم الى تنكب المحجة البيضاء والعدول عن الطريق المستقيم وتأملها تأملاً دقيقاً فاستخلص من دراسته الطويلة ومشاربته على البحث والتنقيب ان مرجع تلك الاسباب المختلفة التي اشار اليها في ثنايا مؤلفاته وتناولها بالنقد بوجه خاص في كتابه (ازالة الحفاء) الى سيبين جوهريين^(١) تحول نظام الحكم من الخلافة الى الملك وانعدام روح الاجتهاد وايضاً باب التحقيق واقتناع حملة العلم بالتقليد الجامد .

ولم يكتف الامام بالاشارة الى دينك السيبين الجوهريين ، بل افاض فيها وبين كل واحد منها تبيننا واوضحه بالامثلة والشواهد من تاريخ المسلمين ، بحيث لا يبغي في القلوب منزعاً للشك وفي النفوس مجالاً للريبة . فبين الفرق بين الخلافة والملك وما كان له من تأثير في تغيير الاحوال وتحويل مجرى التاريخ الاسلامي .

وكذلك ذكر النتائج التي ظهرت في المجتمع الاسلامي من جراء ذلك وعدم اضطلاع أولى الامر بما كان عليهم من القيام بمصالح المسلمين ، ذكرها بوضوح وتفصيل بما لم يسبقه به أحد ممن تقدمه من رجال المسلمين وعلمائهم .

وها أنا اذا ذكر لك بعض ما أتى به من الآراء السديدة الناضجة في هذا الباب « ... ما أقام امير من امراء المسلمين فريضة الحج بعد سيدنا عثمان بن عفان ، بل اكتفى كل من جاء بعده من امراء المسلمين وملوكهم بارسال من ينوب عنه في اقامة شعائر الحج ، مع أنها من لوازم الخلافة وولاية أمر المسلمين وكما ان تبوء العرش ولبس تاج المملكة واعتلاء سرير الملك

(١) الفصل السادس (ص ١٢٤ - ١٥٨)

المتوارث كان يعد من امارات الملك عند القياسرة والأكاسرة ، كذلك إقامة شعائر الحج والقيام بأمرها مباشرة من امارات الخلافة وولاية الامر في الاسلام ^(١) . ومن أقواله في هذا الباب في كتابه (إزالة الخفاء) :

« كان الوعظ والفتيا فيما مضى موكولين الى رأي الخليفة . فما كان لأحد ان يعظ الناس او يفتي فيهم من غير إذن من الخليفة . لكنه لم يبق فيما بعد للخليفة سلطان عليهما ، بل بلغ الأمر في الأزمنة المتأخرة الى أنهم ما كانوا يشعرون بحاجة الى ان يستشيروا أهل الصلاح والفضل في أمر الفتيا ^(٢) الى ان يقول :

« مثل حكومتهم كحكومة الجوس ، الا ان هؤلاء يصلون ويشهدون شهادة الحق بالسنتهم . ومن سوء الحظ أننا نشأنا في ظل هذا التغير والانقلاب ، ويعلم الله ماذا يكون من مصير الامر في ما يأتي من الايام » ^(٣) .

وكذلك ندد بالسبب الثاني - أي انعدام روح الاجتهاد وانتشار داء التقليد الجامد - الذي عده بحق من أسباب الانحطاط والتقهقر الحقيقية وأشار اليه في معظم مؤلفاته اجمالاً وتفصيلاً ، حسب ما اقتضاه المقام . وهذه مصنفاته (حجة الله البالغة ، والتفهيمات ، والمسوى ، والمصفي ، والانصاف ، وازالة الخفاء وغيرها) ، كلها مشحونة بآرائه الناقبة وأفكاره النزيمية الناضجة في ذم التقليد الجامد وبيان الحاجة الى

(١) إزالة الخفاء : ص ١٣٤ (ملخصاً)

(٢) أيضاً (ص ٣٠)

(٣) إزالة الخفاء : ص ١٥٧

انعاش روح الاجتهاد والتفكير . فما جاء في كتابه ازالة الخفاء عن تاريخ الخلفاء - وهو من أحسن مؤلفاته ، الا انه بالفارسية ، يتخللها تنف وشذرات بالعربية : - « ما كان أحد يسمى نفسه حنفياً أو شافعياً الى أواخر دولة الشام - الدولة الاموية - بل كان الجميع يستنبطون الاحكام من الحجج الشرعية حسب طريقة أئمتهم وأساتذتهم .

وانما تسمت كل طائفة باسم ولقب في دولة العراق - عصر الدولة العباسية - وبلغ الأمر الى أنهم جعلوا يتكثرون عن الحكم بالحجج الشرعية المستخرجة من الكتاب والسنة ، ما لم يبلغهم نص من نصوص فقهاء مذهبهم الذي يلتزمون اليه ويتعصبون له .

وهكذا أصبحت الخلافات الفقهية التي نشأت وظهرت بمقتضى الاستدلال من الكتاب والسنة واختلاف أذواق الناس في الفهم والاستخراج مذاهب مستقلة ثابتة الأركان ... »

« ... ثم لما دالت دولة العرب وانتشر الناس في البلاد النائية البعيدة عن العواصم الاسلامية ، أخذ كل منهم بمذهبه الفقهي الذي تلقاه عن مشايخه واتخذة أصلاً يرجع اليه وينبوعاً يستقى منه . فالذي كان مستنبطاً من الكتاب والسنة ، أصبح سنة ثابتة لا تخجل التغيير والتبديل ، وأصبحوا في دراساتهم يرجعون اليها ، يستخرجون من تلك المسائل المستخرجة نفسها ويفرغون من تقريرات من سبقهم (علم الشأن تخريج بر تخريج

وتفريع بر تفريع (١) .

وقد وصف الامام هذا الداء بما لا مزيد عليه في المبحث السابع من كتابه (٢) (حجة الله البالغة) وفي رسالته (الانصاف في بيان سبب الاختلاف) التي أفردها للبحث في هذه المسألة . وكلاهما بالعربية ، طبعا مراراً في الهند ومصر . فمن شاء التفصيل فليرجع اليهما .

هذا ، وكان من جهود الامام ولي الله في باب تنقيح النظريات والأفكار ان التفت الى ما شاهده من الاحوال في عصره ، بعدما فرغ من انتقاد (أسباب التقهقر والانحطاط في العصور الماضية . وقد عرفت بما تقدم أنه نبغ في عصر طبق فيه الجبل وعمت الفوضى وكادت تدرس معالم الحق . فاستعرض حال عصره ونبه كل طائفة الى ما فيها من ازورار عن المحجة البيضاء وانصراف عن منهج الحق ، فخطب كل فئة باسمها وبصرها بمواقع أخطائها ودلها على ما تسرب الى عقائدها من الوهن وأعمالها من الضعف والانحلال . ومن هذا الباب قوله في مصنفه الشهير - تقييمات : -

« أما هذا الوصي (يريد به نفسه) فانه وجد في زمان شاع فيه ثلاثة أشياء : -

(١) البرهان ، وذلك لاختلاط علوم اليونانيين واشتغال القوم بالكلام حتى لا يكاد يوجد كلام في العقائد الا مزوج (كذا)

(١) ازالة الحفاء : ص ١٥٧

(٢) المجلد الاول ، طبعة سنة ١٣٢٢ هـ (من ١٠٢ - ١٢٩) .

بمناظرات برهانية .

(٢) والوجدان ، وذلك لاجتماع الناس شرقاً وغرباً على قبول الصوفية وانقيادهم لهم حتى كانت أقوالهم وأحوالهم أعلق بقلوبهم من الكتاب والسنة وكل شيء ، وحتى رموزهم وإشاراتهم قبلت وشاعت الناس . فمن ^(١) أنكر رموزهم وإشاراتهم او كان لهم مجانباً فانه لا يقبل ولا يعد من الصالحين .

وما من واعظ على رؤوس المنابر الا وكلامه مزوج بإشارات الصوفية ، وما من عالم يعلم الناس الا وهو يعتقد كلامهم ويتأمل فيه او هو من أصحاب الطبيعة كالبهائم . وما من ناد من أنديه الامراء وغيرهم الا وعرضة ألسنتهم وبذلة أيديهم وفكاهة محافلهم أشعار الصوفية ونكاتهم .

(١) والسمع ، وذلك لدخولهم في الملة الاسلامية . ونشأ في زمان اتبع فيه كل ذي رأي رأيه ولن ترى فيه أحداً يقف على المتشابهات وما أشكل عليه من العلم ، ولن ترى أحداً الا ويخوض في فهم معاني الأحكام وأسرارها ويميل في ذلك الى المعقول ، وصار لكل رجل مذهب حسب مافهمه ، وتجادلوا وتناظروا وتباحثوا ولم يكن الاتفاق والاصطلاح أصلاً .

(١) ومن هنا نعرف السبب الذي جعل الامام نفسه يستعمل رموز الصوفية وإشاراتهم في مؤلفاته كما تراه بلقب نفسه بالموصلي في أول هذا الكلام . ولا شك ان هذا الامتزاج كلامه بإشارات الصوفية ورموزهم ، قد قلل من قيمة مؤلفاته وجعلها عرضة لتأويل المبطلين وتخريف الزائغين .

واختلفوا في أنواع الفقه ، منهم الحنفي ومنهم الشافعي ، وكل يتعصب لأصحابه وينكر على الآخرين وكثرت التخريجات في كل مذهب وخفي الحق (١) .

وله كلام نفيس في هذا الباب في غير موضع من هذا الكتاب ، يقتصر هنا على نقل جملة منه ، حتى تتضح للقراء آراؤه الناضجة التي أثرت في تغيير مجرى الأفكار واحداث انقلاب ديني فكري في هذه البلاد . وهاهو يقول مخاطباً لكل طائفة من طوائف المسلمين في عصره وينتقد أعمالهم وأفكارهم انتقاداً واضحاً لاغموض فيه ولا إبهام :

فأقول لأولاد المشايخ المترسمين برسم آبائهم من غير استحقاق .
« يا أيها الناس ما لكم تحزبتم أحزاباً واتبع كل ذي رأي رأيه وتركتم الطريقة التي أنزلها الله على لسان محمد ﷺ رحمة بالناس ولطفاً بهم وهدى لهم ، فاتتصب كل منهم إماماً دعا الناس إليه وزعم نفسه هادياً مهدياً ، وهو ضال مضل ، ونحن لانرضى بهؤلاء الذين يبايعون الناس ليستروا به ثمناً قليلاً ... ولا بالذين يدعون الى أنفسهم ويأمرون بحب أنفسهم . هؤلاء قطاع الطريق دجالون كذابون مقفونون فتنون ، يا أيكم وإياهم ... »

وأقول لطلبة العلم ، أيها السفهاء المسمون أنفسهم بالعلماء ، اشتغلت بعلوم اليونانيين وبالصرف والنحو والمعاني ، وظنتم ان هذا هو العلم . إنما العلم آية محكمة من كتاب الله ان تتعلموها بتفسير غريبها

(١) التفهيمات الالهية : ج ١ ص ٨٣ - ٨٢ . طبع الهند سنة ١٣٥٥ هـ

وسبب نزولها ... او سنة قائمة من رسول الله ﷺ ... فاتبعوا هديه واعملوا بسننه على أنه هدي وسنة ... وخضتم كل الخوض في استحسنات الفقهاء من قلبكم وتفاريعاتهم . اما تعرفون ان الحكم ما حكمه الله ورسوله ورب انسان منكم يبلغه حديث من أحاديث نبيكم ، فلا يعمل به ويقول :

انما عملي على مذهب فلان لاعلى الحديث ...

اعلموا أنه ليس هذا من الدين في شيء . ان آمنتم بنبيكم فاتبعوه خالف مذهباً أو وافقه وأقول للمتقشفين من الوعاظ والعباد والجالسين في الخانقاهات :

يا أيها المنتسكون ، ركبت كل صعب وذلول وأخذتم بكل رطب وبابس ودعوتم الناس الى الموضوعات والباطيل وعسرتم على الخلق وانما بعثتم ميسرين لا معسرين .

وأقول للأمرء ، يا أيها الامرء ، أما تخافون الله ، اشتغلتم بالذات الفانية الدائرة وتركتم الرعية تأكل بعضها بعضاً . أما شربت الخمر جهرة وأنتم لا تنكرون ؟ أما بنيت منازل ودور للزنا وشرب الخمر والقمار وأنتم لا تغيرون . أما هي البلاد الكبيرة ، لم يضرب فيها حد منذ ستمائة او اكثر . ومن وجدتموه ضعيفاً اكلتموه ، ومن وجدتموه قوياً تركتموه خاضت أفكاركم في لذائذ الطعام ونواعم النساء ومحاسن الثياب والدور .

وأقول للعسكرية ، أينها العسكرية ! أخرجكم الله للجهاد ولتظهروا كلمة الحق وتكتبوا الشرك وأهله ، فتركتم ما أخرجكم لأجله

وانخذتم رباط الخيل ، وحمل السلاح كسباً تستكثرون به أموالكم من غير نية الجهاد وقصده .

يامعاشر بني آدم ! انخذتم رسوماً فاسدة لغير الدين . اجتمعتم يوم عاشوراء في الابطال . فقوم انخذة مأتماً .

أما تعلمون ان الايام أيام الله ، والحوادث من مشيئة الله ، وان كان حسين رضي الله عنه قتل في هذا اليوم ، فأى يوم لم يمت فيه محبوب من المحبين . وقد اتخذوه لعباً بحرابهم وسلاحهم ، وقوم اتخذوه منسكاً ، افلصنعكم . اجتمعتم يوم البراءة يلعب قوم ويزعم قوم أنه يجب اكثار الاطعمة للموتى . قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين . و (انخذتم) رسوماً تضيق عليكم كالافراط في الولايم وكالامتناع من الطلاق وكامسك المرأة بعد زوجها من النكاح ؛ فضيعتم أموالكم وأوقاتكم ... انخذتم المأتم عيداً كأن اكثار الطعام واجب عليكم وضيعتم الصلوات . وقوم اشتغلوا بمكاسبهم فلم يقدرُوا على الصلوات .. وضيعتم الزكاة ومامن غني الاله متعلقون من المحاويج يطعمهم ويواسيهم ، ولو أنه نوى الزكاة لكفاه . وضيعتم صوم رمضان .. وصرتم عيالاً على السلطان ، ولما لم يجد السلطان مايعطيكم ضيق على الرعية ، فما أقبح صنعكم ^(١) .

وكذلك يقول في موضع آخر من هذا الكتاب :

(١) انتهى بحجروفيه نقلاً عن التفهيمات الالهية : ج ١ ص ٢٤ ٢١١٩

كل من ذهب الى بلدة اجير^(٢) او الى قبر سالار مسعود^(٣) او
ماضاهما لأجل حاجة يطلبها ، فانه آثم اثماً أكبر من القتل والزنا .
أليس مثله الا مثل من كان يعبد المصنوعات او مثل من كان يدعو اللات
والعزى ، الا أنا لانصرح بالتكفير لعدم النص من الشارع في هذا
الأمر المخصوص^(٤) .

وعلى غرار ذلك ندد بالمتصوفة والفقهاء الجامدين في غير موضع
من مؤلفاته .

ولولا خوف الاطالة ستزدنا من أقواله وآرائه ، حتي يكون
القاريء على بصيرة منها ، فان بعض أنباء عصرنا - وفيهم العلماء - أرادوا
ان يبدعوا فلسفة عصرية توافق أهواءهم ، يستندون فيها الى مصنفات
الامام ولي الله وكتبه ، وكأنهم خافوا على أنفسهم من ابداء الآراء
الضالة المضلة ، فاتكأوا على كتب الامام وحرفوا بعض أقواله من مواضعها
والبسوها معاني من عند أنفسهم ، مع انها تبرأ الى الله من تحريفات
هؤلاء القوم . وهانحن نختم هذه السلسلة بنقل « كلمة » أخرى من
هذا الكتاب :

(٢) مدينة اجير مدينة معروفة في الهند من الناحية الغربية الجنوبية من دلهي . وفيها قبر
الحواجة معين الدين الجشتي (ت سنة ٦٣٣/١٢٣٦) أعظم رجال الصوفية في الهند
يجون الى قبره طول السنة .

(٣) قبره في مدينة بهرائج ، وهي بلدة صغيرة في المقاطعات المتحدة (U.P) من الهند .

(٤) التفهيمات الالهية : ج ٢ ص ٤٥ .

« قال رسول الله ﷺ ، لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا حجر ضب لاتبعتوهم » قلنا « يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال فمن ؟ أخرجه البخاري ومسلم * »

« صدق رسول الله ﷺ ، فقد رأينا رجالاً من ضعيفي المسلمين يتخذون الصلحاء أرباباً من دون الله ويجعلون قبورهم مساجد ، كما كانت اليهود والنصارى يفعلون ذلك . وقد رأينا رجالاً منهم يحرفون الكلم عن مواضعه ، يقولون « الصالحون لله والطالحون لي » كما قال الذين من قبلهم (لن تمسنا النار الا أياماً معدودة) . * »

وان سألت الحق فقد فشأ التحريف في كل طائفة . فالصوفية أظهرت أقاويل لا يدري لها توفيق بالكتاب والسنة ، لاسيما في مسألة التوحيد ، وكاد ان لا يكون الشرع عندهم ببال . وكما في فقه الفقهاء من أمور لا يدري من أين أخذوا ذلك ، كمسألة عشر في عشر ومسألة الآبار وغيرها . واما اصحاب المعقول والشعراء واصحاب الثروة من الناس والعامّة الذين يعبدون الطواغيت ويتخذون قبور الصلحاء مساجد او عيداً الى اين يذكر ما هم فيه من الغواية ^(١) .

فيظهر مما نقلنا من آرائه وانتقاده لما شاهده من الحال المحزنة في

* سورة البقرة آية ٨٠

* رواه مسلم برقم ٢٦٦٩ واورده البخاري في « صحيحه » بلفظ « حتى لو سلكوا حجر ضب لسلكتموه »
- الناشر -

(١) التفهيمات الالهية : ج ٢ ص ٥ - ١٣٤

عصره وما اطلع عليه من امارات التدهور والانحطاط في القرون الماضية ما كان له من نظرة ثابتة وتبصر بأدواء المسلمين وآراء سديدة فاضجة في اسباب انحطاطهم وتقهرهم ويتبين الناقد المستبصر كيف أحاط الامام بتاريخ المسلمين واستعرضه استعراضاً وانتقده انتقاداً شاملاً ونههم على مواطن الضعف والوهن في تاريخهم ، حتى يكونوا على حذر من الوقوع في مثلها في المستقبل .

مذهبه في الاصلاح

ثم هو لا يقتصر على التنبيه على مواطن الضعف والوهن في تاريخ المسلمين وانتقاد بعض آراء من تقدمه من الائمة والعلماء وتنقيح نظرياتهم ومذاهبهم ، بل يتقدم خطوة أخرى ويعرض آراءه وأفكاره الناضجة في معظم الابواب والمسائل التي انتقدها على غيره او نبه فيها على مواطن الضعف والوهن في آراء غيره من العلماء . فمن أهم ماتكلم عنه في كتبه وبين فيه وجهة نظره ، هو مذهبه المعتدل في الفقه . وذلك أنه لا يتعصب لمذهب ولا يندد بغيره . وانما نظر في جميع المذاهب الفقهية وآراء الائمة ومجتهديهم واستعرضها استعراضاً واطلع على حججهم ودلائلهم ، فأخذ في كل باب بما رآه أوفق للحديث في نظره وأبلغ في الحجة ، فلا يرى الحق والصواب منحصرين في مذهب من مذاهب الفقهاء وكذلك لا يتعصب على مذهب مخصوص ، حتى لا يأخذ بقول من أقواله وان وافق النصوص واطمان اليه خاطره . ومن ثم تجده يأخذ بمذهب أبي حنيفة في مسألة

ويستند الى قول الشافعي في أخرى، وكذلك ينحو نحو المالكية والحنابلة في غير واحدة من المسائل .

فمذهبه في الفقه مذهب التحقيق والاخذ بالدليل من غير تعصب لمذهب او عليه .

وقد بين وجهة نظره في هذا الشأن بوجه خاص في رسالته الصغيرة (الانصاف في بيان سبب الاختلاف) ، وان كانت مؤلفاته الاخرى ايضاً تشتمل على بحوث وآراء في هذا الباب منها ما جاء في (التفهيمات الالهية) :

« ونشأ في قلبي داعية من جهة الملاء الأعلى ، تفصيلها ان مذهبي أبي حنيفة والشافعي هما مشهوران في الامة المرحومة . وهما أكثر المذاهب تبعاً وتصنيفاً .

وكان جمهور الفقهاء المحدثين والمفسرين والمتكلمين والصوفية متمذهبين بمذهب الشافعي وجمهور الملوك وعامة اليونان (كذا) متمذهبين بمذهب أبي حنيفة ، وان الحق الموافق لعلوم الملاء الأعلى اليوم ان يجعل كالمذهب واحد يعرضان على الكنب المدونة في حديث النبي ﷺ : ... فما كان موافقاً لها يبقى وما لم يوجد له أصل يسقط . والثابت منها بعد النقد ان وافق بعضه بعضاً ، فذلك الذي يعرض عليه بالنواجد . وان يخالف تجعل المسألة على قولين ، ويصح العمل عليهما او يكون من قبيل اختلاف أحرف القرآن او على الرخصة والعزيمة ، او يكونان طريقين للخروج من المضيق كتعدد الكفارات او يكون آخذاً بالمباحين المستويين

لا يبعدو الامر هذه الوجوه ان شاء الله تعالى (١) »

هذا برض من عد وغيض من فيض . والامام قد بين وجهة نظره
في هذا الشأن تبييناً وفصلها تفصيلاً .

ومن أحسن ما كتب في مذهبه المعتدل وعززه ببحوث نافعة
وحجج مقنعة قوله : (واعلم ان التخريج على كلام الفقهاء الخ (في الباب
الثالث من رسالته الصغيرة « الانصاف » وما جاء من الكلام النفيس في
« حجة الله البالغة » في المبحث السابع في فصل (وما يناسب هذا المقام
التنبية على مسائل ضلت في بواديها الافهام) فليرجع اليها من شاء الاستزادة
من آرائه في هذا الباب .

وغير خاف على من له المام بمذاهب الفقهاء والخلاف بين الائمة ،
ما في مذهبه المعتدل من لين ومرونة ، تنجذب اليه العقول وتسكن اليه
النفس الحائرة . وكان من تأثير انتشار فكرته وآرائه في الفقه ان أخذ
ينقشع غبار التعصب للمذاهب الذي كان متغلغلاً في الاوساط العلمية الهندية
وبدأت العقول تتخلص من ربة التقليد الأعمى والجحود على أقوال الفقهاء
وكذلك شرع من جاء بعده ومن تلاميذه وأصحابه وتلاميذهم وأصحابهم
يرجعون الى الكتاب والسنة يأخذون من المذاهب بما يظهر لهم أوفق
لها وأقرب الى الحق والصواب ، وذلك ان الامام ولي الله ما اكتفى
بالتنديد بالتقليد الأعمى والتعصب الموروث ، بل لمن يأتي من بعده
سنة حسنة بالحوض في المسائل الشرعية والاستدلال بالحجج المستخرجة

(١) ج ١ ص ٢١١-١١٢ .

من الكتاب والسنة وأوضح لهم طريق الاجتهاد في الفقه وسلك مسلك التحقيق في كل ما عن له الكلام فيه من أبواب الفقه ومسائل الشريعة .

وهذه كتبه مشحونة بالبحث على الاجتهاد والتحقيق . وكذلك بين في مصنفاته أصول الاجتهاد وما يارمه من شروط وفصل فيها القول تفصيلاً . على أنه ما تكلم في مسألة او خاض في قضية ، الا وهو مستمسك بأذيال التحقيق والبحث العلمي النزيه ، لا يتقيد بمذهب بعينه او يتعصب لرأي ارتآه رجل تقدمه بقرون وأجيال . وانما عمدته في جميع بحوثه وآرائه التحقيق والاجتهاد ، مستنداً الى الكتاب والسنة . فكان القاريء المستبصر او الطالب المتعطش لا يستفيد من كتبه الاصول العلمية والقواعد المجردة فحسب ، بل الامر ان مؤلفات الامام في الوقت عينه تروض القاريء على التحقيق وأعمال الروية وتدربه على تحري منهج الصواب والحق . هذا ، ومن أهم ما قام به صاحبنا في باب الاصلاح وتجديد الفكر ، على ما ذكرنا آنفاً ، اهتمامه بنظام الاسلام السكامل المشتمل على نواحيه الفكرية والخلقية والشرعية والمدنية والامعنان في خصائصه ومقوماته واعتناؤه بتدوين نظام الاسلام في شكل علمي مرتب ترتيباً علمياً ، بحيث يظهر اتصال بعض نواحيه ببعض ويتبين للناس ان الاسلام نظام شامل يحيط بنواحي الحياة البشرية كلها ، لا يخرج عن دائرته شيء ولا يشذ عن حوزته نقيير ولا قطمير * . وذلك من مزاياه التي لم يسبق اليها أحد ، فانه اول من اعتنى بذلك اعتناء كلياً في ما نعرف .

نقيير وقطمير يستعملان للقليل الزهيد .

- الناشرون -

وبما لا ننكره أنه نبغ في من تقدمه من العلماء في مختلف القرون ، من كانوا ينظرون الى الاسلام نظرة الدين الكامل ، ويرون أنه نظام للحياة شامل يحيط بجميع نواحي الحياة البشرية ، الا انه لم يهتم أحد منهم بتدوين نظام الاسلام ، وعرضه على الانظار كنظام شامل ، مرتب ترتيباً علمياً منطقياً . اما صاحبنا ، فانه عنى بوجه خاص بترتيب نظام الاسلام والاهتمام بدراسة جميع نواحيه المتشعبة ، بحيث كل من يدرس كتبه ومؤلفاته ، يعرف ان الاسلام له نظام (Shstem) فكري خاص . وله فلسفة للحياة مخصوصة به ، تدور حول قطبيها رحى مسائل مسائل الحياة ومشاكلها من العقيدة والعبادات والاخلاق والسياسة والاجتماع .

ولا يغرن أحدآ « الفلسفة » التي نسمع بها ونقرأ عنها في مؤلفات العلماء الذين سبقوه بقرون وأجيال ، فانها لم تكن من فلسفة الاسلام في شيء ، وانما كانت فلسفة تمت بصلة من النسب الى فلسفة اليونان والروم والفرس والهند ، اخترعها وأبدعها رجال من المسلمين تأثروا بعلوم اليونان وغيرهم ، فما أحرارها ان تسمى « فلسفة المسلمين » و فرق بين ما يشتمل عليه الاسلام من أفكار سليمة ومعان سامية وتعاليم قيمة عالية وماتم عليه فلسفة المسلمين - المقتطعة من اليونان والفرس والهند - من آراء باطلة وأفكار معوجة وطريق للتفكير غير مستقيم .

فالامام ولي الله الدهلوي هو أول من شق لنفسه طريقاً جديداً في هذا الباب وآمعن في الخوض في النظم الاسلامية واستخرج منها فلسفة

مرتبة متصلة الحلقات بينها ارتباط منطقي .

وكذلك له آراء نفيسة وأفكار ناضجة في نظام الاخلاق ، حيث بني على أساسه فلسفه للعمران وشؤون الاجتماع سماها (الارتفاقات) وعقد لها باباً خاصاً في كتابه الشهير (حجة الله البالغة) ، تناول فيه بالكلام شؤون تدبير المنزل وآداب العشرة وسياسة البلاد ونظام القضاء والضرائب وأمور المملكة وتنظيم الجيش وغيرها ، مما قل ان نظفر بمثله في كتب القوم . وكذلك أفاض في نظام الشريعة وأسرارها وفصل القول في العبادات والاحكام والقوانين الشرعية وكشف النقاب عما تنطوي عليه من مرام سامية وحكم بالغة . هذه نتف من أعماله الجليلة العلمية في باب تنقيح النظريات القديمة وتدوين نظام الاسلام وترتيب فلسفة الاسلام ، مستقاة من ينبوع الكتاب والسنة واطلاق العقول من ربة التقليد الاعمى وتجريد الافكار من داء التعصب الجامد . وكان من فضل الله عليه وتوفيقه اياه أن أثرت مساعيه وآتت أكلها ونبغ في أنجاله (أحفاده وتلاميذه من سعوا سعيهم وجاهدوا جهاداً مشكوراً في اكمال مهمته وافراغ دعوته في قالب الجد والكفاح والعمل وسيأتي بيانه ان شاء الله .

ما يؤخذ عليه :

والذي لا بد من الاشارة اليه في هذا المقام أن الامام ولي الله على مابه من علم غزير ونظرات في اسرار الشريعة ثاقبة واطلاع واسع على تاريخ الاسلام وأسباب تقهقر المسلمين وبصر نافذ بأدواء الامة ودوائها ما سلم من تأثير البيئة التي نشأ فيها ، فلم يتخلص من مصطلحات التصوف

وعلم اليونان وإشاراتهم ورموزهم البتة . وذلك بما لا عهد لنا به في كتب أئمة السلف من المحدثين والمحققين . ولولا هذا الخلل في كتبه ومصنفاته لفافت ، مؤلفات كبار أئمة المسلمين وثمرات قرائحهم وناهزت أفكاره آثار ابن تيمية واضرابه - إن كان له اضراب لكن اصطباغ كتاباته بصبغة التصوف واختياره لمصطلحاته وإشارات ورموزه التي ربما لا يفهمها إلا المنصوفون ، قلل من نفعها وأضر بغايتها ومقصودها . فهو يقول تارة في كتبه أنه « وصي هذا الزمان » ، وأنه يلقي إليه الكلام من جهة الملاء الأعلى وطوراً يتكلم في السلوك وطرق التصوف المتشعبة . وكذلك يبحث في وحدة الوجود ويقرر آراء ابن عربي ونظريته الباطلة «الوجودية» ويجهد في التوفيق بين (وحدة الوجود) التي يقول بها (ابن عربي) وبين (نظرية التوحيد) التي انتصر لها الشيخ السرهندي ودافع عنها وجاهد في سبيلها جهاداً مشكوراً كما سبق . وكذلك لا تخلوا كتبه من آثاره من فلسفة اليونان العتيقة البالية .

وهذا التأثير اليوناني والاصطباغ بصبغة التصوف والتكلم بكلام فلاسفة المتصوفين تختلف درجاته باختلاف مؤلفاته . فأحسن مؤلفاته وأكثرها نفعاً في باب الشريعة والكشف عن أسرار الدين ونظمه ومناهجه والبحث في تاريخ الإسلام والمسلمين (حجة الله البالغة) (وإزالة الحُفَاء) . ولذلك قال من قال من أولي العلم : -

« نحن نعرف (ولي الله) المحدث الفقيه صاحب (حجة الله البالغة)

و (ازالة الحفاء) ونجبه ، أما (ولي الله) المتصوف والفلسفي ، فلا صلة
لنا به .

وهذا هو القول الفصل في هذا الباب . ومن ذا الذي ترضى
أفكاره كلها ؟ وقدماً قال امام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله :

« كل واحد يؤخذ من قوله ويرد عليه الا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم »

انجمله وتلاميذه :

قد قلنا في ماتقدم أن بدء الاصلاح الحقيقي في بلادنا كان بجهود
الامام ولي الله الدهلوي ومسايعه المشكورة ، فانه هو أول من نقح
النظريات القديمة واستعرض تاريخ المسلمين وانتقده انتقاداً وبحث في
أسباب تقهقر المسلمين وزوال ممالكهم واستجلى صورة كاملة لنظام الاسلام
ورقبه ترتيباً علمياً فأبرز للناس نظاماً متصل الاجزاء مرتبط الخلقات ،

لكنه لم يتح له ان يقوم بنفسه بذلك الاصلاح الحقيقي المنشود
الذي مهد له السبيل بكتابه وآرائه الناضجة ودعا اليه في كتبه ومؤلفاته
بل الذين قاموا بذلك الاصلاح المطلوب وجاهدوا في سبيله جهاداً مبروراً
هم رجال من أحفاده وتلاميذه وتلاميذ تلاميذه ممن اغترفوا من بحار
أفكاره وارتووا من معين مصنفاته وكتابه ، كما سيأتي بيانه .

ومن منن الله البالغة عليه وفضله العظيم أنه رزق

أفجلاً^(١) اربعة كلهم علم في رأسه نار . وهم الذين أضأوا سراج الكتاب
والسنة في ظلمات الهند الخالكة وسعوا سعيهم وجاهدوا جهاداً عظيماً في
نشر تعاليم الدين الصحيحة النقية وبث معارف الاسلام النقية . وقد
تخرج على أيديهم ألوف من الرجال في أقصى الارض وأدناها جعلوا همهم
نشر الكتاب والسنة والقوا بين أعينهم عزم الجهاد في سبيل القضاء على
البدع والمنكرات واحياء مآثر الاسلام واقامة الدين من جديد . ونبغ
في حلقات دروسهم وحلقات تلاميذهم - ولا سيما نجده الاكبر وخليفته
في اعماله الشاه عبد العزيز وتلاميذه - رجال متضلعون من علوم الكتاب
والسنة ؛ مطلعون على أسرار الشريعة وقضوا حياتهم لخدمة الكتاب
العزيز والسنة النبوية وافادوا جما غفيراً من الناس ، كانوا في طليعة النهضة
الدينية وأصبحوا في مابعد من رواد اليقظة الدينية الحديثة .

(١) هم الشاه عبد العزيز (١١٥٩-١٢٣٩ هـ) والشاه رفيع الدين (١١٦٣-١٢٣٣ هـ)
والشاه عبد القادر (ت ١٢٣٠) والشاه عبد الغني (ت ١٢٢٧ هـ) . ولكل منهم
مؤلفات ومصنفات سائرة مسير الشمس ، ولا تزال تضيء ظلمات العقول وتنور حلك
الافكار وتحارب جنود الشك والزيغ والالحاد ، الا ان اكبرهم - الشاه عبد العزيز -
كان يعد خليفة أبيه ووارث علومه . وقد انتفع به خلق عظيم ممن لا يأتي عليهم
الا حصاء ، واختارت شهرته حدود الهند وأمه المتعطشون للعلم من أقصى بلاد العالم
وأدناه . وأصرهم الشاه عبد الغني توفي وهو حدث السن ، لم يكد يخدم الدين والامة
بشيء يذكر في بطون التاريخ ، الا ان الله رزقه مولوداً جملة الله من مجددي هذه
الامة وكبار مصلحيها في هذه البلاد ، الا وهو الشاه اسماعيل الشهيد بن عبد الغني ولي
الله الذي سيأتي ذكره مفصلاً .

وهؤلاء الرجال الذين تخرجوا على أيدي أنجال الشاه ولي الله وتلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم ، لم تكن جهودهم منحصرة في دائرة ضيقة من مسائل الفقه وفروعه ، بل كانت جهودهم ومساهماتهم في سبيل الإصلاح والتجديد شاملة محيطه بجميع شعب الحياة البشرية ، حتى أنه قام من بينهم من خرج من دياره ، مهاجراً إلى الله وجرد السيف وقاتل وخاض المعارك الدامية في سبيل إعلاء كلمة الله وإقامة الدين في هذه البلاد ، كما سيأتي بيانه ان شاء الله . وكذلك خدموا الكتاب العزيز والسنة النبوية وعكفوا على دراستها وعنوا بتأليف كتب في التفسير وتدوين شروح لكتب الحديث وبلغوا في اهتمامهم بالسنة النبوية وإحياء مدارس من معالمها وكشف كنوزها ودفائنها مبلغاً لم تبلغه جماعة من المسلمين في القرنين الأخيرين . والامر أشهر من أن يذكر وينوه به . هذه مؤلفات علماء الهند المشتغلين بالحديث وشروحهم وحواشيمهم على متون الحديث مبثوثة منتشرة في معظم الأقطار الإسلامية .

وقد أشاد بذلك ونوه به عالم مصر وعلمها المغفور له العلامة الجليل الاستاذ محمد رشيد رضا في مقدمته لكتاب مفتاح كنوز السنة ، (صق) حيث ذكر فيها :

« لولا عناية اخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر ، لقضي عليها بالزوال من أمصار الشرق . فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة ، حتى بلغت منتهى الضعف في أوائل هذا القرن الرابع عشر . »

وكذلك ذكر خدمات علماء الهند للحديث النبوي والسنة الشريفة في القرون الاخيرة ، كل من تصدى لتدوين تراجم العلماء والتأليف في طبقات المصنفين والمؤلفين ، ذكروها بما فيه كفاية وغني عن اعادته في هذا المقام . وانما أشرنا اليه بمناسبة الموضوع .

الامامان الشهيديان

السيد احمد الشهيد واسماعيل الشهيد^(١)

لقد عرف القاريء ان الامام ولي الله الدهلوي (ت ١١٧٦ هـ) هو اول من بذر بذور الاصلاح والتجديد الحقيقيين ، وان كل ماظهر في بلادنا من امارات التجديد والاصلاح الديني والنهضة العلمية الصالحة في القرنين الاخيرين ، يرجع فيها الى الامام ولي الله وأنجـاله وتلاميذه وتلاميذهم وأتباعهم . وكذلك أشرنا في ماسبق الى أنه لم يتمكن ان يقوم بنفسه بحركة علمية تأتي بالاصلاح المطلوب والتجديد المنشود ، وذلك لاشتغاله بتنقيح النظريات والآراء وصقل الافكار وتنوير الازهان . وكان ذلك طبعياً اذا نظرنا الى طبائع الامم وتاريخ الانقلابات في العالم رأينا انه ربما تمضي حياة الرجل كلها في صقل الازهان وحل المعضلات والكشف عن دياجير الشكوك والالهام .

(١) ولد السيد أحمد الشهيد سنة ١٢٠١ للهجرة واستشهد سنة ١٢٤٦ هـ . أما الشاه اسماعيل الشهيد بن عبد الغني بن ولي الله ، فكانت ولادته سنة ١١٩٣ وتوفي شهيداً مع شيخه وجماعة من كبار مشايخ الهند وعلمائها في معركة دامية سنة ١٢٤٦ هـ . رحمهم الله رحمة الابرار الصالحين من عباده ونضر وجوههم يوم القيامة .

ينشيء بذلك طبقة أخرى مرتوية من ينبوع أفكاره مثقفة بثقافته
متوثبة متطلعة الى النهوض والعمل فتخلقه في عمله وتقوم بالدعوة وترفع
كلمة الاصلاح الحقيقي وتحمل لواء الجهاد بيدها وتخوض غمار المعركة من
غير خوف ولا وجل .

وهكذا كان في تاريخ الهند الاسلامية ودعوتها التي نحن بصدد
تاريخها الان ، فانه لم يمض على وفاة الامام ولي الله زمن قليل ، حتي نبغ
من اهل بيته وتلاميذهم ومن أخذوا عنهم رجال قاموا بالدعوة أحسن
قيام وجددوا سنة النبي ﷺ تجديدأ . وهذه الدعوة التي قام بها الامامان
الشهيدان السيدان احمد بن عرفان واسماعيل بن عبد الغني ولي الله ، كانت
اول دعوة في الهند ، في مانعرف ، قامت باحياء الشريعة واقامة الدين
من جديد وأهابت بالامة الى الاستقاء من معين الكتاب والسنة واللجوء
الى كنف الشريعة في جميع شؤون الحياة وشعبها . والذي مهد السبيل
لهذه الدعوة المباركة واحياء مآثر الاسلام في هذه الديار ، هو مؤلفات
الامام ولي الله الدهلوي وآراؤه الحصيفة وأفكاره الناضجة الحكيمة التي
أحدثت انقلاباً فكرياً فنشأت طبقة مثقفة بتلك الآراء السليمة والافكار
الاسلامية الخالصة .

ثم عممها وبث خيراتها ومعارفها أنجـاله الفطاحيل الاربعة
والكواكب النيرة ؛ الشـيوخ الاجلاء (عبد العزيز ورفيع الدين وعبد
القادر وعبد الغني ؛ الذين وقفوا حياتهم لنشر معارف الكتاب والسنة
وجعلوا همهم تعميم التعاليم القومية الصحيحة ، فأفادوا جمعاً غفيراً من الناس

وانتشرت طريقته المثل في الدين والعلم في طول البلاد وعرضها وظهرت في سائر أنحاء هذا القطر العظيم جماعات متضلعة من علوم الشريعة متخرجة على طريقة الامام ولي الله وعلى أيدي أنجاله وتلاميذهم . فكانت هذه النهضة العلمية التي وضع أسسها وشيد بنيانها الامام ولي الله ومن تخرج على يده ويد أنجاله ؛ نواة صالحة للدعوة العملية والجهاد المبرور والنهضة الجبارة التي قام بها وحمل لواءها ورفع منارها (السيدان الشهيدان والعلمان الشاخوان ، سليل بيت النبوة ورضيع لبان العلم والشرف السيد احمد بن عرفان ^(١) (١٢٠١-١٢٤٦ هـ) وزميله وصاحبه قرة عين بيت ولي الله ودرة تاجه الشيخ اسماعيل بن عبد الغني ولي الله (١١٩٣-١٢٤٦ هـ) فقاما بالدعوة خير قيام ونشرا السنة المحضة وعمما تعاليم الدين الصحيحة وساحا في الاقطار وجابا الاراضي النائية لتبليغ الدعوة وأداء الامانة .

(١) الامام المجاهد العارف بالله السيد احمد الشهيد بن عرفان ولد عام ١٢٠١ لهجرة في قرية من الولايات المتحدة في الهند ، في بيت معروف بالعلم عريق في الحميد والشرف وكان منذ الصغر ميالاً الى الورع والانقطاع الى الله مشوقاً الى الجهاد . وما كاد يبلغ من عمره السنة السابعة عشرة حتى حدا به حادي الاسفار فافتقد غارب الاغتراب وساح في البلاد وتدرّب على فنون القتال واخذ من انجال الشاه ولي الله الدهلوي ثم اشتهر امره وعرف من فضله وورعه ما جعل بعض كبار علماء بيت ولي الله الدهلوي يأخذون عنه ويرافقونه ويباركونه على الجهاد والسمع والطاعة ، منهم الشاه اسماعيل الشهيد (حفيد الشاه ولي الله) ومولانا عبد الحي (ختن الشاه عبد العزيز بن ولي الله) وغيرها .

فانتفع بها وبأتباعها البورة مئات الالوف من الناس وأسلم على أيديهم خلق كثير لا يأتي عليهم الاحصاء . وجلة القول أنه حصلت في الهند نهضة دينية جديدة لم يكن لها سابق عهد بثلاثها ، نهضة دينية مستقيمة معتدلة سائرة على طريق الشريعة المستقيمة ، اخترقت السهول والجبال واجتازت العقبات والعراقيل حتى بلغت الحدود الشمالية الغربية واستقرت في كهوفها وشعابها وتغلغت في مغاراتها وأوديتها ، تدعو الى الاعتصام بالكتاب والسنة والجهاد في سبيل الله ، الى ان التفت حول الشهيد جماعة وافرة من المجاهدين - وفيهم العلماء والمحدثون والقراء ممن تخرجوا على أيدي الشاه عبد العزيز بن ولي الله (ت سنة ١٢٣٩ هـ) وتلاميذه الميامين النجباء واجتمعت لديهم كمية لا يستهان بها من عتاد الحرب وعدتها . وكذلك انضوت تحت لواهم غير واحدة من الشعائر الافغانية القاطنة في الحدود الشمالية الغربية من أحلاس الجيول وأبطال الوغى . فأعلنوا الجهاد على السيك ^(١) (Sikhs) الطغاة الذين كانوا يعيشون في الارض فساداً ويتعاطون المنكرات من قتل النساء والعجزة وهتك الاعراض وسفك دماء الابرياء من أبناء الاسلام واهانة المساجد وتعطيل شعائر الاسلام الى غيرها مما جعلهم أعدى عدو للاسلام وأشدّهم بغضاً وأكثرهم خبثاً وعداء للمسلمين في هذه البلاد .

(١) طائفة من أهل الهند نشأت منذ أكثر من أربعة قرون . والذي قام بتأسيسها كان رجلاً من الهنادك اسمه كرونانك Gurunanak ، و كرو « معناه » المعلم والمرشد ، يميل الى التصوف والتنسك . ثم خلفه بعد وفاته سنة ١٥٣٣ م رجال في القيام بأمر النحلة واحد تلو الآخر ، الى ان اصطدمت بالحكومة -

— المساهمة في عهد ملوك المغول وتحولات الطائفة الى عصابات عسكرية تقطع السبيل وتأتي المنكرات وتعبث في الارض فساداً . والاسف ان الحكومات المسلمة ، على قوتها ومنعتها ، لم تجر دجيشاً لقمع ثورتهم وكنج جماهم ثم ظهر معلمهم العاشر - كورو كوبند - فأعلن انه هو المعلم الاخير وانه يكفيهم بعده للرشاد كتابهم المقدس كرنته صاحب (Garath Sahib) فانتظموا من بعده وتدربوا على القتال وشن الغارات والفتك بالأمنين والبرياء الى أن استفحل أمرهم وعرا الحكومة المسلمة الوهن والضعف بعد وفاة الملك المسلم العادل أورنگ زيب (١٠٦٨ هـ - ١١١٨ هـ) فزادوا قوة الى قوتهم وتنادوا في الشر والطغيان . ولما ضعفت الحكومة المسلمة المركزية واستولى الامراء على المقاطعات ونجم قرن الثوار من كل صوب ، أخذ السيک زمام مقاطعة (بنجاب) وماجاورها من البلدان بأيديهم وجعلوا يحكمونها بنوع من الشدة والقسوة . واصبحت لهم صولة ومنعة في الاقطار الشمالية لا ضمحلال نفوذ المسلمين وعدم تمكن الانكايين بعد من تلك الاقطار . وذلك في بدء القرن الثالث عشر للهجرة - القرن الثامن عشر للميلاد ، لكنهم لم يسوسوا أمرها كما تسوس الامم المتحضرة العارفة بقوانين المملكة وطبائع الملك . وانما دبوا وشؤوها وحكموها جفاة غلاظا كما استولوا عليها . لم يرقبوا في أهاليها وسكانها الهاؤ ولا ذمة ، بل ساقوا الشعب بأجمعه ، بعضا القهر والاستبداد . أما المسلمون فقد خصومهم باخطهادهم وأنزلوا عليهم من أنواع المظالم والشدائد ما تنقشع له الجلود وتنفطر لسماعه القلوب . وناهيك منها باغلاق ابواب المساجد وتحويلها الى ثكنات للجنود ورباط للخيول ومنع الأذان وهتك الحرمات والاعتداء على أعراض النساء الى غير هاتما لا يمكن أن يتصوره العقل البشري السليم - فالذي اصاب أبناء الاسلام بأيديهم من أنواع الخزي والهوان في بدء القرن الثالث عشر للهجرة ، هيج كل من أشجان المجاهدين البررة وحرك عزائمهم وحرر ضميرهم على القتال ، حتى نهضوا لحررهم

أعلنوا الجهاد الشرعي على أولئك الكفرة الفجرة ، فبايعوا الامام العارف بالله السيد أحمد بن عرفان على السمع والطاعة واتخذوه أمير المؤمنين ، وذلك في جمادي الآخرة سنة ١٢٤٢ للهجرة (يناير ١٨٢٧ م) ، وان كان القتال قد بدأ فعلا قبل ذلك بزمان ، الا ان المعارك الدامية قد اشتدت بعد البيعة لأن البيعة واجتماع الكلمة وانخراط المجاهدين في سلك واحد زادهم قوة الى قوتهم وحرصهم على القتال وخوض المعارك وجراهم على الاهوال والشدائد . وبما يؤمننا ان المقام لا يتسع لاستيفاء ذكر الوقائع التي خاض المجاهدون غمراتها وسرد الفتوح التي أحرزوها ووصف القلاع التي امتلكوا ناصيتها . وجملة ما نستطيع قوله في هذا المقام أن المجاهدين ، على ما بهم من قلة في العدة والعتاد وعوز في الاقوات والرجال ما كانوا ليظهروا بوادر الضعف والوهن أمام العدو بل ظلوا ثابتين في مكانهم غير متزعزعين . وبقيت الحرب سجالا بين الفريقين أربع سنين . اعترف خلالها العدو الغاشم بشدة مراسيمهم وصلابة قناتهم لكنهم اتوا من قبل داء التشمت والتفرق وظهور عقارب السوء بين الاهالي ، فقد لعبت

— وهزمهم في عدة معارك دامية الى ان استأثرت بهم رحمة الله واستشهد الامامات الشهيدان ونوارى النجمان اللامعان في تربة (بلاكوٲ) سنة ١٢٤٦ للهجرة ، أثر معركة شديدة خاضوا غمارها بأنفسهم وارخصوا فيها ارواحهم ومهجهم . أما أصاب المسلمين منذ ثلاث سنين في شرقي (بنجاب) بيد هؤلاء الفجرة من هتك الاعراض وضروب الذل والعار فلا يزال جرحه دامياً ، وهيأت أن يلتئم على مر الغداة وكر العشي .

بالمسلمين في تلك الاقطار دواعي التفرق ونفت علماء السوء شرور الفتنة وأثاروا
 الخلافات وحدثت أمور غيرها ثارت لأجلها العشائر الافغانية . وكان من سوء
 حظ الاسلام في هذه البلاد ان المنتسبين له في الحدود الشمالية الغربية من
 عشائر الافغان ما عرفوا قدر هؤلاء المجاهدين المهاجرين النازحين عن أوطانهم
 النازلين بينهم ليلبغوهم كلمة ربههم ويعلموهم دينهم وينشئوهم على اقامة
 شعائر الاسلام ، وما وفوا بدمتهم فضلاً عن مساعدتهم ومد يد المعونة
 اليهم ، بل غدروا بهم وفتكوا بهم فتكا ذريعاً على غرة منهم ووضعوا
 السيف في رقاب العلماء والصالحين الذين كانوا قدوة صالحة ونجوماً للهداية
 لامعة في ظلمات القرون الاخيرة ، بشس ماسولت لهم أنفسهم وما اكتفى
 اولئك الأشرار بذلك ، بل أصبحوا عيوناً لأعداء الاسلام على المجاهدين
 وجعلوا يتربصون بهم الدوائر ، الى أن ادر كوا سؤلهم في معركة
 (بالاكوت)^(١) ، فبينما كانت المعركة حامية وطيسها بين المجاهدين والسيك
 الطغاة ، وكانت كفة المسلمين راجحة وكانوا مستيقنين من النصر والفتح
 بتوفيق من الله ، اذ حمل عليهم العدو من خلفهم ، من وراء طرق وشعاب
 ملتوية في الجبال بدلالة من اولئك الجواسيس ، فخسر المسلمون في المعركة
 واستشهد الامامان وصفوة من خيار علماء المسلمين ورجالهم . وبذلك
 توارى في تربة (بالاكوت) الامل في احياء الاسلام وتنفيذ الشريعة

(١) موقعها الآن في مديرية (هزاره) من مقاطعة الحدود الشمالية الغربية على تخوم ولاية
 (كشمير) وهي كلها بلاد جبلية .

واقامة الدين من جديد في هذه البلاد . ولا جرم أنه كان يوماً مشؤوماً
على الاسلام والمسلمين . اللهم اغفر لهم وارحمهم رحمة الابرار الصالحين من
عبادك واحشرهم في زمرة المجاهدين الأولين الذين جاهدوا مع نبيك
محمد ﷺ

دعوة الامامين الشهيدين السيدين :

كل من ألم بتاريخ الاسلام في الهند وبحث في تطوراتهِ وتطرق
الى ذكر المصلحين وحمله لواء التجديد من أساطير الكتاب وحمله الاقلام
في هذا العصر ، متفقون على أن بدء الاصلاح كان بجهد المجدد السرهندي
(ت ١٠٣٤ هـ) ، والذي شاد بناء التجديد وكل بناء الاصلاح الحقيقي ،
هو الامام ولي الله الدهلوي (١١١٤ - ١١٧٦ هـ) ، وكذلك اتفقوا
على ان الامام ولي الله لم يتأت له أن يقوم بحركة عملية تأتي بالاصلاح
المنشود ، وانما قام بهذه الحركة وجدد دعوة الاسلام الحقيقية الامامان
الشهيديان السيد أحمد بن عرفان والشيخ اسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله
لكنهم اختلفوا في من يرجع اليه الفضل في اكمال صرح التجديد الذي وضع
أسسه وشيد بنيانه الامام ولي الله . فيرى الاستاذ أبو الكلام - كما ذكر
في كتابه (تذكره^(١)) ، وهو أول من كتب في الموضوع حسب

(١) كتاب نافع جداً ، دافع فيه عن السلفية وابن تيمية دفاعاً مجيداً . وكذلك أشاد
بوقف الامام ابن حنبل الجليل بازاء فتنة خلق القرآن ، بما لا مزيد عليه . ألفه قبل
بضع وثلاثين سنة في المعتقل .

مانعرفه - « ان الذي كمل بيده صرح التجديد وتمت به حجة الله على خلقه هو اسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله » ، ويرى استاذنا المحقق السيد سليمان الندوي « أن حركة تجديد الدين كان زمامها بيد الامامين معا ، لا يفرق بينهما ، كأنها شخصية واحدة افرغت في قالبين » .

وكذلك كتب الاستاذ ابو الاعلى المودودي « ان الشهيدين وحركتها التجديدية كانت تكملة وذيلًا للحركة الاصلاحية العظيمة التي قام بها الامام ولي الله الدهلوي » .

اما هذا العاجز فيرى ان الفضل في حركة التجديد والجهاد يرجع بعد فضل الله وتوفيقه الى السيد احمد الشهيد . وهذا أمر يرجع الى الذوق والوجدان :

وللناس في مايعشقون مذاهب

وقد ظهر من ذلك ان الكل متفقون على ان الحركة الاصلاحية العظيمة التي قامت وظهرت وازدهرت بمساعي الشهيدين وأتباعها من بعدهما ، هي الحركة التي كمل بها صرح الاصلاح المنشود وعاد بها للاسلام رواؤه وبهاؤه في هذه الديار .

اما دعوة الامامين الشهيدين ، فلاشك أنها كانت ترمي الى اقامة الدين واحياء مآثر الاسلام من جديد ، فما كانت لتتصر في ناحية من نواحي الدين او تدور حول مسائل في فروع الفقه . وانما كانت دعوتها الى النظام الشامل الجامع الذي جاء به الاسلام خيراً وبركة للعالمين . ومن أعاجيب القرن العشرين ان بعض المتسمين بالعلم يقولون عليها أنها كانا يجتهدان في استرداد المملكة المغولية التي استولى عليها الانكليز .

كأن هؤلاء لا يرضون منها الا ان يظهر ا بمظهر الوطنية والقومية الممقوتتين . ومن حيث ان مثل هذه الأقاويل قد ظهرت وشاعت في الآونة الأخيرة ، نرى من المناسب أن ننقل من كتاب السيد الشهيد الى بعض رؤساء العشائر الأفغانية ، ما بين وجهة نظره وغايته من القتال والجهاد ، وهاك ما قال بنصه وفصحه ليتبين الحق وتنقشع سحب الشكوك والأوهام : -

والذي نفسي بيده ان هذا العاجز لا يريد بهذا المنصب غير اقامة فريضة الجهاد على الوجه المشروع وتنظيم جيش المسلمين على الطريق الاقوم ، والله العليم بذات الصدور شهيد على ما أقول . نعم بما اتمناه على ربي وارجوه من صميم فؤادي أن يجري العمل بقانون الشرع وتنفيذ احكام الرب العلي العظيم في معظم بلاد بني آدم بل في جميع اقطار العالم ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .	رب غيور كر عليهم بذات الصدور است براين معنى كه اين جانب را از قبول اين منصب غير ازا قامت جهاد بوجه مشروع وحصول معنى انتظام در عساكر ايل اسلام ، غرض ديكر از اغراض نفسانية نيست آرى اين قدر آرزو دارم در اكثر افراد بني آدم در جميع اقطار عالم احكام رب العالمين كه من بشرع متين است بلا منازعت احدى نافذ كرد (۱)
--	---

(۱) راجع كتاب (سيرة سيد أحمد شهيد) بالاردية للاستاذ ابي الحسن علي الحسني.

الندوي (ص ۱۱۱ - ۱۱۰)

هذا ما كان عن غاية الجهاد والهجرة . أما ما جاء على اثر هذه الدعوة المباركة من النهضة الدينية والاصلاح والتجديد في مختلف نواحي الحياة في طول البلاد وعرضها ، فحدث عن البحر ولا حرج . وجملة القول ان كل مظهر في القرن الماضي من الحركات الدينية والنهضات العلمية وما جد من حركة التدوين والتأليف في علوم الكتاب والسنة ، وكذلك كل ما تلمسه الآن من تباشير اليقظة وأمارات الاصلاح الديني القويم ، انما يرجع الفضل فيه الى هذه الدعوة المباركة الجليلة ، دعوة الاحياء والتجديد التي قام بها الامامان الشهيدان وزملاؤهما وأتباعهما .

هل نبحث هذه الدعوة :

والذين في قلوبهم مرض ولا يعجبهم التنويه بهذه الدعوة الدينية الخالصة ولا يروقههم ظهور دعوة دينية شاملة في هذا العصر ، يطعنون في هذه الدعوة من جهة أخرى ، يقولون ان تلك الحركة التي قامت وازدهرت بجهود الامامين الشهيدين لقيت حتفها في معركة (بالاكوت) وما قدر لها النجاح المنشود أبداً .

كأنني بهم يريدون بذلك ان يقولوا لنا اذا لم يدرك الغاية أمثال أولئك الائمة الفطاحل والجاهدين الابرار الذين ما وقعت عين الزمان على جماعة أحسن منهم علماً وعملاً بعد عصر الصحابة ، فما بال امثالكم المستضعفين تدعون الى اقامة الدين وتنفيذ القانون الالهي وبسط نظام العدل والنهضة على وجه الارض ! »

والحال ان الحقيقة ليست كما يصورونها تمويهاً وتزويراً .

فالذي ينبغي ان لا يغيب عن الالذهان ان للنجاح والحشران عندنا معنى يختلف عما يزعمون ويتصورون . فاننا ما خلقنا الا عباداً لله الواحد الفرد الصمد ، وليس من وظيفتنا في هذه الدنيا الا ان نظل ساعين وراء اقامة دينه واعلاء كلمته في أرضه وابتغاء لمرضاته ورجاء في المثوبة عنده تعالى شأنه .

اما الوصول الى الغاية والحصول على النجاح الظاهر في هذه الدنيا ، فليس هذا من وظيفة العبد القانت ، انما ذلك يرجع الى الرب تعالى . انما نجحنا في هذه الحياة الدنيا ان لا نتوحزح قيد شعرة عن خطة الجهاد ونظل متمسكين بالعروة الوثقى والطريقة المثلى الى آخر نفس من أنفاس حياتنا .

هذه واحدة . والحقيقة الثانية التي يليق بالقاريء المستبصر ان يتفكر فيها ويسائل نفسه عنها هي : « أحقاً خابت هذه الدعوة في مسعاها كما يزعمون ؟ ترى ألم يحدث في أوساطنا الاجتماعية والسياسية انقلاب ملموس بعد الجهود العظيمة التي بذلها الشهيدان واتباعها من بعدهما ؟ ألم تتغير الحال الدينية عما كانت عليه قبل الامام ولي الله وفي زمنه ؟ هل بقي نسكاح الايامي يعد سبة وعاراً الى اليوم ؟ او سمعت اليوم أحداً من أهل العلم او حملة الدين يستبدل تحية عادية بتحية الاسلام ؟ وفوق ذلك ، أوليس من صميم الحقيقة والواقع أنه لم يخل زمن بعد شهادة الامامين من رجال بررة ظلوا مرابطين في الحدود الشمالية الغربية ، يدعون الى الجهاد في سبيل الله ويرخصون في ذلك مهجهم وأرواحهم .

فاذا كان هذا كله مما تشهد به الحقيقة وماجريات القرن الغابر ،
فما أجل هذا الحُسران والفشل الذي يتشددون به . وأنعم بهذه الدعوة
التي لا تزال آثارها مشاهدة متجلية للعيان تجذب اليها القلوب والانظار ،
مع أنه قد انقضى على معركة (بالا كوت) - التي استشهد فيها الامامان -
نحو مائة وثلاث وثلاثين سنة .

أسباب الفشل الطبيعية :

هذا ؛ وهناك اسباب طبيعية لهذا الفشل الذي أصاب الدعوة في
(بالا كوت) وبعدها ، لا يسمح المقام باستيفائها الا أنه لابد من الاشارة
الى سبب قوي من تلك الأسباب التي افضت الى انهزام المجاهدين وانكسار
شوكتهم . وذلك ان الامامين - السيد احمد و اسماعيل الشهيدان -
وزملاءهما قد اختاروا الحدود الشمالية الغربية مركزاً لجهادهم واتخذوها
مقرّاً لحركاتهم وتنقلاتهم العسكرية . اختاروا تلك البلاد الجبلية والمعاقل
الافغانية واتخذوها مركزاً للجهد والامارة قبل أن يهدوا الارض وينشروا
فيها الدعوة ويهيئوا نفوس أهل البلاد لقبولها ينشئوا شبانهم وناسئتهم على
آداب الاسلام وأخلاقه الفاضلة .

ومن الغريب أن جميع دعائهم وعلمائهم ومجاهديهم كانوا من
أقطار الهند الشرقية (١) التي نبتت فيها الدعوة ونمت وازدهرت بعد ما عمل
فيها الامام وأتباعه سنين عديدة يعظون الناس ويلقنونهم عقيدة التوحيد

(١) وبين هذه الاقطار الشرقية (مقاطعات بنضال وبهار) وبين مقاطعة الحدود الشمالية
الغربية الف ميل بل أكثر من ذلك .

الخالص ويرشدونهم الى طريق الخير والفلاح في العاجل والآجل ولما
عزموا على قتال السيك واختاروا الحدود الشمالية الغربية مقراً للامارة
والمجاهدين ، جاؤوا بالمتطوعين من تلك الاقطار الشرقية ، متجشمين
بالاخطار والاهوال .

لكنهم ، وبالأأسف ، لم يهتموا بتربية سكان البلاد التي اتخذوها
مركزاً للقتال والجهاد . وبما لا حاجة الى بيان ان العشائر الافغانية
القاطنة في الحدود كانت اذ ذاك في جاهلية جهلاء ، لا تعرف من الاسلام
الا اسمه ، ولامت الى الدين الا بأسباب من الرسوم الظاهرة العادية ،
وقد تمكنت منهم العصبية النسبية والقبلية تمكنا وتطبعت عاداتهم
واخلاقهم بعوائدهم القبلية التي كان لها عليهم سلطان وأي سلطان فكانت
نتيجة هذا الخطأ الفادح أنه لما جد الجدد واستمر القتال بين المجاهدين
والسيك أصبح كثير من القبائل الافغانية عيوناً للاعداء وعوناً لهم
على المجاهدين .

وكذلك كلما اهتموا غرة من المجاهدين لم يترددوا في التنكيل بهم
ووضع السيوف في رقابهم . هذا كله جهلاً منهم بالدعوة وتهافتاً على حكم
الدنيا الدنيئة . فلو اعتنى القائمون بالدعوة والجهاد بنشر الدعوة بين سكان
تلك الاقطار وصرفوا جزء يسيراً من جهودهم وأوقاتهم في تلقينهم مبادئ
الدين وتنشئتهم على الاخلاق الفاضلة والآداب الاسلامية ، لما كان موقفهم
من الدعوة والقائمين بها ذلك الموقف المخجل الذي قصم ظهر الدعوة يومئذ
وسود وجوههم في الدنيا والآخرة .

الفصل الخامس

الثورة وما بعدها

لعل القاريء العربي يعرف أن الملكية المطلقة في الهند بدأت بضعف
أمرها وتقلص ظلالها منذ أواسط القرن السابع عشر الميلادي . ومنذ ذلك
اليوم أخذ الأمر يتقلص في كل أنحاء الهند . والبرطانية ، التي كانت
تستتب لها الأمور في معظم أطراف الهند في بدء القرن التاسع عشر ، أعاد
الملكية المطلقة المركزية ، وقد أصبحت منحصرة في العاصمة (دلهي) في
الهند . والآخر ، الذي كان يسكنه الملك ، ومن غريب المصادفات أن
حركة تجديد الدعوة والجهاد ما قامت إلا بعد ما تمكن الإنجليز من
تأدية الأمر في أكثر أنحاء البلاد ولم يخرج عن صورة ملكهم إلا مقاطعة
(بنجاب) وبعض المقاطعات النائية . ولا انتشهد المجاهدون في معركة

ثورة الهند الكبرى

وما بعدها

١٢٧٣ - ١٨٥٧ هـ

المخلص وبرشدونهم الى طريق الخير والفلاح في العاجل والآجل وبأس
عزموا على قتال السيك واختاروا الحدود الشمالية الغربية مع بلاد الهند
والمجاهدين ، جاؤوا بالمتطوعين من تلك الاقطار الشرقية ، مستحسنين
الانذار والاهوال .

سنة ١٢٨١

لكنهم ، وبالأسف ، لم يتوابعوا بقية سكان البلاد التي اتخذوها
مركزاً للقتال والجهاد . ربما لاجل ان يساهموا في القضاء الاقضية
القاطنة في الحدود كانت اذ ذاك في حالة جهل ، لا تعرف من الاسلام
الا اسمه ، ولانث الى الدين الاسباب من الرسوم الظاهرة العادية ،
وقد مكنت من ذلك .
بسم الله الرحمن الرحيم
ولعلهم يعرفون انهم في تلك الاقطار الشرقية ، رأوا سلطان فمكثت
نتيجة هذا الخط الفادح انما وجد الجهد وامتن القبال بين المجاهدين
والسيك اصبح كثير من القبائل الاقضية عبرة للاعداء وعروة لهم
على المجاهدين .

وكذلك كلما اعتلوا غرة من المجاهدين لم يتقدموا في التكيل بهم
ووضع السيف في رقابهم ، هذا كله جهلاً منهم بالدعوة ونفاقاً على حكام
الدنيا الدينية . فلو اعتنى القائمون بالدعوة والجهاد بنشر الدعوة بين سكان
تلك الاقطار وصرحوا لهم بغير غش وجرودهم وأوقفتهم في تلقينهم مبادئ
الدين وتعليمهم على الاخلاق الحسنة والآداب الاسلامية ، لما كان موقفهم
من الدعوة والتفويض في ذلك الوقت القليل الذي قصده ظهر الدعوة بمرشد
وسرورهم في الدنيا والآخرة .

الثورة وما بعدها

لعل القاريء العربي يعرف أن المملكة المسلمة في الهند بدأ يضعف أمرها ويتقلص ظلها منذ أواخر القرن السابع عشر للميلاد ، ومنذ ذلك اليوم أخذ الامر ينتقل الى « شركة الهند الشرقية » البريطانية ، حتى كاد يستتب لها الأمر في معظم أقطار الهند في بدء القرن التاسع عشر . اما المملكة المسلمة المركزية ، فقد أصبحت منحصرة في العاصمة (دھلي) في « الحصن الاحمر » الذي كان يسكنه الملك . ومن غريب المصادفات ان حركة تجديد الدعوة والجهاد ما قامت الا بعد ما تمكن الانكليز من فاصية الأمر في اكثر انحاء البلاد ولم تخرج عن صورة ملكهم الا مقاطعة (بنجاب) وبعض المقاطعات النائية . ولما استشهد المجاهدون في معركة (بالاكوت) سنة ١٢٤٦ هـ / ١٨٣١ م ، اعتزى اليأس والوجوم جمهرة سكان البلاد الذين كانوا يتذمرون من قسوة عمال الشركة وسوء صنيعهم في الحكم . وكذلك انتشر الاضطراب وعم القلق في الجيش الحكومي المؤلف من الاهالي لاسباب عديدة لا يتسع نطاق المقام لذكرها . وجملة القول انه انفجر بركان ثورة عظيمة دامية في البلاد وامتد لحيها الى جميع

انحاء القطر ، الا انها كانت على أشدها في العاصمة (دهلي) وماحولها وميلها من مقاطعة الولايات المتحدة (U. P.) حيث استولى الجيش والاهالي على معظم الاماكن الاستراتيجية ونشبت معارك دامية بين الجيش البريطاني والثوار واستمر القتال عدة أشهر أبلى فيها الثوار والاهالي بلاء حسناً .

وقد ساعدتهم على ذلك فتوى العلماء بوجوب الجهاد ومشاركتهم في الثورة فعلاً .

ولعمر الحق ، أنها كانت ثورة هائلة جبارة كادت تذهب بالسلطة البريطانية في سيلها الجارف ، الا ان القدر ماساعد اهل الهند وتمكن الجيش الانكليزي ومن لم يفارقهم من الجيش الاهلي من كبش جماح الثورة والقضاء على الثوار . وفي غضونهما أسروا الملك المسلم (المحبوس) في الحصن الاحمر ونفوه الى بلاد (برما) ، حيث استأثرت به رحمة الله واحي اسم المملكة المسلمة من خريطة الهند . وأيضاً أخذت الحكومة البريطانية زمام الامر بيدها رأساً وانتهى حكم الشركة المشؤوم الجائر ، الى غير ذلك من التغيير والتبديل الذي طرأ على البلاد وقلب اوضاعها رأساً على عقب . واما انواع المظالم وصنوف الشدائد والاهوال التي صبتها الجيش الانكليزي على الاهالي وماسامهم من سوء العذاب والذل المهين . فهي من أفظع أنواع الهمجية والقسوة التي يندى لها جبين الانسانية ويحمر لها وجه المروءة والشرف خجلاً وحياء . وناهيك بها من قتل وتشريد ونفي وتعذيب واجلاء وسفك لدماء الابرياء العزل الوداعين

ومصادرة للأموال والأراضي وانتهاك الحرمات والاعتداء على ربات
الحدود ، مما سود وجه التاريخ البريطاني في هذه البلاد . ولما كان أبناء
الاسلام هم الذين تولوا أمر البلاد من قبلهم - ولو بالاسم منذ مائة سنة -
وأنهم هم الذين حملوا بيدهم لواء الثورة وكانوا في طليعة المقاتلين وعلى رأس
كواكب الثوار ، أصابهم بهذا الانقلاب صدمة عظيمة انستهم كل مصيبة
أصيبوا بها من قبل في هذه البلاد .

صدمة وأي صدمة ياترى ؟ كأنني بالدهر الغشوم ما ابقى في
جعبته سها الا ورماهم به . فان الانكليز ، بعد ماظفروا بالثوار وتمكنوا
منهم ، جعلوا نصب اعينهم ان يستأصلوا شأفة المسلمين ويبيدوهم عن
آخرهم ويقضوا عليهم قضاء لا تقوم لهم قائمة من بعده أبداً . وكل من
أمعن في تاريخ الهند في المائة سنة الماضية ودروسه درساً وافياً ، يشهد
لهم بأنهم لم يغفلوا عما عزموا عليه ، ولا طرفة عين ، وأنهم لم يجدوا فرصة
للتنكيل بالمسلمين الا انتهزوها .

وهيات ان يلتئم هذا الجرح على مدى الايام والليالي .

تأثير الثورة في حياة المسلمين

ان لهذه الثورة مابعداها في تاريخ الهندولاسيا في تاريخ مسلميها
ولقد عرف القاريء ، مما سردناه في الفصول الاولى من هذا الكتاب ان
الدين الخالص لم يتمكن من قلوب الاهالي ولم يتغلغل في عروقهم قط .
وانما نشأت في هذه البلاد امة متسمة بالاسلام ، مثقفة بثقافة ممتزجة من
ثقافات الهند والفرس والتورك .

وازدهرت هذه الثقافة المدخولة في ظل الملوك المسلمين من التوك
والافغان والمغول على اختلاف نزعاتهم وميولهم وأهوائهم الفردية
والقبلية .

فمنهم من جعلها هند كية وثنية ، ومنهم من أرادها بمتزوجة مشتملة
على ألوان من جميع الاصناف .

ومنهم من أحب ان يطهرها ويصبغها بصبغة الاسلام . الانما بقيت
ثقافة مدخولة بمزوجه من شتى العناصر والالوان .

هذا من جهة الثقافة . اما العقائد ، فقد سبق لنا القول في شأنها
بما لا مزيد عليه . واما الاخلاق التي بها قوام الامة وملاك أمرها ، فلم
تكن على شيء من المثانة والقوة . وانما بقي ضعفهم الخلقي مستوراً
من وراء صولة الحكومة ومنعتها الظاهرة . ولكنه لما تسرب الضعف
والوهن الى الحكومة واعتلى سرير الملك بعد الملك العادل المسلم (عالم
كبير اورنك زيب : ١٠٦٨ - ١١١٨ هـ) رجال ، كل تال منهم أخف
عقلاً وأضعف بأساً من سابقه ، ظهر هذا الضعف الخلقي المستور وعرف
الصديق والعدو ان أمراء المسلمين وأعيان المملكة منهم ، مثلهم كمثل
السلع ، تباع وتشترى في سوق المطاعم والشهرات ، وان وزراءهم
ولانهم يمكن مراودتهم على الباطل واستمالة أهوائهم بالذهب والهاج ،
وان أهل العلم والفتيا منهم لا يختلفون عن الاحبار والرهبان ، يشترى
الحياة الدنيا بالآخرة ولا يتخرجون في عرض فتاويهم المزورة المحرفة على
كل من يساومهم فيها في مثل هذه الحال المؤلمة وفي مثل هذا الضعف

الخليقي المتغلغل في عروق الامة ، وفي مواجهة الاستعمار والتسلط (Imperialism) ، فوجدت الارض مهيمنة والجيوش مغلولة وقلوب ملوك المسلمين وامراءهم مشتتة ، كل منهم ينطوي على حقد لأخيه وينصب الحيل والمكايد للتكيل به ويستعين بالعدو الشرس على صاحبه وابن عمه وأخيه . ولولا مخافة الخروج عن الموضوع الذي توخيناه ، لأتينا على شيء من تفاصيل هذه المأساة المخزية التي مثلها أمراء المسلمين وقوادهم في القرن الثامن عشر للميلاد وبعده ، الا ان الامر أشهر من قفانك . وما يوم حليلة بسر .

هذا ماوصلت اليه حال المسلمين يوم دخلت الشركة البريطانية في ميدان الاستعمار وبدأت تتوسع في الملك ، ومازال الامة المسلمة منذ ذلك اليوم تنحدر من علو الى سفلى وتنقلب من سوء الى اسوأ منه ، حتى استتب الامر للشركة البريطانية ودانت لها رقاب الاهالي وتقلص ظل الامارات المسلمة من فلول الحكومة المغولية وانعدام نفوذهم ، الا من انحاز الى العدو ولجأ الى كنفه وساعده على اخوانه وبني جلدته .

وبينا وصل المسلمون الى هذا الدرك الاسفل من الانحطاط الخليقي والسياسي وأصبحوا في حيرة من مصيرهم لا يهتدون اليه سبيلا ولا يجدون ملجأ يأتون اليه ويجمعون بجماه ، اذا انفجر بركان الثورة الكبرى فاصطلوا بنارها وخاضوا معاركها ، وكانوا حملة لوائها وقادة جيشها ، لكن القدر ماواتهم وباعت الثورة بالفشل والنكبة على الاهالي ، كاذكرنا آنفاً ، فكانوا هم الغرض الذي رماهم العدو المتعطر بسهمه وأخذهم

بجريمة ايقاد نار الثورة واشعال لظاها . فكان من نتيجة الاضطهادات
والشدائد التي ذاقوها خلال الثورة وبعدها ان المسلمين تشتت شملهم
وتفرقت كلمتهم وكادوا يصبحون عالة على غيرهم يتكففون ولا يجدون
ما يسدون به رمق حياتهم . ومن شر ما فعلت بهم الحكومة البريطانية
انها سدت في وجوههم أبواب الرزق في دواوينها وصادرت أملاكهم
وأراضيهم وتركتهم حيارى لا يدرون ماذا يفعلون وكيف يعيشون .
وجملة القول ان الحكومة ارادت ان تجعلهم كالمنبذين من الوجهة السياسية
والاقتصادية . وكذلك قررت منهاجاً للتعليم في مدارسها ينفر المسلمين
من ارتياد مناهلها ، ان أرادوا ان يبقوا مستمسكين بعقائدهم ، فتخلف
المسلمون عن جيرانهم في موكب التعليم الجديد ، تخلفاً لا يزال يشاهد
أثره الى اليوم .

انقلاب في الحال الدينية

لقد ظهر مما ذكرنا آنفاً ان الثورة أحدثت انقلاباً عظيماً في
أوضاع البلاد ، وأكبر من تأثر به وأصيب في الصميم بحياته من جرائها ،
هم المسلمين الذين حملوا لواء الثورة بيدهم وكلوا في طليعة المحاربين . وهذا
التأثر والانقلاب الملموس والتبدل العظيم ، كان مشاهداً في جميع نواحي
حياتهم ، الا ان مناط بحثنا في هذا الكتاب بوجه خاص ، هو الدعوة ،
فلننتظر في الحال الدينية وما طرأ عليها من تغيير وتبدل بعد هذا
الانقلاب . وانما ذكرنا شيئاً ماجريات الثورة وأثرها في حال المسلمين
العامه في هذا المقام ليكون كلامنا في هذا الصدد متناسقاً ، متصل

الحلقات .

هذا ، وليذكر القارئ ان جميع من ذكرنا من المصلحين والمجدين من الامام ولي الله الدهلوي الى السيد الشهدى وأتباعها ، كلهم نشأوا ودرجوا قبل الثورة الكبرى . ولما انفجر بركان الثورة وانتهت بالقضاء التام على المملكة المسلمة وتولي الحكومة البريطانية لزام الامر مباشرة ، تبدلت الارض غير الارض وانقلب الحال ظهر آبطن . ومن هذا الانقلاب تضيق ^(١) الحناق على العلماء وحمة الدين ونعيم الى جزر (اندمان) واعتقالهم في السجون من غير محاكمة ، حتى يخلو لها الجو ولا يبقى من يعارضها في ماتريده من « الاصلاحات » .

سيد احمد خان وحركة علي كره

بينما كان جمهور المسلمين مشتتين في الاقطار وعلماءهم محبوسين في السجون او منغلين في الجوامع والزوايا ، والحكومة وأعوانها ينظرون اليهم بعين الازدراء والاحتقار وجيرانهم - الذين كانوا بالامس من رعاياهم - يتبأون أعلى المناصب في دواوين الحكومة ، اذ قام (سيد

(١) يظهر تضيق الحكومة على علماء الدين يومئذ بما كتبه الكاتب الانكليزي الشهير بلنت (W. Blunt) الذي زار الهند بعد الثورة بقليل .

« ترأب الحكومة كل « مولوي » بنال سمة ثم تضيق عليه بكل طريق . وان استقر على طريقته ، نفته الى جزر (اندمان) . [في زمن اللوردين] .

أحمد خان^(١) الشهير ، فسعي سعيه لإصلاح ذات البين وتقريب مابين الحكومة ووعاياها المسلمين من سوء التفاهم وشقة الخلاف . وبما ساعده على ذلك وجراه على الاضطلاع بهذه المهمة الخطرة ، هو مساعدته للانكليز إبان الثورة وموقفه المعروف بجانب الانكليز المهددين بالخطر والهلاك أيام اشتداد الثورة واضطرام لهيها ، مما أكسبه دالة وحظوة لدى ولاية الحكومة وعمالها . فلما رأى (سيد أحمد خان) مصير بني قومه وما آل اليه أمرهم من التشتت وتفرق الكلمة وسوء معاملة عمال الحكومة فهم ، شمر عن ساق الجد ووقف موقفاً كريماً في الدفاع عن قومه وشعبه وجرّد لذلك قلمه ولسانه ، فألف كتاباً لطيفاً جامعاً في (أسباب الثورة) ، كشف القناع فيه عن علل الثورة الحقيقية وبرأ ساحة المسلمين من كثير من التهم والمفتريات التي كانت تلتصق بهم .

وكذلك الف في الرد على الدكتور وليم ولس هنتر (W.W. Hinter) الذي قال في كتابه السائر مسامو الهند (Iddian Muslimans) ان المسلمين لن يكونوا رعية صالحة لأية حكومة

(١) هذا هو سيد أحمد خان الشهيد ، مؤسس كلية (عليكره) الاسلامية ، التي ترفت في مابعد وازدهرت الى ان اصبحت جامعة راقية . نعم ، هذا هو سيد أحمد الذي رد عليه السيد جمال الدين الافغاني في (العروة الوثقى) ردّاً عنيفاً . ولهذا الرجل أثره البالغ في سياسة المسلمين ومنهاج تعليمهم وطرق معيشتهم بعد الثورة وكل من يريد معرفة تاريخ المسلمين في هذه الحقبة من الزمن لابد له من ذكر (سيد أحمد خان) والتنويه بأعماله ومساعدته أو التذبد بساته واجتهاداته . ودعوته اليوم تعرف باسم حركة (على كده) ، المدينة التي أسس بها كليته الشهيرة .

ماداموا عاملين بالقرآن .

هذا من ناحية . وفي جانب آخر أهاب بقومه الى الاعتراف من بحر التعليم العصري والاقتطاف من ثمرات الثقافة الجديدة الاوروبية التي بدأ غراسها الانكليز والارساليات المسيحية منذ ثلاثين او اربعين سنة وتهاقت عليها الهزائد منذ ذلك الحين ؛ لكن المسلمين استنكفوا من ادخال ابنائهم في تلك المدارس لما وجدوا فيها من رائحة « التبشير » او التضليل والتفجير عن الاسلام .

فكان سيد احمد خان ، اول من قام من المسلمين بهذه الدعوة بعد الثورة ووقف حياته ومواهبه للسعي وراء انجاسها وألف لذلك جمعيات وأصدر مجلة لبث أفكاره ونشر آرائه الحديثة العصرية في هذا الشأن .

ولو اكتفى بذلك أي الدعوة الى الاقتطاف من ثمرات التعليم الحديث ، لما كان في عمله ضرر كثير ، ولما خالفه علماء عصره وأولي الرأي منهم ، لكنه خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً .

وذلك ان سيد احمد خان ومن حذا حذوه من زملائه ومعاصريه قد استولت على قلوبهم هيبة اوربا العالمية استيلاء يكاد يذهب بعقولهم وألبابهم كأيهم دهشوا لما شاهدوه من فخخة الانكليز الظاهرة وأساليبهم المزخرفة في التحقيق والبحث ، فجعلوا يحسنون الظن بكل ما يأتي من اوربا من علم او نظرية وأرادوا ان يطبقوا روائع محكمات القرآن ومعجزاته عليها ، كأنهم افترضوا في أذهانهم ان كل ما يأتي به هؤلاء القوم

قضايا مسلمة ، لا يتسرب اليها أدنى شك ولا ريب ، فاذا رأوا في الكتاب العزيز ما لا يوافق آراء القوم ونظرياتهم المتغيرة المتجددة ، عمدوا الى آي الكتاب فحرفوها عن مواضعها وألبسوها معاني توافق أهواءهم وأغراضهم جعلوا هذا ديدنهم وعادتهم في كل مسألة عارضت فيها أقوال الافرنج كتاب الله . وهذا تفسير سيد احمد خان ومؤلفات أتباعه وزملائه محشوة بمثل هذه الحرافات والتحريفات الزائفة الباطلة . ومن غريب أمر تلك الطائفة المتجددة أنهم ما أتوا بشيء طريف في باب التحريفات الزائفة بعد سيد احمد خان على كثرة عددهم ، حتى ان (محمد علي اللاهوري) زعيم القاديانية اللاهورية ، ايضاً يقفوا إثر سيد احمد خان في هذا الشأن .

وضعت على ابالة أنهم بدأوا يصيحون بالاحاد وينادون بالويل والنبور ويقولون بلء أفواههم « الدين ! الدين !! خذوا بيده واحموه من هجمات الاعداء والعلوم العصرية » والحال أنه لم يكن وقتئذ الحاد ولا زندقة ، وما كان للمسلمين معرفة بنظريات الغرب وآرائها الا قليلا خوفوا بالاحاد والزندقة ، واستعدوا لمعارضتها وبهذه الحجة تركوا افكارهم وآراءهم تجري في سيل الفتنة نفسها واطلقوا عنان أقلامهم للمطابقة بين آيات الله وأحكامه وآراء الافرنج ، ففتحوا بذلك للفتنة باباً عظيماً وجنوا على الدين جنابة لا تغفر .

ومالابد من ذكره في هذا المقام ان سيد احمد خان نجح في الدفاع عن المسلمين الى حد بعيد . مما لا ريب فيه ان سياسة الحكومة قد تبدلت قليلاً وجنحت الى اللين مع المسلمين بعد مساعيه المشكورة وأدرك

عقلاؤهم ان المسلمين قد ظلموا واضطهدوا بغير حق فكان له بذلك تأثيراً على الشعب فولى وجهه شطر القبلة الجديدة التي بناها له سيد احمد خان وزملاؤه . أريد بذلك ان القوم أخذوا يرسلون أبناءهم الى المدارس العصرية ويتهافتون على مناصب حقيرة في دواوين الحكومة . وبما أيده في مهمته هذه أنه رزق زملاء وأعواناً مخلصين اقتضوا إثاره وحذوا حذوه واضطلعوا بأعماله بعد وفاته وقاموا بها أحسن قيام . فما اضمحلت فكرة (سيد احمد خان) التجديدية او حركة (علي كره) الجديدة — كما تسمى اليوم — وما قل نفوذها بعد وفاته ، بل رسخت جذورها واستوثقت عراها بتأسيس كلية (علي كره) وأخوانها ، لان القائمين بها وطلبتها ومتخرجيها جعلوا فكرة قائدهم ، نصب أعينهم ومطمح أبصارهم .

معهد ديوبند (١)

قبل ان نبدأ بذكر معهد (ديوبند) وحر كته الدينية التي أصبحت رمزاً للحركات المعارضة لحركة (علي كره) ، يجمل بنا ان نشير الى ان (ديوبند) و (علي كره) أصبحتا بعد قليل مدرستين في الفكرة متعارضتين وانبثت المدارس على كلا النوعين في طول البلاد وعرضها ، وان معظم المدارس والكليات التي تأسست بعد الثورة بثلاثين او اربعين سنة كانت تستوحي فكرتها وتستنبط منهاج عملها من هاتين المدرستين

(١) هذا المعهد الديني أسس سنة ١٢٨٣ هـ أي بعد الثورة بعشرة أيام ، وكذلك قبل تأسيس كلية (علي كره) بنحو عشر سنين . وديوبند هذه قرية في مديرية (جهار كپور) على مقربة من دهلي .

المتعارضتين في المبدأ والمنهاج .

وكذلك ما أحرانا ان نستعرض الحركة الدينية وأعمال القائمين بها وتحولهم الى أحزاب وطوائف عديدة منذ عهد امام النهضة الدينية ولي الله الدهلوي (١١١٤ - ١١٧٦ هـ) الى العصر الذي تأسس فيه معهد (ديوبند) فظهرت دعوة (سيد احمد خان) المعارضة لتلك الحركة الدينية ، حتى يكون القاريء على بصيرة من تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند .

لقد عرفت في ماسبق ان الامام ولي الله كان محققاً في الفقه ، لا يتقيد بمذهب دون مذهب . لكن نجله الكبير الشاه عبدالعزيز الدهلوي (ت ١٢٣٩ هـ) كان يميل الى الحنفية ولم يكن على غرار أبيه في التحقيق والاجتهاد . فانقسمت تلامذة هذا البيت الكريم الى الحنفية البريئة^(٢) عن البدع وأهل الحديث .

فبينما ترى معظم تلامذة الشاه عبد العزيز مائلين الى الحنفية ، تجد فيهم الامام ولي الله وابن شقيق الشاه عبد العزيز - امام أهل الحديث في الهند وحامل لواثمهم . فاتصلت الحنفية وأهل الحديث كلهم بهذا البيت العالمي الكريم ، كأن هذه كلها دوحات وأغصان تفرعت من هذه الشجرة الزكية التي أصلها ثابت وفرعها في السماء .

وكان من بين تلاميذ الشاه عبد العزيز ، سبطه الشاه محمد اسحاق

(٢) قلنا « البريئة عن البدع » لان في الهند فرقة من الحنفية كثيرة ، تنتمي الى الامام أبي حنيفة رحمه الله ، لكنها غارقة في بحار البدع والمنكرات ، تعبد القبور والاولياء . ومما زاد الاله ان تنتسب أعمالهم المنكرة الى أبي حنيفة وأصحابه الكرام .

(توفي بمكة المكرمة سنة ١٢٦٣ هـ) والشاه عبد الغني المجددي (من سلالة المجدد السرهندي الذي تقدم ذكره مفصلاً استفاد منهما وانتفع بعلمهما خلق كثير . ومن تخرج على يدهما الشيخ محمد قاسم النانوتوي (ت سنة ١٢٩٧ هـ) والشيخ رشيد احمد الكنكوهي اللذان قويت بهما شوكة الحنفية . وأسس أولهما المعهد الديني الشهير في قرية (ديوبند) الذي نحن بصدد البحث في شأنه الآن والذي يعد اليوم معقل الحنفية - وهم الاغلبية الساحقة - وهؤلاءهم في الهند . فالحنفية الديوبندية ينتسبون الى الامام ولي الله بطريق الشيخ محمد قاسم النانوتوي عن الشيخ عبد الغني المجددي عن الشاه عبد العزيز الدهلوي . اما اهل الحديث ، فيقل نسبهم العلمي بالبيت الدهلوي بطريق الشيخ نذير حسين ^(١) البهاري الدهلوي عن الشاه محمد اسحاق عن الشاه عبد العزيز . وفي انتشار مذهب اهل الحديث يد عظيمة للعالم الشهير السيد صديق حسن القنوجي البخاري (ت

(١) محدث جليل من كبار تلامذة الشاه محمد اسحاق الدهلوي . وهو الذي بموا منصب تدريس الحديث في (دهلي) بعد استاذة . فأفاد جمّاً كثيراً من الناس وربما يزيد عدد تلاميذه على الالوف . وهو نظير نفسه في هذا الباب . وقد رزق عمراً طويلاً ، حتى انه قد تخرج على يده الجد والابن والحفيد من بعض البيوتات العلمية . فكانت حلقة دروسه اكبر وسيلة في تعميم مذهب اهل الحديث في الهند . اصله من قرية في أباله (بهار) جاء (دهلي) طالباً ثم استوطنها . توفي سنة ١٣٢٠ هـ عن مائة سنة تقريباً .

سنة ١٣٠٧ هـ - زوج اميرة بوفال -

فانه اتصل بالشيخ حسين بن محسن السبعي الانصاري اليمني
(ت ١٣٢٧ هـ) تلميذ بن الشوكاني واستفاد منه . وأتاح له القدر أن يترك
مئات من المصنفات في مختلف العلوم . وكذلك عني بطبع كثير من
كتب الحديث النادرة ونشرها وتوزيعها بين الناس الى غيرها من مكارم
الاعمال التي لا يتسع لها نطاق المقام . وهو أول من عرف علماء الهند
بكتب علماء اليمن المحققين .

إذا قرأت هذا ، فاعرف ان العلماء لما رأوا ما آل اليه أمر المسلمين
بعد انكسار الشوكة من تفرق الكلمة وتشتت الحال وشاهدوا ما يدعوا
الناس اليه من متابعة الانكليز واقتفاء أثرهم في مناهج العلم وطرق المعيشة
وآداب الاجتماع - لما شاهدوا ذلك بأمر أعينهم أحسوا بالخطر المهدق بكيان
الامة وشمروا عن ساق الجد لأداء ما عليهم من واجب الدعوة والدفاع عن
حظيرة الدين والذود عن حياضه . فاستقر رأي بعض أولي العلم والنظر منهم
ان يؤسسوا معهداً دينياً في قرية تسمى (ديوبند) ، فبدأوا بالامر في
كوخ صغير بمدرس وطالب فقط ، وذلك سنة ١٢٨٣ هـ . ثم كان من
فضل الله وصدق عزائم القائمين بها ، أن ازدهر المعهد وترقى رقياً باهراً
وافتححت معاهد دينية أخرى في مختلف مدن الهند أصبحت حصوناً للدين
منيعة في تلك الايام المظلمة التي اتسع فيها الحرق على الراتق واصبح القابض
على الدين كالقابض على الحجر .

النزاع بين القديم والجديد

خدمت هذه المعابد الدين في هذه البلاد خدمات تشكر عليها وتؤثر وبلسان الشناء تذكر ، الا ان منهاج^(١) التعليم في تلك المعاهد مكان عقيماً لا يصلح لهذا العصر الذي تغيرت فيه أوضاع العالم ولا يؤهل الطالب المتخرج على ذاك المنهاج ان يخدم الدين ويدود عنه في هذا الزمان الذي تطورت فيه النظريات وتجددت الافكار والآراء . فكما ان كلية (عليكرة) وأخواتها جعلت من همها اقتفاء اثر الغرب وتتبع معاملة في كل شيء وما اهتمت بالتعليم الديني في قليل ولا كثير ، كذلك هذه المعاهد الدينية ، حصرت جهودها في كتب وشروح ومقررات للدرس ورثوها عن شيوخهم ولم يتفكروا شيئاً في ما يتطلبه العصر الحاضر من علوم وآداب وما يحتاج اليه العالم من الفنون والمعلومات للدفاع عن حرمة الدين والذود عن حياضه . فكانت النتيجة ان هذين المراكزين العالميين

(١) منهاج التعليم الراجح في معاهد الهند الدينية كان يدعي الدرس النظامي نسبة الى أحد علماء الهند ملا نظام الدين (ت ١١٦١ هـ) . وكان هذا المنهاج يشتمل على كتب المنطق والفلسفة اليونانيتين وشروحا وتعليقاتها وجملة من كتب النحو والبلاغة على الوجهة النظرية وقوشي . من التفسير والحديث . لكن أهل ديوبند ، كذلك أهل الحديث ، بعدما ألقى اليهم زمام التدريس في المعاهد زادوا في القسم الديني المشتمل على التفسير والحديث والفقه وقلوا من علوم اليونان ، ألا انهم لم يعتنوا بتدريس اللغة العربية أصلاً . وان اهتموا بتدريس بعض كتب في الادب العربي ، واهتموا بلغات ميتة كالسنسكريتية . لا يكتب ولا ينطق بها .

- (يوبند وعلي كره) - الذين نشأ وازدهرا بعد الثورة ، أصبحا على طرفي نقيض وتكونت بذلك فكرتان جديدتان تناقض احدهما الاخرى وبدأ الصراع بين القديم والجديد ، بين المولوي المتخرج في معهد (ديبوبند) واخوانه ، والمتعلم (Graduate) الناشئ في الكليات العصرية .

وان شئت الاستزادة من هذا الباب وأحببت الاطلاع على تفاصيل ذلك الصراع ، فلنعد الى الوراء قليلاً ولنتصور المجتمع الاسلامي الهندي قبل خمسين او ستين سنة .

وهب أنك دخلت أحد الأندية الكبرى العامرة في احدى العواصم يومئذ : فماذا ترى فيه ؟ أنك ترى أحد المتحمسين لدعوة (سيد احمد خان) من زملائه ، القائمين بحركة (علي كره) يصعد المنبر وينادي بأعلى صوته قائلاً : هلو ، ايها القوم ، هلموا الى ما أدعوكم اليه من اجتناء ثروات الحضارة الجديدة الاوربية واقتطاف أزهار هذا التعليم العصري الذي طالما غفلنا عنه ، فقهقرونا عن الركب . والى تتبع معالم الشعوب الراقية الاوربية المتحضرة التي غيرت سنن الكون وأحدثت انقلاباً مدهشاً في عالم الابداع والاختراع . هلموا الى ما أدعوكم اليه ، والا ، فالويل ، كل الويل لكم في الحاضر ولأبنائكم في المستقبل الذي يكاد يكشر عن أنيابه لمن يتخلف عن ركب الحضارة ويبقي جامداً على تراث العصر الغابر الذي أكل عليه الدهر وشرب وهام جيرانكم الهنداك ورعاياكم بالامس ، يتربصون بكم الدوائر ويريدون ان يستمتعوا بهوارد الثروة كلها ويستبدوا

بمكاسب العيش دونكم .

هذا ماتشاهده في ناحية من النادي . ولا يكاد يمضي على هذا الخطاب الرائع المزخرف الا دقائق ، حتى ترى في ناحية أخرى شيخاً وقوراً من مشايخ ديوبند يعظ الناس ويرشدهم الى الاعتصام بالدين والاستمسك بالآراء والافكار التي ورثوها عن آبائهم وشيوخهم . واذا بالنادي يمتلئ ضجيجاً وصياحاً وترتفع أصوات الفريقين بالاحتجاج والاستنكار .

وقد بلغت الحال وقتئذ الى ان اصبح من العسير اتفاق الفريقين على كلمة واحدة ولا تكاد ترى دعاة الطائفتين يجتمعان في مجلس واحد . وان اجتمعا ، فهناك الجدل والحصام . ويعلم الله ، كم من مثل هذه المجالس وأندية الخطابة تحولت الى معترك للجدال وميدان للشقاق والحصام .

وجملة القول ان (سيد أحمد) وزملاءه وأنصاره واتباعه من بعده كانوا يستهزؤون « بالمتدينين » عامة ويرمون المشايخ والعلماء منهم بالجهود خاصة ، وكذلك العلماء والمشايخ يكفرونهم وينسبونهم الى الزندقة والاحاد « فكاد الاسلام يضيع بين جامد وجامد كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله .

وزاد الطين بلة والظنهور نعمة ، تضارب العلماء والمشايخ وتشاجرهم في مبادئهم وتكفير بعضهم لبعض ، كأنني بهم ، لم يبق لهم من عمل في هذه الحياة الدنيا الا الجدل والنقاش في مسائل معدودة

من فروع الفقه .

فلاتجد مجالس المسلمين ومحافلهم خالية من مناظرة بين الحنفية وأهل الحديث أو جدال بين الديوبندية والقبوريين من الحنفية . ومن دواعي الأسف والألم ان معظم تلك المناظرات والمجادلات كانت تدور وحاحا حول مسائل تافهة وترهات لاصلة لها بالحياة العملية البتة ، وما كان العبد ليحاسب عليها بين يدي ربه . ومن المبكيات الموجهات في ذلك الزمان ان عدداً غير قليل من بيوت الله لم تكن أبوابها مفتوحة للجميع المسلمين . وان تجرأ أحد ممن لا ينتمي الى الطائفة المستبدة بالجامع على الدخول فيه او دخل فيه خطأ ، ظاناً أنه بيت من بيوت الله ، فهناك الطامة الكبرى . وان تعجب ، فعجب لجوامع يشرف عليها الصوريون كانت تغسل بالماء غسلاً اذا وضع فيها قدمه من لم يكن من نخلهم وطائفتهم .

ولمثل هذا يذوب القلب من كمد ان كان في القلب اسلام وايمان

ندوة العلماء

لما باغ الامر الى ما تقدم آنفاً من انحياز طائفة الى الغرب وايمانها بعبادة اهلها وتلقيها بالقبول كل ما يأتي من أوروبا من علم وأدب او عقيدة ومبادئ خلقية ، وجمود طائفة على ماورثته من شيوخوا من منهج للتدريس وأوضاع في المعيشة وطرق للتفكير ، ناظرة اليها نظراً تقديس واجلال لما وصل الامر الى هذا الحد واتسعت شقة الخلاف بين الفريقين حتى ظهرت آثاره في كل فرع من فروع الحياة ، أحست

جماعة متفهمة من العلماء وأولي الرأي بالخطر الداهم وأرادوا ان يتداركوه قبل ان يتفقم الخطب ويتسع الحرق على الراقع ، فشمروا أذيالهم لسد هذه الثأمة الشنيعة ورتق هذا الفتق العظيم الذي ظهر في المجتمع الاسلامي الهندي ، فأسسوا جمعية (ندوة العلماء ^(١)) وفتحوا أبوابها لكل من يريد المشاركة فيها من المؤمنين بالله ورسوله من غير فرق بين طائفة وطائفة وجعلوا من أهم مقاصدها اصلاح مناهج التعليم في المعاهد الدينية حتى تكون جامعة بين علوم الكتاب والسنة والعلوم العصرية ، تتخرج فيها جماعة مثقفة بالثقافتين الجديدة والقديمة وتتقدم الى ميدان العمل حاملة بيمينها لواء الكتاب العزيز والسنة النبوية وآخذة مصباح العلوم الحديثة والمعارف الجديدة بشمالها ، قدافع عن حوزة الملة الحنيفية دفاع المجاهدين المتورين . وكانت غايتهم القصوى من تأسيس الجمعية ودار علومها التابعة لها ان لاتتسع شقة الخلاف بين الطائفتين المتجددة والحامدة ولا يتعذر اتفاقهما على كلمة واحدة في الاعمال والمشاريع التي تتعلق بصالح المسلمين العام . وهذه الفكرة ، وان كانت بدعاً عند العلماء والمتجددين قبل خمسين سنة ، ولذلك خالفها من خالفها من المتجددين وكفر القائمين بها من كفرهم من الجامدين ، الا انها أصبحت في ما بعد فكرة سائدة ورأياً محكماً مستولياً على قلوب الامة وزعمائها ، آخذاً بمجامع قلوب العلماء والمتعلمين الجدد .

(١) تأسست سنة ١٣١١ هـ / ١٨٩٣ م ، ثم أسس بنيان دار العلوم التابعة لها بعد خمس سنين .

وكان من نجاحها في مهمتها أن مدرسة (ديوبند) واخوانها من الدينية جعلت تتقفوا اثرها وتحذوها في اصلاح مناهج التعليم والدعوة الى الوئام بين فرق الاسلام من حيث تشعر ولا تشعر ، فان الزمان خير معلم ومدرّب ، وياليتهن تذهبوا من غفلتهن وتيقظوا من رقدهن من قبل . وكذلك نبغ من نبيه المتعلمين الجدد رجال مؤمنون بالدين يدعون الى الاصلاح والتجديد أمثال الزعيم الخالد مولانا محمد علي ^(١) والشاعر الحكيم الدكتور محمد اقبال ^(٢) - رحمهما الله واسكب على تربتهما سجال العفو والغفران - من ارتووا من مناهج العلم الحديث والعقلية الجديدة في عواصم أوروبا وفاقوا فيها أقرانهم في جانب وبذوا العلماء والمشايع في حبههم للدين وتحمسهم في الدفاع عن كيانه في جانب آخر . وكذلك نشأت من متخرجي دار العلوم التابعة لندوة العلماء نفسها جماعة مختاره فنلت من اللينوعين وتضلعت من الموردين القديم والجديد وقامت بأعمال مشكورة وخدمات جليلة معروفة في عرض الاسلام بأسلوب حسن وابرار بحاسنه بطرق توافق روح العصر ، حتى أصبح لها مقام مرموق في الادب الاسلام الهندي . وقد ذاعت واشتهرت مؤلفات الندويين ونالت حظوة لدى المتعلمين الجدد بوجه خاص . وذلك ان المشايخ الجامدين لا يزالون مستمسكين بنصوص الفقهاء المتأخرين . غير عارفين بأحوال العصر

(١) الزعيم المسلم الشهير المتوفي سنة ١٩٣٠ م .

(٢) شاعر الشرق الاكبر الدكتور محمد اقبال المتوفي سنة ١٩٣٩ م .

ومقتضياته ، فلا يلتفت الناشئة الجديدة الى ما يكتبون ويقررون
في دروسهم .

أما المنتسبون الى ندوة العلماء المتشبعون بهذه الفكرة الندوية
المعتدلة ، فجعلوا الكتاب العزيز والسنة النبوية أصلاً لهم وسنداً ، يرجعون
اليها في حل المعضلات وفتح أبواب المشكلات ، وفي جانب آخر لاترعبهم
حذقة المتجدين وتعويلهم على النظريات الغربية في كتبهم ومقالاتهم ،
فانهم تذرعوها بتلك الاسلحة الجديدة حتى زاحموهم فيها ، فجاءت مؤلفاتهم
ثابتة على أساس الكتاب والسنة ، رافلة في حلل الاساليب الحديثة العصرية .
وذلك سر نجاح مصنفاتهم وتلقى المتعلمين لدعوتهم بالقبول . وبقي لنا أن
نشير الى مزية اخرى لندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها ، لا تضاهيها
ولا تزاها فيها مدرسة ولا كلية ولا جامعة في الهند . وذلك ان القائمين
بها اعتنوا في اول ما اعتنوا بتدريس اللغة العربية اعتناء عظيماً ،
فانهم جعلوا تدريس لغة القرآن انطقاً وكتابة من أهم ما يشتمل
عليه منهاج دار علومها . ومن ذلك انهم سعوا سعيهم في جميع أدوارها ،
لأن يجلبوا أساتذة اللغة العربية من بلاد العرب نفسها ، ليتدرب الطلبة على
الكلام ويتمرنوا على الكتابة . وقد رزقهم الله نجاحاً باهراً في هذا الشأن ،
حتى ان أشد الناس محاربة لدعوة الندوة ومعارضة لها ، يعترف بذلك .
والفضل ماشهدت به الاعداء .

وقد بلغ الامر ببعض الجامدين في ذلك الى انهم يعيرونها بهذه
المزبة قائلين « ما في الندوة غير العربية » .

نظرة في المناهج الثلاثة

هذه هي المناهج الثلاثة التي سار عليها نظام المسلمين التعليمي في الهند من بعد الثورة الى اليوم . والمناهج السائد الشائع من بينها الذي نال قبولاً ورواجاً بين الاغلبية ، هو المنهج العصري الجديد الذي دعا اليه سيد أحمد وأتباعه وتربى وترعرع في حضن الحكومة وكنفها ، والذي كان جل دعوته الى محاكاة الغرب في علومهم وآدابهم ومعيشتهم وملابسهم ، والى الحصول على وظائف في دواوين الحكومة . فما كان من ثمراته الا الضعف في العقيدة والانحلال في الاخلاق والخور في العزيمة . وضغت على ابالة ان الوظائف الحكومية التي ألهمتهم عن الدين والخلق وصرفتهم عن ارتياد مناهل الكتاب والسنة ، طمعاً فيها قد سدت أبوابها في وجوه جمهرة المتعلمين بعد قليل لقلة عدد الوظائف وكثرة المتراحمين المتنافسين عليها .

ويتلوه في الذبوع والرواج المنهج القديم العقيم المتبع في المعاهد الدينية القديمة ، فانها ، وان أدت بعض خدمات تشكر عليها ، لم تكن أهلاً للقيام بواجب الدعوة في الاحوال المتبدلة الجديدة لايمانهم بعصبة شيوخهم وعصبة الكتب التي كانوا قرروها للتدريس قبل مائتي سنة واعراضهم عن مجاراة الزمن ومراقبة سير الحوادث عن كتب ، فاصبحوا في منزل عن شؤون الدنيا وكذلك أصبح العالم وشؤونه الجديدة في غنى عن خدماتهم ومساعدتهم .

وقد بلغوا في انزعاجهم عن شؤون الدنيا وسياستها مبلغاً ، أنهم كلما تدخلوا

في شأن من شؤونها ، أخفقوا في مسعاهم وما تمكنوا من الاضطباع بأعبائه ، وكان ذلك حجة للمتعلمين الجدد عليهم وعلى التعليم « الديني » القديم ، لعدم كفاءتهم وقلة خبرتهم بأمور الدنيا وتسيير شؤونها .

أما المنهاج الثالث المعتدل ، الجامع بين التالذ والطريف والقديم والجديد ، فلا جرم أن القائمين به والمتخرجين عليه قد قاموا بمهمتهم أحسن قيام وأدوا واجب الدعوة والدفاع عن الدين أحسن تأدية ، إلا أن نفوذهم بقي منحصراً في دائرة محدودة وبقيت الاغلبية الساحقة من المدارس اما منضمة الى صفوف الكليات الحديثة أو منخرطة في سلك المعاهد القديمة . فالمدارس التي أثرت هذا المنهاج وسارت عليه ، كان عددها قليلاً جداً . اما الذين تأثروا من المتعلمين وجمهرة القراء بمؤلفات الندوين ومن على ساكنهم من حملة الفكرة المعتدلة ، واستفادوا منها وأشربوا فكرتهم فلا شك ان عددهم غير قليل ، وهم الصفوة المختارة من الامة ، والامل منوط بأمثال هؤلاء .

هذا ، ولابد من الاشارة في هذا المقام الى شيء مهم كان يعوز هذه المناهج الثلاثة بأجمعها ، بل الحق ان كل ما اطلعنا عليه ودرسناه من مناهج التعليم في الهند ومصر وغيرها من بلاد المسلمين ، ينقصه هذا الشيء الخطير الذي كان السبب الاعظم في تقهقر الدعوة الاسلامية وخيبة المسلمين في مشاريعهم التعليمية وتسييرها على الوجه الاسلامي الصحيح .

وذلك ان جميع المصلحين كالشيخ محمد عبده وشبلي النعماني ومن في طبقتهم في البلدان الاخرى قد اقتنعوا ورضوا بتقسيم العلوم الى

الدينية والدينيوية في أول أمرهم بالاصلاح والتغيير ، فكل ماغيروه وبدلوه وأصلحوه ، انما كان من هذه الوجهة وبهذه الفكرة الخاطئة التي ترى ان العلوم تنقسم الى دينية ودينيوية . وكأني بهم زعموا ان التفسير والحديث والفقه وما اليها من العلوم التي تدرس في الازهر ودويند وغيرهما من المعاهد (الدينية) هي علوم (دينية) ، والاقتصاد والتاريخ السياسي والكيمياء والهندسة والميكانيكا وغيرها من العلوم المستحدثة المستوردة من بلاد الغرب التي تلقن وتدرس في الكليات العصرية ، علوم دنيوية . فلما اعترضوا اصلاح منهاج التعليم بعدما قرروا هذا المبدأ السقيم واعترفوا بهذا التقسيم الخاطئ ، من حيث يشعرون أو لا يشعرون أرادوا أن يجمعوا بين النوعين ، كما فعلت دار العلوم الدنيوية في الهند ودار العلوم في مصر ، فأصبحت هذه المدارس بعد هذا « الامتزاج » مدارس نصف عصرية - كما يراه بعض الناس - فاقدة شيئاً من صبغتها الدينية ، كما يزعم المنتمون الى معهد ديوبند عندنا مثلاً . والمدارس التي أعرضت عن علوم الدين بتاتاً وما اكتوت لها أصلاً واشتغلت بالعلوم الحديثة فحسب ، سميت مدارس دنيوية مثل الكليات والجامعات العصرية في جميع البلدان .

أما المعاهد التي اقتنعت بالعلوم « الدينية » التي ورثتها عن شيوخها وما التقت الى العلوم العصرية في قليل ولا كثير ، فهي التي تستحق لقب المدارس « الدينية » ، حسب هذا الاصطلاح الخاطيء .

ومن البين الواضح ان هذا التقسيم خاطيء برمته ، باطل من

أساسه ، وأنه يتم على فكرة خاطئة باطلة ، استحكم بنيانها وتوثقت عراها في القرون المتأخرة ، قرون الجود والتقهر الفكري . وبيان ذلك ان الاسلام كلمة جامعة تشمل جميع نواحي الحياة البشرية من عقيدة وعبادة وخلق وسياسة واجتماع ، وأنه ليس بعبارة عن صلة فردية بين العبد وربّه فحسب ، بل الامر أنه نظام شامل كامل كافل لجميع الشعوب البشرية في جميع العصور والازمنة ، يحيط بمختلف شعب الحياة وفروعها . وليس الاسلام بنحلة كالنحل الاخرى قد تنحصر في دائرة مجموعة من الرسوم والشعائر يؤدّيها العبد بين يدي ربه في داخل المعبد والمسجد ، ويكون حراً طلقاً لا يتقيد بشيء ، اذا دخل معتوك الحياة وعالج شؤونها المختلفة . بل الحق الذي لاخفاء فيه ولامرأ ان الاسلام هو الدين الجامع الشامل الكافل للحياة البشرية بأسرها ، يحيط بجميع فروعها وشعبها ، لايند عن دائرته شيء ولايشذ عن نفوذه شأن من شؤون البشر . فاذا قلنا «العلوم الدينية» او «المعاهد الدينية» و «التعليم الديني» فمعناها أننا نريد بذلك علوماً او منهاجاً للتعليم يؤهل الطالب الدارس له ، المتخرج فيه كي يقوم بمهمة «الدين» بمفهومه الاسلامي والدعوة اليه .

وبقدر على ان ينتزع زمام الزعامة العالمية من أيدي الفجرة والطواغيت ويأخذ بيده ويسير شؤون العالم حسب الاوامر الالهية ، فكيف يقوم بهذه المهمة الجليلة ، مهمة الدعوة الى الدين الكامل الشامل لسعادة البشر ورفاهيتهم في جميع نواحي حياتهم ، من لاجزأة له أصلاً بأمور الدنيا وشؤونها وحوادثها المتقلبة ونظمها المتجددة المتبدلة ،

وكذلك كيف يقدر ، ياترى ، على تسيير دفعة الملك والاضطلاع بأعباء السياسة والاقتصاد ، من تلقى نبذة يسيرة من مبادئ بعض العلوم التي لها علاقة بشؤون الحياة ؟ فمالا يرب فيه ان الذي درس العلوم على المنهاج القديم او تربى ونشأ على المنهاج المعتدل ، لا يقدر على ادارة شؤون الحكم والاضطلاع بأعباء الشؤون المتنوعة المتجددة التي تعرض للحكومات في هذا العصر . اما الذين تخرجوا في الجامعات العصرية الحديثة التي تفتخر بكونها لادينية (Secular) ، فما لهم ولتنفيذ الشريعة الاسلامية وتطبيق أحكامها في نظم الحكم وادارة شؤون المملكة ؟ نحن في واد وأولئك في واد آخر . فالطريق الوحيد لاصلاح مناهج التعاليم واعداد الشبان للاضطلاع بمهمة اقامة الدين الكامل ، هو ان نضرب نظرية التقسيم بين العلوم الدينية والدينية عرض الحائط ونسخر علوم الارض كلها لخدمة الدين القيم ونضع منهاج تدريسها على أساس اسلامي متين يمكن الطالب اذا درس الفلسفة او علم الاقتصاد مثلاً ان يعرف من اول يوم منزلة ذلك العلم من النظام الالهي وصلته بالقوانين الابدية التي جاء بها الكتاب العزيز وشرح أحكامها وبين تفاصيلها الرسول الامي ﷺ .

فلسنا بحاجة الى مدارس وكليات ومعاهد كمدارس الندوة وكليات عليكره ومعاهد ديوبند ، وانما نحن في حاجة الى مدارس جامعة لاتفرق بين العلوم الجديدة منها والقديمة وتلقن الطالب مبادئ جميع العلوم المهمة بعدما تفرغها في قالب اسلامي وتصبغها بصبغة دينية . وبعدما يتخرج الطالب من التوجيهية أو الثانوية مثلاً ، ينضم الى الفرع الذي يميل اليه

ويتخصص فيه . ولا يثقل كاهل كل واحد بأعباء العلوم كلها . وهذا القسم الذي يتخصص فيه الطالب يكون تابعاً للفكرة الإسلامية ، مسخر لها ملائمه لطبيعتها . لكن هذا العمل ، عمل ادخال العلوم كلها في حوزة الدين وجعلها مذعنة بطبيعة الشريعة الالهية الخالدة ، ليس بهين ، وانما يتطلب ايماناً أصيلاً محكمًا وعبقورية فكرية وجهوداً جبارة متواصلة متتابعة من أقطاب الفكر والروية في العالم الاسلامي .

هذا هو الحل الوحيد لمشاكل المنهاج التعليمي ، وهذه هي الطريقة المثلى الجديرة بالاتباع ، اذا أردنا اقامة الدين من جديد وبسط سلطات الاسلام - لا المسلمين فقط - على وجه الأرض في هذا العصر . وانما أردنا أن نقول هذا كله للذين يؤمنون بالله ورسوله واليوم الآخر ويعتقدون الاسلام هو دين الانسانية ، وأنه هو الدين الخالد والنظام الشامل المرضي عند الله ورسوله المتبوع الغالب الى يوم القيامة . أما الذين يريدون اقتفاء آثار الغرب وتتبع معالمه في نظم الحكم والاصلاح الاقتصادي وفي السلم والحرب ويرون أن الدين صلة بين العبد وربّه فحسب ، فلا كلام لنا معهم عسى الله أن يهديهم وينبهم من غفلتهم .

شلي النعماني :

ذكرنا النهضة الفكرية التي حصلت بعد الثورة وما كان لمنهج التعليم الثلاثة من تأثير في تغيير مجرى الأفكار ، وتكوين مناهج مختلفة في النظر والرأي .

ومن البين الظاهر أن شجرة هذه النهضة ما أثمرت وآتت أكلها

الا بعدما سعى لها عدد غير قليل من اقطاب الأمة وعيون رجالها ، لا يمكن تسمية كل واحد منهم بأعيانهم في هذا المقام . ولكننا ما ننس ، لانتس عالم الهند وعالمها المغفور له العلامة المحقق شبلي^(١) النعماني . فان للمرحوم خدمات جليلة مشكورة في سبيل انهاض المسلمين من كبوتهم وتثقيف عقول الناشئة ونشر معارف الاسلام والدفاع عن حظيرة الدين . وكذلك هو الذي تعهد دار العلوم التابعة لندوة العلماء من اول يومها ونشأها احسن تنشئة وغذاها بعلمه وقلمه ولسانه . وهو الذي بث فكرة الاعتدال والجمع بين القديم والجديد وعممها بمجلة « الندوة » الشهرية التي كان يجررها بنفسه . ولعل العارفين من قراء العربية يتذكرون دفاعه المجيد عن الاسلام والعرب وانتقاده الجريء للنزبه لكتاب « تاريخ التمدن الاسلامي » الذي ألفه الكاتب القصصي المسيحي جرجي زيدان .

(١) وما لا بد من الاشارة اليه ان المرحوم اخذ العلم عن شيوخ زمنه على المنهاج القديم ، ثم صحب (سيد احمد خان) وعين استاذاً للعربية والفارسية في كلية (عليكره) ، حتى تأثر بأفكاره واخذ الناس يريهم بعض آرائه ، ثم تطورت أفكاره وانفصل عن كلية (عليكره) واصبح في اواخر ايام حياته من العلماء الراسخين المتنورين . ومن غريب المصادفة ان مولده كان عام الثورة - سنة ١٢٨٣/١٨٥٧ هـ ، وتوفي سنة ١٣٣٣/١٩١٤ هـ في بدء الحرب العالمية الاولى .

الفصل السادس

إلا بعد ما سعى ما عدد غير قليل من أقطاب الأمة وعيون رسلها ، لا يمكن
 نسبة كل واحد منهم بأعيانهم في هذا المقام . ولكننا ما نقتصر ، لاقتصر
 عالم الهند وعالمها للفقروه العلامة الملقب بشيخي^(١) النعماني . فان المرحوم
 خدمات جليلة مشكورة في سبيل النهوض للمسلمين من كتبهم وتلقيف
 عقول الناشئة ونشر معارف الاسلام والدفاع عن حظوظها في كل مكان
 هو الذي نعهد دار العلوم التابعة لندوة العلماء من اول يومها ونشأها
 لخصم تشيع وعقائدها بطه وقلة ولسان . وهو الذي بث فكرة الاعتدال
 والجمع بين القديم والجديد ومحميا عبقة والتدوية الشهيرة التي كان يحررها
 بنفسه . ولعل القارئ من قراء العربية يتذكرون دفاعه الجيد عن الاسلام
 والعرب واتقائه لطريق التزيم لكتاب تاريخ المسلمين الاسلامي
 الذي له الكاتب القلمي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) وما لابد من الإشارة اليه ان المرحوم أحد أعلام من شيوخ زمته على المنهج القديم
 ثم صاحب (سند أحد علماء) ومن استألف العربية والفارسية في كبره (طبعه)
 حتى تأليف الفقه وأحد الناس . ومن آرائه : ثم تطورت أفكاره وانفصل عن
 حيزه القديم . في الأخير أيام حياته من العلماء الأراستين الثوريين . ومن
 حريف المصادقة أن موته كان عام الثورة - سنة ١٣٥٧/١٣٥٨ هـ وتوفي سنة
 له من أعلام علماء قبا القاب لهذا الباب

نصيب السلفية في الهند

ذكرنا أكثر الآراء والأفكار الدينية التي وجدت سبيلاً إلى قلوب العلماء في الهند منذ استضاءت أرجاؤها بأنوار الدين المبين ، لكن فاتنا أن نشير إلى شيء مهم في هذا الباب . وهو أن علماء الهند قديماً وحديثاً إلا من رحم ربك ، ما كانوا يعرفون شيئاً من مصنفات الأئمة الأعلام المحققين أمثال الإمام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) وتلميذه ابن القيم (ت ٧٥١ هـ) ومن نحا نحوهما من علماء السلف كـ محمد بن اسماعيل الأمير اليميني (ت سنة ١١٨٣ هـ) ومحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) في المتأخرين . وكل ما جاءهم من خبر ابن تيمية وآرائه وأفكاره انما جاءهم بواسطة الشيخ أحمد حجر المكي^(١) (ت ٩٧٤ هـ) الذي ما اطلع على كتب الشيخ بنفسه ، وانما كتب عنها حسب ما روي له ، كما قال بعض العلماء . والأمر أشهر من قفانبك !

فكان من دأب علمائنا وديينهم أن يطيلوا لسان القدح في ابن تيمية ومن على ساكنته من الأئمة الأعلام . ولم يخل من هذه المعرفة الانزور

(١) من شاء القول الفصل في هذا الباب ، فليراجع (جلاء العينين في المحاكمة بين اللاحدين) لخير الدين نعمان الألوسي .

قليل من اغترفوا من بحر علوم الامام ولي الله . وهذه مصنفات مشايخنا
وفقهاثنا مشحونة بمطاعن في شيخ الاسلام ، تم على قلة علمهم وعدم
الاطلاع على مصنفات الشيخ وتلاميذه .

ومن أعجب ما كتب في هذا الباب ما جاء في كتاب سوط الرحمان
للمولوي فضل رسول البدايوني (ت سنة ١٢٩٧ هـ) امام المبتدعة
والقبورين في الهند :

« كان داوود الظاهري من أتباع الشيطان ، ثم ظهر ابن حزم
الظاهري الذي كان خبيثاً ، ثم جاء تلميذه ابن القيم (كذا) وابن تيمية ،
تلميذ (؟) ابن القيم ...
وكان أصحابه أشراً أجهلاء .

فهل لنا قد مجال للقول في هذه اللائي « الغالية » من عقد التحقيق
البليغ ؟ ولم يكن البدايوني هذا بدعاً من علماء الهند ، وإنما جاء على غرار
مشايخه وأسلافه . وكذلك كتب عالم كبير من علماء لكهنو في الرد على
أحد معاصريه من العلماء الاعلام .
« لاتذكروا الشوكاني في الفقه . وإنما كان أديباً »^(١) ،

ابو الكلام احمد المولود سنة ١٠٣٥/١٨٨٨

نحن الآن في مفتتح القرن الرابع عشر للهجرة او في بدء العقد
الثاني من القرن العشرين الميلادي ، والعالم الاسلامي يومئذ مهدد بالخطر
من جميع اطرافه هاهي غيوم متلبدة في جو مراکش النائية وهناك

(١) راجع (تذكرة) لأبي الكلام ص ٢٢٨ - ٢٢٦

سحب من الدماء متكاثفة تكاد تمطر على حصون أدورنه وسهول طرابلس
«الغرب ، وههنا في الهند ، في داخل البلاد شارع^(١) من الشوارع العامرة
متعطش الى دماء المسامين — هذا من الناحية السياسية .

اما الناحية الدينية فقد تقدم لنا الكلام في شأنها بتفصيل وقد
عرفت آنفاً ما كان عليه مشايخ الهند من العلم وسعة المعرفة (!!)
ولانكر ان الامام العارف بالله الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي
وانجباله وتلاميذه وتلاميذهم قد نشروا المعارف ، معارف الكتاب
والسنة ونوروا البلاد بأضواء العلم الصحيح والفكرة السليمة ، الا ان
سحب الجهل المتراكمة وأغشية الظلام المتلبدة منذ قرون ما كانت لتنقشع
في يوم او يومين .

في مثل هذه الحال وفي مثل تلك الظروف برز الى ميدان العمل
شاب ألمعي متوقد القريحة ، متنور الفكر ، مشبع بروح القرآن والسنة
النبوية ، متحمس في العمل بالغ الغاية في الكتابة ، مستول على الأمد في
الخطابة — خاض غمار المعترك ، وهو شاب لم يتجاوز عمره بضعاً وعشرين

(١) اشارة الى حادث عظيم وقع سنة ١٩١٣ في بلدة (كان بور) من المدن الكبيرة
في الايالات المتحدة (U. P.) حيث هدم جزء من أحد الجوامع الكبيرة ليستقيم
شارع من شوارعها ويحول مابه من عوج . ولما أراد المسلمون ، شبانهم وشيوخهم
وصبيانهم ، أن يبنوا الجزء المتهدم من الجامع من جديد أطلقت عليهم النيران من
غير هوادة ولارفق ، فاستشهد مئات من أرباء المسلمين وكان مشهداً جليلاً وكارثة فاجعة ،
كان لها مابعداها في تاريخ سلمي الهند .

سنة وأصدر صحيفة « الهلال »^(١) الأسبوعية التي كانت فاتحة عهد جديد في تاريخ الصحف المسلمة الهندية . طلع الهلال من سماء شرقي الهند المتلبدة بغيوم الحوادث الخطيرة ، وما ان مضت عليه أيام حتى أصبح بدرًا مثلاًئلاً ينور القلوب ويثبج الصدور بأشعته القدسية المقتبسة من مشكاة الكتاب والسنة ، ثم تحول هذا البدر المتألّيء شهاباً ثاقباً ينقض على رؤوس الاستعمار والنفاق والزندقة والاحاد نعم ! لم تمض على ظهور الهلال الا اصابيع عديدة حتى بدأت الاحوال تتبدل وجعل العلماء يتنبهون من غفلتهم والمتعلمون يفيقون من سكرتهم وأحست الامة بأسرها بنفحة من الحياة تسري في جسمها .

وكذلك الحكومة ما كانت لتبقى نائمة فوقفت للحركة الجديدة بالمرصاد وجعلت تتربص بها الدوائر .

طلع الهلال وصاحبه شاب لا يعرفه أحد ، وما ان اطلعت الامة على أفكاره ودعوته القرآنية ، حتى لقبته بامام الهند ، دينا وامام الاحرار سياسة - ألا وذاك الشاب هو احمد بن خير الدين الشهير بأبي الكلام ، الذي نفخ في نلوب الامة روح الحياة وقادها الى ميادين الجهاد والكفاح ، في حركة عظيمة وجهود جبارة متواصلة بما لا يتسع المقام للافاضة فيه . والذي يعنينا في هذا المقام من اعماله بوجه خاص هو الناحية الدينية وتجديد الدعوة الى الدين الخالص . وكذلك لا ينسينا عن اعطائه ما يستحقه من الشكر والاعتراف بالجمل والثناء على اعماله الخالدة ودعوته المباركة ، ما طرأ

(١) ظهر أول عدد من « الهلال » في يوليو سنة ١٩١٢ الميلادية .

عليه من تقلب وما ظهر من تبدل في أفكاره وما كان من جنوحه الى
الهنادك في السنين الاخيرة ، فان لكل مقامه في التاريخ والتسالي لايمحو
ما تقدم وسبق .

فلاجرم ان دعوة الهلال كانت دعوة قرآنية خالصة وفتحاً جديداً
في تاريخ الهند الديني . دعا عامة المسلمين الى الاعتصام بالكتاب العزيز
والسنة النبوية والرجوع اليهما في كل ما يعترضهم من مسائل ومشاكل دينية
كانت أو سياسية ، على حسب الاصطلاح الشائع .

فان المسلمين لا يصلح أمرهم في هذا الزمان ، الا بما صلح به في
زمن الصحابة والتابعين . ودعا العلماء والمشايخ الى الامعان في كتاب الله
العزيز واستخراج درره وآلئيه وابرازها للناس وأهاب بالمتعلمين الجدد ان
لا تغرنهم موهبات الافرنج وأباطيلهم وان يعطوا كتاب الله حقه من
العناية ويعكفوا على دراسته وتدبر آياته ومعانيه وينابروا عليها ... الى
غير ذلك مما كان ينشر على صفحات الهلال الأغزر من معارف الكتاب
العزيز ونفائس أسرارته بقلمه المعجز البليغ واسلوبه البديع الانيق .
فأدرك الناس خاصتهم وعامتهم ، ان كتاب الله جدير بالدرس والتأمل ؛
وان فيه من غرر الحكم وبدائع المعاني ما لا يوجد في كتاب مجموع بين
دفتين على وجه الارض .

وكان من عادة صاحب « الهلال » الزاهر في مقالاته ان لا يبدأها
الا بآي من الذكر الحكيم ، وقد جعل كتاب الله شعاره وعنوان بيانه ،
وتبعه في ذلك ، كما اتبعه في اسلوبه الفذ المبتكر ، كثير من الزعماء والعلماء

والكتاب ، وان لم يرزقوا النجاح الا قليلاً . وأعانه على نجاح دعوته « قلمه
السيال بالفوائد وطبعه الريان من اللغة وبراعة الاسلوب ومنطقه السديد
الذي لم يقارع به خصامها علاكه ، الا أفحمه وألزمه »

ومانتسي ، لانتسي ، كتابه الخالد الممتع (تذكر) الذي كشف
فيه عن عورات علماء السوء واماط اللثام عن جهلهم وتهافتهم على حطام
الدنيا الدنيئة وحيلهم ومكايدهم التي أبدعوها وتفتنوا فيها . وذكر غفلتهم
عن واجبه وتأييدهم الباطل في عصر الملك (أكبر) ، العصر الذي
تكررت فيه وجوه الامراء والاعيان للدين الحنيف ، كما تقدم بتفصيل .
ثم تطرق الى التنويه بأعمال السلف وجهادهم في سبيل الحق ، فأشاد بجهاد
امام اهل السنة احمد بن محمد حنبلي (ت سنة ٢٤٦ هـ) وسمو منزلته
وجلاله قدره وعظم شأنه . وكذلك بين منزلة شيخ الاسلام ابن تيمية
ومواقفه المشهودة وجهاده المشكور لاعلاء كلمة الدين ، وصرح لاول
مرة في تاريخ الهند الديني ان تعصب العلماء الجامدين على شيخ الاسلام
ومطاعهم في شخصه وعقيدته ، لم تكن الا عن قلة العلم وعدم الاطلاع
على مصنفاته وأفكاره . وكل ذلك بلبهة قارعة مخرجة متحدية مستقيضة
من معين الذكر الحكيم ، لم يقرأها أحد الا طأطأ رأسه امام بلاغته
وبراعة اسلوبه واستسلم لدعوته وأذعن لحججه وبراهينه . وعلى غرار ذلك
بين مكانة الائمة المتجددين في الهند ونوه بآثرهم وجلال اعمالهم ومنازلهم في
العلم والدعوة والتجديد امثال المجدد السرهندي والامام ولي الله الدهلوي
وحفيده اسماعيل الشهيد .

وجملة القول أنه هو الذي سن للناس سنة التفكير في الكتاب
العزیز و بین لهم مزايا العلم الصحيح الخالص من شوائب الجور والتقليد ونوره
بجملة السنة الصحيحة من المتقدمين والمتأخرين وأشاد بذكرهم . فأخذت
السلفية الصحيحة - لا التقليدية العمياء - من قلوب المسلمين وصفوة مختارة
من علمائهم وحلت منها محلها اللائق بها .

الدكتور محمد اقبال ۱۲۸۹ - ۱۳۵۷ هـ - ۱۸۷۳ - ۱۹۳۸ م
نشأ محمد اقبال ونبع في نفس العصر الذي نشأ فيه ابو الكلام .
ولكل منهما يد في النهضة الجديدة وبعث الحمية الدينية من مرقد هوانهاض
النخوة الاسلامية من كبوتها ، واليهما يرجع الفضل ، بعد فضل الله وتوفيقه ،
في تكوين روح اليقظة الحديثة التي عمت وشملت جميع طبقات الامة
وساعدت العاملين وشجعت عزائمهم وحفزت همهم للقيام بمجرات دينية
قوية سمع دويها في سائر أرجاء العالم . لكنها نشأت في بيئتين مختلفتين وعملا
في حقلين متعارضين ، وبالم يجتمعا في ناد ولم يجمعهما الجهاد في صف واحد .

درس محمد اقبال في كلية من الكليات العصرية وتخرج فيها . ثم
سافر الى اوربا ودرس في كمبردج وبرلين وقال شهادة الدكتوراه في الفلسفة
وتعاطى المحاماة بعد الرجوع مدة من الزمن ثم تركها لما بين قريحتيه الشاعرة
وطبعه الريان من الحكمة وبين المحاماة العصرية من منافاة .

اشهر صاحبنا بقرض الشعر وهو في مستقبل الشباب . وكان في
أول عهده بالشعر شاعراً مطبوعاً يميل الى الوطنية ، يتألم لما يرى بعينه من
سوء حال وطنه وبني جلدته ويبكي دماً على ما آلت اليه حال البلاد في

مفتتح القرن العشرين من تفرق الكلمة وتشتت الحال . ولما سافر الى اوربا سنة ١٩٠٥ وأقام بها ثلاث سنين وشاهد خلالها المدينة الغربية عن كتب وأطلع على سواآتها وما فيها من قويه وبريق كاذب ، تنبه فيه الشعور الاسلامي الكامن ونحوت طبيعته الشاعرة من حمى الوطن الضيق الى كنف الاسلام الرحيب الواسع .

والذي أثر فيه بوجه خاص وجعله يتلف أسى وحسرة على ذلك ، ما كان يشاهده صباح مساء هنالك في لندن وبرلين من افتتان الشبية المسلمة النازحة عن أوطانها بالغرب ومظاهره الخلابه وما يلاحظه من انخداعهم بدعايته الكاذبة الملققة . وكذلك تأثرت نفسه الشاعرة بما اطلعت على ما يحاك من الدسائس وما يدبر من المؤامرات في العواصم الاوربية للمسلمين وأوطانهم وبما لكم . وجملة القول أن محمد اقبال عاد من اوربا بعد ثلاث سنين شاعراً مسلماً يتوقد غيرة على الاسلام ومصير المسلمين ويعطف على أبناء الاسلام في سائر أنحاء المعمورة يخطب ودهم ويشيد بذكرهم وينوّه بمآثرهم .

هذا ، ويتبدى جهاده الموفق المبرور بعد رجوعه من أوربا اذ شرع يث أفكاره وآراءه الناضجة الحكيمة ، مفرغة في قالب الشعر البليغ المعجز ، فقد نشر دواوين عديدة باللغتين الفارسية والاردية ، ضمنها آراءه في السياسة العالمية والحضارة الغربية ودسائس الاوربيين ومكايدهم . وكذلك أهاب بالمسلمين وحشهم على الاستمساك بعروة الدين المبين ، وعدم الانخداع بأباطيل الغرب المموهة . كل ذلك جعله أساس

دعوته والقطب الذي تدور رحاها حوله . والذي ساعده على ذلك وحجب
اليه دعوته الى الشبيبة الناشئة هو ارتواؤه من معين الغرب وتمكنه من
الفلسفة الجديدة وتضلعه منها مضافاً الى عقيدته المحكمة الراسخة وتقننه في
القول المنظوم تفنناً يبلغ حد الاعجاز .

ثابر محمد اقبال على دعوته وجهاده ثلاثين سنة متتابعة ، شاهد
خلالها بأمر عينه ثمرات أعماله ونتائج دعوته المشكورة ، فان مئات من
المثقفين الجدد ، ممن تخرجوا في أوروبا ، كادوا يزيغون عن جادة الحق
ويضلون سواء السبيل ، لولا شعر محمد اقبال وافتتانهم ببلاغته وحكمه
الخالدة . فالذين لم يؤثر فيهم مواظب المشايخ ومقالات المحققين من العلماء ،
والذين ما كانوا ليلتفتوا الى دعوته المصلحين من الزعماء لاغترارهم بأباطيل
الغرب وولوعهم بزخارفه .

كثيراً ما اتفقت لهم أن يردوا عن شعره الصافي ويرتشقوا من
مناوله العذبة ، فيتأثروا بآرائه وأفكاره من حيث لا يشعرون . وهناك
رجال لا يقنعهم ما في كتاب الله وسنة رسوله الكريم ، الا اذا أفرغ في
قالب من الحكمة أو ورد بما يؤيده من ثمرات عقول الفلاسفة والمتكلمين
فأمثال هؤلاء الرجال اذا قرأوا مقالات محمد اقبال الفلسفية وأفكاره
الحصيفة الناضجة ، اقتنعت بها عقولهم وأطمأنت بها قلوبهم وسكنت اليها
خوابطهم . وكذلك انتفع بشعره وكتاباته وآرائه الحكيمه جماعة من
الناشئة الجديدة لا تحسن الظن بالمشايخ والفقهاء ، فلا تقبل منهم شيئاً
ولا تتق بشيء مما يأتون به من أوامر الشرع ، وذلك لمرض في قلوبهم

وانخداعهم بالحضارة الغربية واغترارهم بزخرفتها الكاذبة وتكالبهم على حياتهم
المادية الفاتنة - انتفعت هذه الجماعة وأمثالها بشعر اقبال وآرائه الحكيمة
فاهتدت واقتربت من الاسلام بعدما نفرت عنه وتباعدت . وذلك أنهم
ما كان في مكنهم ان يتهموا محمد اقبال في آرائه الدينية وعقيدته الراسخة
ودعوته المباركة أو يرموه بالجحود والرجعية أو بعدم الاطلاع على مقتضيات
العصر ومطالبه المتشعبة .

فان صاحبنا كان من خيرة من أنجبهم الجامعات العصرية في بلادنا ،
وله المحل الاسمى في الاوساط العلمية الاوربية ، ولآرائه الفلسفية ونظرياته
في الحكمة المقام الارفع بين المشتغلين بالفلسفة في بلادنا .

والدكتور محمد اقبال آراء اخرى طريفة في سياسة البلاد ونظريات
مبتكرة كانت تعد بدعاً من أخوتها حين ابداهها لأول مرة قبل عشرين سنة ،
الا ان ماجريات السياسة أيدت فكرته وتقلبات الحوادث اكثرت من
أنصارها ، والايام أثبتت ان شاعرنا كان محقاً في ما ارتأى وتفكر ، وان
نبوءته كانت صادقة . فانه أول من بدا له تأسيس دولة مسلمة في الناحية
الشمالية الغربية من الهند . وقد أظهر هذا الرأي باديء ذي بدء في مؤتمر
الرابطة الاسلامية سنة ١٩٢٩ الميلادية .

وهذا الرأي ، وان ظهر للناس غريباً اذ ذاك ، وقد سخر منه
الناس واستهزأت به الصحف جميعاً ، قد عاد فكرة ثابتة بعد سنين عديدة
وهذا الحلم الذي رآته نفس اقبال الشاعرة ، قد تحقق بعد ثمانية عشر عاماً
من رؤياه . وله مواقف اخرى مشهودة في ميدان السياسة ، ليس من

موضوعنا الافاضة فيها والاحاطة بتفاصيلها . وانما استطرنا الى ذكر ما تقدم من « تنبؤه السياسي » لأهميتها وخطورتها ، وعسى ان يكون ذلك عذراً عند من يلومنا على الخروج عن دائرة البحث .

ولصاحبنا ماثرة جليلة أخرى في باب الدعوة الدينية والدفاع عن حرمة الدين المبين ، لا تنسى أبد الدهر . ولو لم يكن من أعماله الجليلة الخالدة الا هذه الماثرة العظيمة لكفته فخراً في الدنيا وذخراً في الآخرة . ألا ، وهو موقفه الجليل المشهود بازاء النحلة ^(١) القاديانية الضالة المضلة في في السنين الأخيرة من حياته . وبيان ذلك أن هذه الطائفة الضالة التي ربها الاستعمار في مهده وغذاها بلبان مكره ودهائه ، استفحل أمرها وتقادم خطبها بعد الثلاثين من السنة الميلادية - أي قبل عشرين سنة - لتدخلها في السياسة وأخذ الاستعمار بناصرها وتشجيعه إياها على تبوؤ المناصب العالية من الحكم والقضاء في جانب ، وانحراف الشبيبة المثقفة الجديدة عن الدين ونفورهم عن العلماء والمشايع وأرباب الفتيا في هذه الديار في جانب آخر . فكان من نتائج السيئة أن المتعلمين الجدد المتخرجين في الجامعات العصرية

(١) النحلة المعروفة في الهند باسم القاديانية نسبة الى الكذاب غلام احمد القادياني الذي ادعى النبوة ، وظهر أمره في الثلث الاخير من القرن القابر . ووافاه الاجل المحتوم سنة ١٩٠٨ الميلادية . وانما ذاع صيته واشتهر أمر نخلته الكاذبة لتأييده للاستعمار البريطاني وتشجيع السلطة الفاشية له ولاتباعه ولولا مساعدة السلطة البريطانية لاتباع القادياني ، لاندموا قبل أن يستفحل أمرهم . و (قاديان) اسم قرية من قرى (بنجاب) ، ولد فيها الكذاب وبها قبره .

الذين لم يدرسوا الدين ولم يعرفوا منه الا كما تعرفه عجائز القرية بدأوا
لا يخلطون بين الاسلام والقاديانية وشرعوا ينظرون اليها بعين واحدة .
واذا قال لهم أحد من العلماء أو المتدين الى الدين باجتناب شرور هذه
الطائفة الحبيثة اوحذرهم عواقب الاتصال بها ما اكثرثوا لقوله ، بل قالوا :
« هذا من جمود العلماء ، وفي دين الله متسع للجميع » .

وضعت على ابالة ان بعض المثقفين المتنورين من زعماء الهنادك جعلوا
يزعمون ان الحركة الجبارة التي اثارها الجمعيات الدينية في مقاطعة (بنجاب)
لفصل القاديانية عن المسلمين في دواوين الحكومة وسجل الاحصاء الرسمي ،
انما هي حركة رجعية ، وان القاديانية طائفة متنورة من المسلمين تدعو
الى اصلاح والرفق والاخذ بأسباب الحضارة ، حتى ان الزعيم (جواهر
لال نهرو) كتب مقالتين في « المجلة العصرية (Modern Review)
- احدى كبريات مجلات الهنادك باللغة الانكليزية - ينكر فيها على
الجمعيات المسلمة الدينية هذه الحركة ويؤيد جانب القاديانية في مثل هذه
الحال ، في السنين الاولى من العقد الرابع من السنة الميلادية ، انبرى
المسلم المؤمن محمد اقبال للدفاع عن حظيرة الاسلام ورد كيد القاديانية في
نحوها وتطهيرها على حسب تعبير الشاعر الحكيم نفسه - الدين المبين من
ارجاسها وأدناسها . فشر تصريحات عديدة في الصحف ، بين فيها موقف
الاسلام بازاء هذه النحلة المارقة التي تؤمن بنبوة الغلام القادياني الكذاب ،

(١) نشرت هذه المقالة في رسالة مستقلة أتاحها « الاحلام والاحمدية »
(Islam and Ahmadism) وزعت منها ألوف من النسخ بالانكليزية والاردية .

وكشف عن عورات القاديانيين وأماط اللثام عن خدماتهم للاستعمار
البريطاني وتمسكهم بأذياله ، وان ننسى ، لاننسى مقالته القيمة الحكيمة
التي دمجتها براعته البليغة رداً على الزعيم (جواهر لال نهرو) في مزاعمه عن
هذه النحلة المارقة وتفنيداً لتعاليم القاديانية الكاذبة وتبييناً للحقائق الغامضة
المستورة في هذا الباب .

ولعمر الحق ان مقالته تلك كانت فريدة في الموضوع وآية
في سطوع الحجة ووضوح البرهان ، فكانت قاصمة لظهور دعاة القاديانية
وكاشفة عن فضائحهم وفسادهم . وما ان ظهرت مقالاته وتصريحاته المتتابعة
حتى انكشف الحق للذين كانوا في شك مني امرهم ونجلي الصبح لكل ذي عينين
وعاد الشبان المثقفون « المتجددون » ينظرون الى الفئة المارقة بعين الريبة
والحذر وادركوا ان هؤلاء القوم مطية للاستعمار وخطر على الاسلام
والمسلمين في هذه البلاد . وذلك لايمانهم بعلم اقبال وتأثرهم بشعره وحكمته
وعلمهم بأنه ليس من المشايخ والفقهاء الجامدين .

ومن مزايانا محمد اقبال وماثره في هذا الباب انه ما اقتنع بنشر
المقالات واذااعة التصريحات فحسب ، بل حمل عليهم حملة شعواء من جهات
عديدة . منها انه اصر على ان لا يقبل احد منهم عضواً في جمعية من جمعيات
المسلمين . وبدأ في ذلك بجمعية « حماية اسلام »^(١) الكبيرة في لاهور التي
كان صاحبنا رئيساً لها . فاستقال منها محتجاً على انضمام القاديانيين اليها .

(١) جمعية تعليمية ثقافية مضى على تأسيسها اكثر من خمسين سنة ، ولها مدارس عديدة
وكلية كبيرة وصحيفة ودار للطبع والنشر .

وما زال ثابتاً على استقالته ثلاثة أشهر حتى « تطهرت » الجمعية وفروعها
المتشعبة وكيانها ومدارسها من كل من يذمي الى تلك الطائفة المارقة .
وكان لعملية « التطهير » هذه ضجة عظيمة في الاوساط المسلمة ، وكذلك
حسبت لها الحكومة الف حساب .

ومن تصلبه في باب القاديانية أنه لم يفرق بين الطائفتين القاديانية
والاحمدية اللاهورية وأصر على تطهير دوائر جمعية (حماية اسلام) من
كلتا الطائفتين ، وقد أصاب في ذلك وأحسن . أجزل الله مثوبته في
الدارين . وهذه حسنة من حسناته جديرة بأن تكتب بماء الذهب وتدون
في سجل الخلود ، فان كثيراً من المتسمين بالتجدد والتعليم العصري
لا يشددون في أمر الاحمدية اللاهورية التي تقول بأن غلام أحمد الكذاب
لم يكن نبياً ، وانما كان « المسيح الموعود » ظهر في صورة المجدد « وأن
الوحي لم ينقطع بمحمد ﷺ » و « أن الله يكلم الصالحين من عباده الى
هذا اليوم » كما كان يكلم الكذاب غلام أحمد ونزل عليه الوحي وأن . .
وأن الخ ، لا يشددون في أمرهم زعما منهم أن هؤلاء لا يقولون بنبوة
الغلام القادياني ولا يكفرون من لم يؤمن بنبوة الكذاب . والحال ان
اللاهوريين هؤلاء أشد من القاديانيين الخالص الذين يؤمنون بنبوته ويكفرون
من لا يؤمن به ضرراً بالاسلام واكثر بلاء لاهله . ومن لا بسهم وخالطهم
عرف سرائرهم وخبياتهم . ولسنا الان بصدد البحث في القاديانية وتقنيده
مزاعمها وأباطيلها حتى تتناول المسألة بالشرح والتفصيل .

وانما استوردنا الى ذكر ما تقدم تبيننا لموقف محمد اقبال الحاسم

المحمود بازائهم وتقويمهم بجهاد المشكور في كبس جماعهم والقضاء على غوايتهم .

هذا جهاد شاعر الشرق وحكيم الاسلام في سبيل الحق ، وهذه نتف من مساعيه في القضاء على فتنة القاديانية وشروها . وقد رزق نجاحاً عظيماً في كل ذلك بفضل من الله وتوفيق من عنده ، حتى ان الناس أيقنوا أن النحلة المارقة أخذت في الانقراض وبدأ طالعها النحس يمنح الى الأفل . الا أن الاحوال قد تغيرت بعد الاستقلال وتطلعت رؤوس الشياطين من مناصب الحكم وآفاق الامر من جديد . ومن لي بأخبار محمد اقبال ، المسلم المؤمن في مشواه ان أتباعه والمتغنين بفكرته وأناشيده من ولاية (باكستان) وأولي الامر فيها ، قد عادوا يشجعون تلك الفتنة المارقة على أعمالها الضالة المضلة ويؤاون أتباعها أعلى المناصب في الحكم وينيطون بهم مقاليد الوزارات وتسيير دفة المملكة ! أعاذنا الله من الحور يبعد الكور والفسوق بعد الايمان .

الفصل السابع

تأثير الحركات السياسية

قد مضى على المسلمين بعد الثورة الكبرى - أي ثورة سنة ١٨٥٧ -
 الميادانية حين من الزمن فتكررت فيه وجوه الوجهاء الذين طيفت
 لما كان والمتجددون ، والمثقفون والأغنياء المتراخون للحكومة ليتدينوا
 ويعيشوا عيشة المؤمنين المخاضين على صلواتهم وشعارهم بحال من الأحوال
 حتى أفرقت حركة ندوة العلماء في أوطانهم من المسلمين قبل إلى الدين
 وعند يد المصافحة إلى العلماء . ثم كان لأبي الكلام وتخصيف ما كان من
 التأثير العظيم في أحداث انقلاب عام وتكوين فكرة دينية وجنوح جمهور
 الأمة إلى التمسك بأعدان الشريعة إلى أن طارت شرارة الحرب في
 طرابلس الغرب وولايات بلقان ، ثم انفجرت بركان الحرب العالمية الأولى .
 فقامت في البلاد حركات سياسية دينية أقامت الحكومة وأقعدتها . ولما
 كانت هذه الحركات كلها منسقة تبعها من عاطفة الآخرة الدينية والوحدة
 الإسلامية ، مالت قلوب المتعلمين والمتجدين الذين كانوا في طليعة القائمين
 بالحركة ، طبعاً إلى الدين وامتنال أوامره واختيار منهاج الحياة الذي
 تطلبه الشريعة الإسلامية . فتنشأ عن ذلك في الحياة الدينية والسياسية الذي
 واقعوا أفرانهم من العلماء في الحياة الدينية والسياسية

الحركات السياسية

٥٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مكتبات

تأثير الحركات السياسية

قد مضى على المسامين بعد الثورة الكبرى - أي ثورة سنة ١٨٥٧ ميلادية - حين من الزمن تنكرت فيه وجوه الوجهاء للدين الحنيف ، فما كان « المتجددون » والمتعلمون والاغنياء المتزلفون للحكومة ليتدينوا ويعيشوا عيشة المؤمنين المحافظين على صلواتهم وشعائهم بحال من الاحوال حتى أثمرت حركة ندوة العلماء وبدأت طائفة من المتعلمين تميل الى الدين وتمديد المصافحة الى العلماء . ثم كان لأبي الكلام وصحيفته ما كان من التأثير العظيم في احداث انقلاب عام وتكوين فكرة دينية وجنوح جمهور الامة الى التمسك بأهداب الشريعة الى ان طارت شرارة الحرب في طرابلس الغرب وولايات بلقان ، ثم انفجر بركان الحرب العالمية الاولى ، فقامت في البلاد حركات سياسية دينية أقامت الحكومة وأقعدتها . ولما كانت هذه الحركات كلها منشقة نبعها من عاطفة الاخوة الدينية والوحدة الاسلامية ، مالت قلوب المتعلمين والمتجددين الذين كانوا في طليعة القائمين بالحركة ، طبعاً الى الدين وامثال أوامره واختيار منهاج الحياة الذي تتطلبه الشريعة الاسلامية . فنشأ منهم رجال بلغوا الغاية في التحمس الديني وفاقوا أقرانهم من العلماء في الحمية الدينية - والدفاع عن شعائر الاسلام .

أمثال المغفور له مولانا محمد علي (ت ١٣٤٨/١٩٣٠) الزعيم الشهير ومولانا
مظهر الحق ومن نحا نحوهما من الزعماء .

ثم لم تمض على الحرب عشية اوضحهاها ، حتى ظهرت حركة
(الخلافة) الجبارة ، مساعدة للاتراك حملة لواء الخلافة وقتئذ وخروجاً
على بريطانية التي وعدت رعاياها المسلمين وعوداً كاذبة خلال الحرب وعللتهم
بالآمال والاماني المعسولة . وكانت حركة دينية بجته أثارها الغيرة على
مقام الخلافة والحرص على تطهير البلاد المقدسة من نفوذ الاجانب ،
شرعوا فيها حسب ما أفنى به العلماء في مؤتمر عظيم لهم عقدوه خاصاً لهذا
الغرض ، حضره خمسمائة عالم من شتى أنحاء البلاد . فارتفعت مكانة
العلماء ونزل الزعماء السياسيون المتخرجون في جامعات أوروبا عند ارادتهم
واهتدوا بهديهم واثمروا بأوامرهم . وكذلك اقتفى اثرهم المحامون
والدكاترة من حجاج لندن وباريس في الزي وأدوات المعيشة وأساليب
الدراسة . فتغيرت الازياء وطرق المعيشة واستبدلت الازياء الهندية
بالملابس الافرنجية وتبدلت مناهج التفكير وعادوا ينظرون الى الكتاب
والسنة مصدراً للدستور والقانون ، ومصباحاً يستنيرون به في ظلمات
العصر الخالكة ومناراً يسترشدون به اذا أشكل عليهم الامر وعميت
عليهم الطريق .

وبما ساعد على تحسن الحال الدينية واحترام الجمهور لشعائر الدين
ورغب الخاصة والمتعلمين في الرجوع الى حظيرة الشريعة الغراء والاقتطاف
من ثمرات التعليم الديني ، مشاركة العلماء اياهم في ميدان السياسة وتقديم

جمعيتهم الكبيرة « جمعية العلماء » الى حقل الكفاح السياسي . وكذلك تقدمت العلماء خطوة أخرى في الهند الشرقية بأن أسسوا جمعية الامارة الشرعية في مقاطعة (بهار) ونصبوا لهم ، أميراً شرعياً في تلك المقاطعة يتولى أمورهم ويقوم على مصالحهم الدينية من جمع أموال الزكاة وفصل الخصومات وفسخ العقود والدعوة والارشاد الى غيرها من الامور التي تمكنوا من القدرة عليها في النطاق المحدود المضروب عليهم تحت سلطة أجنبية مالكة لأزمة الأمور فحدث بذلك انقلاب عام في حال البلاد الدينية وانقادت الخاصة والعامة لارشادات العلماء في كل مايعرض لهم من مشاكل الحياة ومسائلهما .

تبدل الفضاء وأسبابه

فما لا يختلف فيه اثنان ان الحال الدينية في هذه الاقطار قد تحسنت بعد الحرب العالمية الاولى وحدث انقلاب مأموس في عقائد الجمهور وطرق تفكيرهم في المسائل ، الا ان هذا التحول والانقلاب لم يبق طويلاً فانه مالبث ان هدأت البلاد وانخمدت نيران الحركات السياسية المتأججة حتى هبت رياح الجمول على النشاط الديني ايضاً وبدأ المتجددون من المتعلمين يعودون الى سيوتهم الاولى ، فنكص من نكص وثبت من ثبت على طريق الحق .

والله في خلقه شؤون لا يدرك سرها الا الراسخون في العلم . وعلى كل فان البلاد في سنتي ١٩٢٣ و ١٩٢٤ ، كانت أحسن ديناً وأمتن خلقاً وأقوى عملاً وأملأ لما كانت عليه في السنين التي سبقت الحرب .

ولكنه لم يرض على ذلك زمن حتى انقلبت الحال ظهرا لبطن
وبدأ النفوذ الديني يفقد تأثيره في قلوب المسلمين وشرع المتجددون في
حركات متواصلة متتابعة للقضاء على الحمية الدينية ، ونجحت على أثرها فتن
وشرور وطلعت رؤوس الفساد والفوضى من كل حذب وصوب الى ان
أصبح الاستهزاء بالدين وحملته شيئا عادياً ونشأت طائفة من المتعلمين
لا تقبل سنة الرسول ﷺ حجة شرعية ولا تدعن لها ، تخلصاً لأنفسهم
من تبعه الأوامر والواجبات المفضلة في كتب الحديث الصحيحة المضبوطة
بدأ هذا التبدل السيئ في حياة مسلمي الهند منذ سنة ١٩٢٤ الميلادية ،
ومن دواعي الأسف ان هذا الانحطاط الديني الذي ظهرت اماراته قبل
خمس وعشرين سنة ، مازال يعمل عمله ولم يبلغ قراره الى اليوم . وهذا
التبدل المشؤوم وذلك التحول الممقوت ، له اسباب وعوامل ، نذكرها
في مايلي على سبيل الايجاز ، ليكون القاريء على بصيرة من الامر .

الغاء نظام الخلافة في تركيا :

لما بلغ أهل الهند ، المتحمسين لنصرة مقام الخلافة المجاهدين في
سبيل المحافظة عليها ، خبر الغاء الخلافة ، سقط في أيديهم وكادت جماعة منهم
مخالصة تفقد رشدها وتقع في حيرة من أمرها : ماذا عسى ان تفعل في
مثل ذلك الموقف الحرج الذي لاناقة لها فيه ولاجل . وبازاء تلك الفئة
الصادقة المؤمنة - وعلى رأسها الزعيم الشهير دفين الحرم القدسي الشريف
مولانا محمد علي رحمه الله - انبوت جماعة منهم للدفاع عن مصطفى كمال
وأبدت زعيم الاتراك في صنيعته هذه وأعلنت في الصحف بأنه كان محقاً

في عمله وان نظام الحكم الجمهوري اللاديني (Secular) المتبع في أنقرة هو أقرب شيء الى نظام الحكم في الاسلام . ومن المبكيات الموجعات في هذا الصدد ان مولانا أبا الكلام هو الذي حمل بيده لواء هذه الطائفة ونشر مقالاً طويلاً بقلعه ، أيد فيه جانب الاتراك ونظام الحكم المتبع في أنقرة فكأنه سحب بذلك ذيل النسيان على ماديجته براعته في العشر سنين الماضية وماعاد اليه من احياء نظام الاسلام ووحدة المسلمين وانخراطهم في سلك واحد بقلعه ولسانه وعمله .

ثم بدأت الاخبار تترى بتجديد الاتراك واصلاحاتهم « فاشتد بها ساعد الذين كلوا يجدون في أنفسهم على « الدين » وحملته في هذه البلاد وجعلوا يظهرن بين حين وآخر ان لاسبيل الى نهوض المسلمين الا القضاء على العلماء والمشايخ والسير على خطة الاتراك « المتجددين » .

ب - بدع أمان الله

ثم كان من أمر أمان الله ملك الافغان السابق ما كان من محاربة لشعائر الدين ودعوة الى السفور واتباع لأهل الغرب في مدينتهم وطرق معيشتهم ... فاتخذته تلك الفئة فرصة أخرى للطعن على العلماء والتتديد « بجهودهم ورجعيتهم » ونشبت معركة عظيمة على صفحات الجرائد بين الفريقين ، فريق من المحافظين ؛ ينكر على أمان الله تجديده المتحلل « واقفانه بمظاهر الغرب وفريق من « المتجددين » يؤيد اعماله وما أتى به من « الاصلاحات » (!!) المنكرة في بلاده ، فذاق وبال أمره .

ج - قانون الزواج الباكر

واتفق في تلك الغصون ان الحكومة شرعت قانوناً^(١) للزواج خاصاً أرادت به تحديد سن الزواج بان لا يكون عمر الفتى والفتاة أقل من ثمانية عشر وأربعة عشر عاماً على الترتيب . فاستنكر المسلمون هذا القانون وأعلنت جمعية العلماء ببلء صوتها :

ان هذا القانون تدخل في شؤون المسلمين الدينية وقوانينهم الشخصية (Personal Law) ، وانه ما جاء شيء في الكتاب والسنة عن تحديد سن الزواج ، فلا يرضى المسلمون الا ان يكون الاذن عاماً وبالباب مفتوحاً على مصراعيه كما أبقاء الشارع ، مع أنهم لا يستحسنون الزواج الباكر ، وان هذه السوءة الشنيعة من تزويج الصبيات والاطفال لاتوجد في المسلمين أصلاً ، وان كان لها وجود في بعض الطبقات الجاهلية فهو نزر قليل جداً لا يؤبه له ، وسيفنى عن قريب بمساعي الوعاظ والمرشدين .

وما اكتفت الجمعية ببيان موقف المسلمين ازاء ذلك ، بل خالفت القانون علناً وجاهدت في سبيل ذلك جهاداً عظيماً ، حتى لا تتجرأ الحكومة في المستقبل على التدخل في شؤون المسلمين الدينية ، فاغتتم الملاحدة والمتجددون من أذئاب الاتراك ومطاييا الاستعمار هذه الفرصة للتعريض بالعلماء والزراية على المانعين لمثل هذا القانون والطعن الفاحش في الدين الذي يدعوا الناس الى الرجعية والتقهر بزعمهم .

(١) وذلك في سنة ١٩٢٩ الميلادية

غفلة العلماء

ومن أهم الاسباب التي أفضت الى هذا التدهور الديني والانحطاط الخلقي الذي لم يستقر قراره الى اليوم ، غفلة العلماء عن واجب الدعوة والارشاد وانقطاع جمعيتهم الكبيرة - جمعية العلماء - الممثلة لعلماء الهند كافة الى السيامية الوطنية والشؤون الوقتية المتجولة كل صباح ومساء وتهافت اعضائها والقائمين بأمرها على المناصب والمقاعد في الجمعيات السياسية المتشعبة المبنوثة في سائر أنحاء البلاد .

أما أنه هل نفع البلاد وأهلها انغماسهم في أحوال السياسة الوقتية وتزاحمهم المتعدين بالمناكب في حقل السياسة الوطنية ام لم ينفع ؟ فهذا ما لم نسق الكلام لأجله في هذا المقام ، والمسألة فيها آراء متضاربة ولكل منها وجه ومتسع من الوقت .

والذي يهنا في هذا الشأن ان غفلة العلماء عن واجب الدعوة والسعي للإصلاح الديني الحقيقي وعدم اكتراثهم لنزعات الاتحاد والزندقة وقلة اهتمامهم بفريضة الدفاع عن حوزة الدين ، وقد أخذت بالدعوة الاسلامية ضرراً عظيماً ، فانها حرمت جهود العدد الكبير من حملتها المطلقين على منهاج سيرها وخطط تعميمها ونشرها ، لاشتغالهم وانصراف همهم الى أعمال من دونها ، كانوا يعملون لها ويبدلون جهودهم في سبيلها .

الدعوة إلى الاتحاد ووجود الحديث النبوي

سنة ١٣٤٩ / ١٩٢٧ م وما بعدها

الفصل الثامن

كل ما ذكره الله من تدل النفس، والانحراف عن حادة الحق
والسيرة من شعار الدين كما كان تبدأ لسييل الاتحاد وتوطئة لما كانت
بضربه بعض أعداء الدين من التسعين بالاملام من الكره والمطرد الذين
الذين - كما أن أولهم من شأنهم - فمما لا يلائم لآمراتهم وقوب الشيعة
التي لم تستطع لقول أهلها الجاهل المكاره والراعية من جاورها
بدعوتهم الكاذبة وبهواهم الباطل الثوراني من مؤيد السيد المسيح - عليه
وعلى ديننا الصلاة والسلام - من غير آب ووجود الحضر والتقام الحوت
لبي الله برئوس وغيره من أمثالها

ثم لما أصبحت هذه الطاقة المارقة أن السنة الشريف وكنت الحديث
النبوي تحول دون أمانيهم وترويقهم عن تحريف الآيات حسب مزاجهم
لجاءوا على أنكر الحديث النبوي بروت - وقد بلغت الواقعة من بعضهم
أن يعمل ينسج من الله تعالى شأنه في مقالاته وكتابه وروايتهم من أقواله
اجتهاده الكتاب المشروم إلى أن الملة الكثرية ثلاث - إلى غير ذلك
ما تحرموا به من الاطليل والخرافات

ظهور الاتحاد

فالتأخفا

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الدعوة الى الاتحاد وجحود الحديث النبوي

سنة ١٣٤٦ / ١٩٢٧ ، وما بعدها

كل ماذكر آنفاً من تبدل الفضاء والانحراف عن جادة الحق
والسخرية من شعائر الدين لما كان تمهيداً لسبيل الاتحاد وتوطئة لما كان
يضره بعض أعداء الدين من المتسمين بالاسلام من الكره والحقد للدين
المبين . فما ان رأوا الجو صالحاً والفضاء ملائماً لاهوائهم وقلوب الشنيعة
المتعلمة مستعدة لقبول آرائهم الباطلة وأفكارهم الواهية ، حتى جاهرُوا
بدعوتهم الكاذبة وبدأوا بانكار الحُوارق من مولد السيد المسيح - عليه
وعلى نبينا الصلاة والسلام - من غير أب ووجود الحُضر والتقام الحوت
لنبي الله يونس وغيرها من أمثالها .

ثم لما أحست هذه الطائفة المارقة ان السنة الشريفة وكتب الحديث
النبوي تحول دون أمانهم وتعوقهم عن تحريف الآيات حسب مزاعمهم ،
تجاسروا على انكار الحديث النبوي برمته . وقد بلغت الوقاحة من بعضهم
ان جعل يسخر من الله تعالى شأنه في مقالاته وكتابات . ومنهم من أذاه
اجتهاده الكاذب المشؤوم الى ان الصلوات المكتوبة ثلاث ، الى غيرها
بما تخرصوا به من الاباطيل والحز عبلات .

ولا يحسن القاريء ان هؤلاء الملاحدة كان لهم اي تأثير في الخاصة والعامه غير طلبة السكليات العصرية وطائفة من المتعلمين . وكذلك لا يظن احد ان حماة الدين القويم واعلام الجهاد الاسلامي كانوا سكتين عن الحق . وانما الامر بالعكس من ذلك ، فان اعلام الجهاد وحمله لواء الدفاع عن الاسلام وعلى رأسهم علم الهند وعالمها الاكبر الاستاذ المحقق العلامة السيد سليمان الندوي ونخبة من زملائه وتلاميذه - كانوا يرقبون الاحوال عن كثب ويردون عليهم ردوداً علمية بالغة الغاية في قوة البيان ونصوع البرهان ووضوح طريق الحق والصواب ، عسى ان تفقههم وتردهم عن غوايتهم . وكذلك بالغوا في النصح لهم ولم يألوا جهداً في افهامهم بالقلم واللسان ، لكن الذين أشربت قلوبهم الكفر وحب اثاره الفتن ، ما أصاحوا الى نصائح هؤلاء الاعلام ولم يكثرثوا لأقوالهم .

فأعلن السيد سليمان الندوي وزملاؤه بذلك في صحف الامة .
 « حاكموا اولئك المفسدين في الارض الى الرأي الاسلامي العام قائلين :
 » ان هؤلاء الطغاة لا يريدون الا بذور بذور الشقاق والفساد
 واحداث التلم في بنيان الامة ، فهم جناة الله وجناة عباده في أرضه ، فالى
 الامة أمرهم واليه المشتكى بعد الله جل وعز شأنه » .

وما ان أعلن بذلك ونشرته الصحف السائرة حتى اهتاجت الامة
 وثار ثأرها وشدت الصحف المسلمة في استنكار اعمال تلك الفئة الماردة
 وخفاف الجناة على أنفسهم والتجأوا الى الامة متضرعين خافضي رؤوسهم ،
 متذرعين بكل وسيلة من الدين والعلم والرحم ان تصفح عن زلاتهم

وتسحب ذيل العفو على ما نهم . فقبلت الامة اعتذارهم وتذللهم واذعانهم
لصوت الحق بعدما تابوا الى الله من سيئاتهم وعاهدوا بمثلي الامة على ان
لا يعودوا لمثلها في المستقبل .

ثم لما رأى اولئك الملاحدة ان الامة قد غفلت عن أعمالهم واطمأنت
الى أعتذارهم عادوا الى سيرتهم الاولى وأخذوا في بث دعاية الاتحاد
وترويج بضاعة الضلال من جديد . وكذلك اعلام الجهاد والدفاع عن
حوزة الدين الحق ، ما كانوا ليغفلوا هذا الامر العظيم ، ومن جراء اولئك
ظلت الحرب قائمة على ساقها بين الملاحدة والمسلمين المعتزين بدينهم وعقائدهم .

وهذا الذي ذكرته في ماتقدم ، يتعلق بالسنين التي خلت بين سنتي
١٩٢٧/٣٤٦ هـ ، ١٣٥٣/٩٣٤ ، الا أن « فتنة جحود الحديث النبوي »
والغض من شأن الرسالة المحمدية على صاحبها ألف نحية وسلام قد استفحل
أمرها وتفاقم خطبها مرة أخرى بعد الاستقلال وتكون الدولة الجديدة
باكستان . ومن دواعي الألم الشديد أن الذي تولى كبر هذه الفتنة والذي
يسخر من السنة الشريفة في مقالاته وكتابات صباح مساء ، هو رجل من
الموظفين في وزارة الداخلية . ومن غريب أمر هذا الرجل الموظف أنه
لا يعرف من العربية الا ما تعرف عجائز القرية من علوم الهندسة والكيمياء
ومع ذلك ألف تفسير القرآن الكريم في أربعة مجلدات ضخمة . فيالجهل
وبا لضيعة الدين . وهذا كله لجهل الناس باللغة العربية وعدم تمكنهم من
الارتشاف من مناهل الكتاب والسنة ، فتروج عليهم هذه الضلالات ، كما
راجت من قبل ضلالات الغلام القادياني ، عليه لعنة الله الى يوم القيامة .

ومن ثم نرى أن الدواء الناجع لأمراض الأمة الدينية والطريق الأيسر للقضاء على تلك الأضاليل والدعايات الكاذبة ، هو نشر اللغة العربية وتعميمها بين جماهير المسلمين وتلقين كل مسلم ومسلمة مبادئ لغة القرآن نرى هذا الرأي ونؤمن به وندعو إليه .

سليمان الندوي المولود ١٣٠٢ هـ :

عودا الى الحديث السابق . ذكرنا أن الحرب ظلت قائمة بين جاحدي الحديث والمسلمين المؤمنين المعتزين بدينهم المتمسكين بسنة نبيهم والفضل في ذلك الجهاد في سبيل نشر معارف السنة النبوية والدفاع عن حظيرة الدين الحق ، يرجع الى علم الهند وعالمها الاكبر الاستاذ المحقق السيد سليمان الندوي صاحب مجلة (معارف) الشهيرة ورئيس جمعية « دار المصنفين » والمشرف على دار العلوم التابعة لندوة العلماء في لكهنؤ (الهند) فمما لا يختلف فيه اثنان أن السيد سليمان الندوي - حرسه الله وأبقاه ذخراً للإسلام والمسلمين - امام الدفاع الاسلامي وبطله المغوار بلا مرأ . فان مؤلفاته العلمية المستفيضة من عيون الكتاب والسنة تأثيراً بالغاً في تكوين عقائد المسلمين وتقويم أود أفكارهم .

ولو جاز القول بأن دين الله مدين في بزوغ شمسهِ ووضوح حجته لرجل من رجال الاسلام ، لقلنا أنه مدين للسيد سليمان وزملائه حيث دافعوا عن حمى الدين الحق دفاع الأبطال وانتصروا للإسلام في محنته التي أصابته بيد بعض المتعنتين الجاحدين .

ولعمري الحق أنه لولا السيد سليمان ومجلته ومقالاته المتتابعة

ودفاعه المجيد لانتكست راية الاسلام في ذلك العصر الذي نحن بصدد
تاريخه الآن ، فانه كان يومئذ ، الركن الوحيد الذي يأوي اليه العلماء
اذا استعصى عليهم شيء من مهمات المسائل .

ويرجع اليه رواد العلم ويستندون اليه في حل مشكلاتهم وفك
معضلاتهم ؛ والطود الشامخ الذي تنطحه طواغيت الاحاد والزندقة بين
حين وآخر ، فلا يكون مثلهم الا :

كناطح صخرة يوما ليوهنها

فلم يضرها ، وأوهي قرنه الوعل



الإنفـاء الجـديد

وناشروا في الإنفـاء الديني والذهور الخلق

١٣٦٦ - ١٣٤٧

١٩٢٩ - ١٩٤٧

الفصل التاسع

والذي قد اختلفنا في (تاريخ الدعوة) الى العصر الذي نحن فيه
والذي مر ولا يزال برأى أمام أعيننا . فليكن كلامنا في هذا الشأن
مقتضياً لجميع أفرادنا ونواحيه ، حتى يسهل على القاري . القاري
استيعاب الحقيقة واستخلاص الامر الواقع . وهناك أمور يجب أن أنبه اليها
قبل التحول في طلب الموضوع . فليكن العوامل والاسباب التي أدت
الى هذا الانقلاب المدعو بالثورة . كما سأذكر في السطور التالية
ولا يزال يتجدد .

فالذي ينبغي علينا ذكره للقاري . أولاً وقبل كل شيء أن
الحالة السياسية جعلت تبدل بعد الثلاثين بدلاً من تسبق له نظيره في العقود
الثلاثة الأولى من هذا القرن .
تبدل المؤتمر الوطني .

ومن أهمها أن المؤتمر الهندي الوطني (Indian National Congress)

الانقلاب الجديد

وتأثيره في الانحطاط الديني والتدهور الخلقي

١٣٤٧ - ١٣٦٦ هـ

١٩٢٩ - ١٩٤٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

٧٣٦١ - ٧٣٦١ ٩

٨٦٨١ - ٧٣٨١ ٦

مقدمات الاسباب :

هذا وقد وصلنا في (تاريخ الدعوة) الى العصر الذي نحن فيه والزمن الذي مر ولا يزال يمر أمام أعيننا . فليكن كلامنا في هذا الشأن مفصلاً محيطاً بجميع أطرافه ونواحيه ، حتي يسهل على القاريء العربي استجلاء الحقيقة واستطلاع الامر الواقع . وهناك أمور يجب أن أشير اليها قبل الدخول في صلب الموضوع ، لتتجلى العوامل والاسباب التي أدت الى هذا الانقلاب المدهش في الحال الدينية ، كما شاهدنا في السنين الماضية ولا تزال نشاهدها .

فالذي ينبغي علي ذكره للقاريء أولاً وقبل كل شيء أن الحالة السياسية جعلت تتبدل بعد الثلاثين تبديلاً لم يسبق له نظير في العقود الثلاثة الاولى من هذا القرن .

تبدل المؤتمر الوطني :

ومن أهمها ان المؤتمر الهندي الوطني (Indian National Congress) أخذ يميل الى العصية الهندكية و احياء القومية الوثنية القديمة وبدأت تصبغ اعمالها بصبغة الدبابة البرهمية وشرع زعماء الهنادك يدعون الى تجديد الحضارة الهندية العتيقة البالية وبعث اللغة السنسكريتية من مرقدتها واستبدالها باللغة الهندستانية السهلة المفهومة السائرة بين القاصي

والداني . وقد تجلت هذه الظاهرة الجديدة في ماجريات المؤتمر الوطني الهندي بعد الثلاثين ، وان كان يحلم بها ويتمنى تحقيقها رجالهم وكتابهم منذ خمسين سنة فصاعداً .

تشاجر المسلمين :

هذه واحدة . والثانية ان زعماء المسلمين بدأوا يتشاجرون في ما بينهم منذ سنة ١٣٤٤ / ١٩٢٥ حينما دخل ابن سعود الحجاز طافراً وفاتحاً ، فاختلفت الاحزاب عندنا وتقاتلت في ما بينها ، هذا يدافع عن ابن سعود وهدمه للمشاهد ، وذلك يذمه وينكر عليه اعتدائه على المقابر والآثار المقدسة . ثم نجحت فتنة أخرى سنة ١٣٤٧ - ١٩٢٨ م - بشأن دستور البلاد وحقوق اهلها في الاصلاحات (Reforms) التي وعدت بتنفيذها الحكومة البريطانية . واتفق ان المؤتمر الهندي الوطني قدم اذ ذاك « تقريراً » (Report) عن الدستور المشود ، قامت بوضعه لجنة من الوطنيين على رأسهم موثي لال نهرو Moti Lal Nehru والد جواهر لال نهرو ، رئيس وزراء الهند الحالي .

فكان من رأي المغفور له ، زعيم المسلمين الاكبر مولانا محمد علي ومن حذا حذوه من الزعماء ان هذا « التقرير » لا يفي بمطالب المسلمين وفيه من الاجحاف بحقوقهم ، مالا قبل لهم باحتاله . وبازاء ذلك اردآى مولانا أبو الكلام ومن تراءى برأيه من رجالات المسلمين ان هذا التقرير واف بمطالب الهند الوطنية ، لا فرق فيها بين مسلم وهندي . ومن دواعي الاسف الشديد ان الفريقين وأنصارهما وأتباعهما تآدوا في النزاع

واخترقوا حدود الاعتدال في التشاجر وجاوزوا الحد في الخلاف والشقاق وبلغوا في التفرق مبلغاً ذهب بمهابتهم وأضعف بأسهم وجعلهم مثلاً يضرب للناس في تفرق الكلمة وتشتت الشمل .

جمعية العلماء وتغيير موقفها :

والثالثة أن جمعية علماء الهند التي كان لها ولاعضائها نفوذ وسمعة في البلاد ومكانة في قلوب الشعب وكانت فروعها منبثة في سائر انحاء القطر والتف حولها عدد كبير من علماء هذه البلاد من مختلف المذاهب والاوساط قد حدث تبدل عظيم في سياستها وخطة عملها بعد الثلاثين . وذلك انها جعلت تؤيد « المؤتمر الهندي الوطني » في برامجها ومنهاج عمله وتضم صوتها الى صوته في كل مسألة وقضية واخذ العلماء من اعضائها يساعدون الوطنيين من الهنادك ويشاركونهم ويعاضدونهم في حركاتهم السياسية .

ومن سوء الحظ أنه كلما ازداد المسلمون نفوراً وبعداً عن « المؤتمر الهندي الوطني » ، ازدادت جمعية العلماء اتصالاً به وانضماماً الى صفوفه . فكان من جراء ذلك ان معظم صحف المسلمين أخذت تندد بالعلماء وتشن الغارة على جمعيتهم وتنسب اليهم أنواعاً من المطاعن والأقاريل ، وكذلك شرع زعماء المسلمين من المقاومين للمؤتمر الهندي الوطني وسياسته يشدون الكرة على العلماء وجمعيتهم في خطبهم وتصريحاتهم وينكرون عليهم معاونتهم للمؤتمر الوطني الهندي وتعاونهم مع الهنادك . فأصبحت النتيجة ان العلماء فقدوا نفوذهم بين الجماهير ولم تبق للدين وحملته مهابة في قلوب

عامة الشعب وتطلع المتفريجون الى الزعامة وقيادة الشعب المسكين .

المتفريجون

والرابعة أنه لما تقلص نفوذ العلماء واضمحلت تأثيرهم في نفوس الامة انتهز المتفريجون الفرصة وبرزوا الى الميدان ، حاملين لواء الزعامة ، يقودون الشعب الى الكفاح ومقاومة المؤتمر الوطني الهندي بالغض من كرامة العلماء وتشويه سمعتهم ، وتفننوا في ذلك تفتناً وأتوا في ذلك من التحيزات المبكيات بما يندى له جبين المروءة ويحمر له وجه البشرية . لكنها كانت فتنة عامة استولت على البلاد وذهبت في تيارها الجارف بالبقية الباقية من أخلاق الامة .

حركة مسلمة قوية

والخامسة أنه لما اشتد تعصب الهنادك على المسلمين ، وازداد المؤتمر الوطني الهندي عتواً واستكباراً واجحافاً بحقوق المسلمين ، واعراضاً عن قبول مطالبهم السياسية المعتدلة ، ولاسيما بعد ما منحت البلاد شبه استقلال داخلي في المقاطعات - سنة ١٩٣٧ م / ١٣٥٦ هـ - وقام زعيمهم الأكبر غاندي بحركة عنيفة للقضاء على اللغة .

الاردية^(١) الهندستانية - في سنة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م وما بعدها -

(١) وكان من أقوال غاندي في هذا الشأن : « ان اللغة الاردية تكتب بخط القرآن ، فعلى المسلمين انفسهم ان يحافظوا عليها » . مع انه يعرف الجميع ان اللغة الاردية ما جاءت من بلاد العرب ، وانما نبئت وبسقت وآتت أكلها في تربة الهند نفسها ، كاللغات الهندية الاخرى ، اللهم الا أن يقال : ان فيها من كلمات العربية والفارسية -

لما كان الأمر كذلك وهاج هياج المسلمين واشتد نفورهم من الهنادك واستقال كثير من رجالهم من المؤتمر الوطني الهندي . قامت حركة قومية بين المسلمين ، مصادمة « للمؤتمر الوطني الهندي » ومقاومة لسياسته الهندكية ، المعادية لمصالحهم ومطالبهم . والجمعية التي قامت بهذه الحركة ، حركة المقاومة لمزاعم الهنادك والدفاع عن مطالب المسلمين ، هي جمعية الرابطة المسلمة .

(Muslim League) ، والرجل العصامي الذي نهض لقيادتهم وحمل لواء الدفاع عن القومية المسلمة ومطالب المسلمين السياسية ، هو الحامي الشهير والسياسي المحنك والقانوني البارع ، محمد علي جينا ، الذي

مايفوق ٥٠ ٪ ، ولكنه امر طبيعي بعد ما دخل المسلمون الهند ولم يحكوها من وراء البحار كما فعلت الانكليز ، بل مكثوها وعمروها ثمانية قرون وخدموا علومها ولغاتها وآدابها وأضافوا الى جالها وزادوها بهاءً على بهاء .

وهذه منة في عنق الهند ، لو كان في قلوبهم شيء من الشرف لما انكروها ، بل ذكروها بالخير والشكر . فالحق ان مجرد وجود الكتابات للعربية والفارسية في الاردية لا يجعلها لغة أجنبية . وكذلك الخط الاردي لا يصبح خطأً ممقوتاً مبغوضاً بمجرد كونه يماثل الخط العربي او الفارسي . هذا ، اذا نظروا الى المسألة بعين الانصاف أما انتعص الممقوت والقومية الضيقة الجغرافية ، فلا تعرف الحق ولا تهتدي الى الصواب الا قليلا . وهام أتباع غاندي اليوم يكادون يقضون على اللغة الاردية في البلاد الهندية ويسدون سبيل الرقي والانتشار في وجهها بكل طريق مشروع او غير مشروع . الا اننا جازمون بأن لغة حية نامية لا يمكن وأدها بهذه السهولة . وسيعلم الذين ظلوا أي منقلب ينقلبون .

انتخب رئيساً للرابطة المسلمة سنة ١٩٣٦ م فهذه هي الاسباب المهمة والعوامل البدائية التي أفضت الى ذلك الانحطاط الديني الخلقى الذي بدت آثاره بعد الثلاثين ، وما زال ينمو ويكبر تحت تأثير تلك العوامل ويزداد قوة واتساعاً من جراء تلك الاسباب حتى أصبح خطراً على الدين والاخلاق . وما كان هذا الانحطاط الديني وذلك التدهور الخلقى اللذين أشرنا الى أسبابهما في ماتقدم ، منحصرين في اقامة الشعائر الظاهرة والشعور وفشو التبرج والخلاعة ، بل الامر ان هذا الانحطاط في الفكرة الدينية والعقائد ، وذلك التبدل المشاهد في المقاييس الادبية والقيم الخلقية ، كانا أعظم أثراً وأبعد مدى وأقوى نفوذاً . وهذه هي الطامة الكبرى فما أوتيت أمة من قبل فكرتها وماغزيت جماعة في عقيدتها ومعاييرها الخلقية والادبية ، الا وكان فيها هلاكها وتبائها .

هذا ، وهانحن مفضون اليك بشيء من التفصيل بما نريد بيانه من هذه القضية وفروعها ومن تلك الافكار الزائفة وأسباب نشوئها ، ليتضح الأمر ويعرف الكل مدى تأثير هذا الانقلاب والتبدل في حياة الامة وأفكارها ومعتقداتها ومقاييسها الخلقية والادبية .

القومية المسلمة والاسلام الجغرافي

وقد عرفت آنفاً ان المسلمين قاموا بحركة سياسية عنيفة مصادمة للمؤتمر الوطني الهندي ومقاومة لسياستها الهندكية المتطرفة . وهذه الحركة ، وان أخذت في الظهور والاتساع بعد الثلاثين ، ما أتيسح لها الرقي والازدهار الا بعد سنة ١٩٣٦/١٣٥٥ حينما تولى زعامتها

القائد محمد علي جينا . ومن سوء الحظ ان القائد محمد علي جينا ، على
تضله من الدستور والقانون العصريين وعلو كعبه في الدبلوماسية الغربية
وحذقه في السياستين الهندية والانكليزية ما كان له سابق عهد بمعرفة
الاسلام وحقيقته ومزاياه ، ولم يكن له علم بما فيه من نظم للحياة شاملة
وبركات للبشرية عميقة جامعة .

وليس الذنب ذنبه ، ولما التبعة على المهدي الذي تربى فيه وترعرع
والبيئة التي نشأ فيها وبلغ أشده والجو الذي تدم فيه هواء العلم والادب
فقد نشأ نشأة أفرنجية خالصة بين طائفة من الاسماعيلية التي لاصلة لها
بجمهور المسلمين ولا تجمع بينها وبين جمهرة مسلمي الهند رابطة غير اسم
« الاسلام » الذي يتبرك به الجميع ولا يعرفون ما يدعوا اليه من عقيدة
صافية نقية ونظام للحياة شامل .

وكذلك الذين لبوا دعوته وانضوا تحت لرائه وتبعوا معالمه
في مقاومة المؤتمر الهندي الوطني ومحاربة خطته العوجاء ، كانوا من الذين
غذوا بلبان الثقافة الغربية وتخرجوا في السكيات العصرية ونشأوا نشأة
بعيدة عن مراکز الدين والعلم . فكل ما قام به القائد محمد علي جينا
وأتباعه المتحمسون في سبيل تأييد قضيتهم وتقوية مطالبهم من الحركات
والمظاهرات وما أقاموه من الحفلات والمؤتمرات ، جاءت على غرار الجمعيات
السياسية العصرية . منهجة خطتها ، مقتفية أثرها ، لا تجد عليها مسحة من
الدين او الطابع الخلقي الاسلامي الذي يميزها عن غيرها من خصلات غير
المسلمين . وكذلك الذين أقيمت إلهيم مقاليد الزعامة في طول البلاد

وعرضها وتولوا الدفاع عن حقوق المسلمين في الأقاليم والقرى ، كانوا على غرار ساداتهم وكبرائهم في البعد عن الدين وتعاطي المنكر وارتكاب الفحشاء .

وكذلك نرى حفلاتهم ومؤتمراتهم مكتظة بالنساء الساخرات المتبرجات ، يتقدمن الرجال ويشاركنهم في عالم يخلقهن الله لأجله .
أما الذين يحافظون على الصلوات منهم ويؤدون الواجبات الشرعية ، فعدهم نزر قليل جداً .

هذا من الناحية العلمية . أما صنيعهم من الناحية الفكرية ، فقد نبتت فيهم فكرة القومية المتطرفة المسماة مناقضة للقومية الهندكية الغالية .

وبيان ذلك أنه نشأ فيهم باديء ذي بدء الجنوح الى الاستمساك بكل ما وجدوا عليه آباءهم من الثقافة والآداب شأن الهنادك في آباءهم وتمجيدهم لتراث أسلافهم وبدأ فيهم الليل الى الاعتزاز بماثر أسلافهم ومن سبقهم من الملوك والامراء والاحتجاج بما جاؤوا به من الأعمال في حقول الأدب والعمران والثقافة . ثم تطرقوا بذلك الى تمجيد ما جاء به أسلافهم من مختلف الأعمال ، ولو كانت منكورة بعيدة عن حجة الشريعة البيضاء ، فأكبة عن السنة المحمدية الناصعة .

وأدهى من ذلك وأمر ان عامة أتباع القائد محمد علي جينا وجمهرة المنضوين تحت لوائه جعلوا يقدسون أعماله واعمال زملائه من كبار زعماء الرابطة المسماة ويختلفون أعذاراً واهية وحيلاً سخيفة لما

يقترفونه من المنكرات من عدم المحافظة على الصلوات وتعاطي الخمر وتشجيع النساء على السفور والتبرج وغيرها مما يضيق سرده نطاق المقام .

فأخلاصة ان الرابطة المسامة وزعماءها كانوا من أكبر من ساعد في ترويض فكرة القومية المسلمة وتمجيد أعمال ملوك المسلمين وقوادهم وزعمائهم - ولو كانت منحرفة عن جادة الحق متنكبة الصراط السوي - وكأني بهم التبس عليهم الأمر ، بأنهم لم يفرقوا بين الاسلام والمسلم ، ولم يدركوا - أو لم يريدوا ان يدركوا - ما بينهما من فرق عظيم وشقة شاسعة فان الاسلام دين شامل جامع كافل لسعادتي الدارين ؛ جاء بمجموعة من المبادئ والعقائد والعبادات والقوانين للعقود والمعاملات ونظام للحياة ودستور للملك والحكم . وحدد لكل واحد منها حدوداً مبينة وبين معالم الحلال والحرام لكل من يريد ان يدين به ويدخل في كنفه .

فالمسلم ، هو الذي آمن بتلك المبادئ والعقائد وعمل بتلك القوانين والتزم تلك الحدود وخشي الله في السر والعلانية ، راجياً المثوبة في الدار الآخرة .

اما الذي ولد من أب وأم مسلمين وتسمى بأسمائهم ثم اقتترف ماأراد ان يقترف من الاعمال المنكرة واضآر مآشاء وشاءت أهواؤه الجاحجة من المبادئ الهدامة والنظريات الزائفة الزالفة ، فليس من الاسلام في قبيل ولادبير ، وان كان اسمه مكتوباً فوق الجميع في سجل الاحصاء الرسمي . وذلك لاملامراء فيه ولا مكاررة .

وهذه هي الغلطة الكبرى - أي عدم التفطن الى ما بين الاسلام والمسلم من فرق عظيم - التي أدت بزعماء الرابطة المسماة ان يحشروا تحت لوائهم كل من اتسم بسمه المسلم وأدى اكتاب^(١) الرابطة ووافقهم على مطالبهم بالاستقلال ومحاربة المؤتمر الوطني الهندي ، من غير نظر الى عقائدهم وخلقهم وطبائعهم واستقامة أحوالهم ومعاملتهم للناس . فكان من نتائجها ان انضوى تحت لواء الرابطة كل غث وسمين من أذئاب الاستعمار وأعوان الشيوعية وأنصار الكمالين ودعاة القومية المتطرفة والوطنية الجغرافية والاسلام « الجغرافي » ممن اتسم بسمه المسلمين وتسمى بأسمائهم . والظاهر ان مثل هذه المجموعة المؤلفة من شتى الاهواء والاغراض لا يمكن ان تبقى متساندة مترابطة ، الا حين إقامة المظاهرات والحفلات والقيام بالحركات والثورات . وقد حدث كذلك فعلاً ، فانهم ظلوا مستمسكين بمبادئ الرابطة محاربين للمؤتمر الوطني الهندي وسياسته العوجاء سنين عديدة حتى نجحوا في مهمتهم . وما ان تبوؤوا مناصب الحكم وتولوا أمر البلاد بعد استقلالها وانفصالها عن الهند المشتركة ، انكشفت عوراتهم وبدت سياستهم وتجلت للعيان عوامل الضعف والوهن الكامنة في نفوس الصائمين بحركة الرابطة ، المنضمين الى صفوفها .

ولولا ماتوخيناه في هذا المقام من الاقتصار على الكلام عن تأثير هذه الحركة في مجرى الفكر الاسلامي ، لفصلنا القول في سياآت أعمالهم وكشفنا النقاب عن سوءاتهم . فكما قلنا ان مثل هذه المجموعة المحتشدة

(١) وهو آنتان في السنة فقط أي ما يعادل قرشاً مصرياً .

من كل رطب وبابس لا يمكن ان تظل متمسكة متعاضدة الى مدى بعيد
 كذلك مما لا مجال فيه للشك ان مثل هذه الكتلة المشتمة على حملة الافكار
 الزائفة كالشيوعية والنزعات الواهية الخاطئة كالقومية الجغرافية والنزعات
 الباطلة كالكمالية المتفرجة ، لاتأتي باصلاح خلقي ولا يمكن ان تكون نواة
 صالحة لانقلاب اسلامي شامل . والعيان لا يحتاج الى البيان . وقد شاهدنا
 هذه الكتلة المجتمعة من شتى العناصر والاهواء ، وقد تفرقت شيعاً بعد
 الاستقلال ولم يبق بينها جامع فكري . فمنهم من يدعو الى الشيوعية علناً
 ومنهم من يأخذ بناصر الممولين (Cohritaerito) ، ومنهم من يدعو
 بدعاية الاسلام من فوق المنابر وفي جلسات البرلمان ، واذا خلا الى
 أصدقائه وخلانه ، تعاطى المنكر في الخلوة والنادي واقترب من المآثم
 والتحزبات ما يمجح السمع ويأباه الذوق ، به الشريعة والدين .

ومن سيآت هذه القومية المسامة او « الاسلام الجغرافي » -
 حسب المصطلح الشائع في البلدان العربية - أنه نجحت بين الشبيبة
 المنضوية تحت لواء الرابطة المسامة ، نزعة الكمالية ، نزعة التفرنج
 والاحاد والزندقة .

والذي غذى هذه النزعة الحبيثة ورواها هو اتفاق زعماء الرابطة
 المسامة واتحاد كلمة الصحف المنتسبة اليهم على الطعن في العلماء والزراية على
 حملة الدين والسخرية من شعائر الاسلام وعدم الاكتراث لأوامر
 الشرع ونواهيه ولا تزال هذه النزعة باقية آثارها في شرذمة قليلة
 من الشبان .

القومية الهندية المشتركة

وبإزاء الدعوة الى هذه القومية المسماة - او الاسلام الجغرافي - وحركة الرابطة بانفصال المسلمين عن المؤتمر الوطني الهندي ومقاطعته ، كانت الحركة الوطنية الهندية القومية التي ظهرت بواورها في أواخر القصر السالف تحت لواء المؤتمر الوطني . وكان لهذه الحركة أنصار ودعاة بين المسلمين منذ أول أمرها . وكان عددهم يزداد حيناً ويتضاءل حيناً آخر ، وذلك حسب ما يظهر من التبدل والتحول في معاملة زعماء الهنادك المسلمين ومطالبهم السياسية وتودد أولئك الى هؤلاء . وبقي الامر على ذلك بين ارتفاع وانخفاض وصعود وهبوط الى ان وضعت الحرب العالمية الاولى أوزارها ونكشت الانكليز بوعودهم الخلابه وقامت على أثرها حركتا الخلافة والاستقلال القويتان الصارمتان اللتان زلزلتا عروش بريطانية وحليفاتها .

فاشترك المسلمون في المؤتمر الوطني الهندي اشتراكاً تاماً وأخذوا بنصيهم في تدبير شؤونهم وتنظيم صفوفهم ، حتى أصبحت لهم يد نافذة وكلمة مسبوقة في برامج المؤتمر الوطني ووضع خطته ومناهجه وتسيير دفة شؤونهم . واستمرت الحال على ذلك الى سنة ١٩٢٩ / ٢٣٤٨ حتى انفصلت جماعة عظيمة من المسلمين وكبار زعمائهم عن المؤتمر الوطني ، بعد ما قدم « تقريره » المشؤوم - عن مطالب البلاد السياسية ومطمع آمالها - الذي ما أنصف المسلمين ونجسهم حقوقهم السياسية ومطالبهم المدنية المشروعة ، كما سبقت الإشارة اليه . ثم مازال زعماء المسلمين يستقبلون من

مناصبه وينفصلون عنه ، واحداً إثر آخر ، حتى لم يبق فيه من رجالات المسلمين وزعمائهم المعدودين ، الا أبو الكلام وشرذمة من أتباعه وأعضاء جمعية العلماء الشهيرة . ومن هنا بدأت المسادة وحدثت المناجزة بين الفريقين . فريق من العلماء والوطنيين يدعون الى القومية الهندية الوطنية المشتركة معارضة للحكومة البريطانية ، يشرف عليهم ويساعدونهم المؤتمر الوطني بوسائله وأدوات الدعاية الواسعة بيده ، كما بدأ فريق من زعماء المسلمين - تحت زعامة القائد محمد علي جينا - يدعون الى القومية المسامة والانفصال عن الهنادك ، كما تقدم .

وكان قول هؤلاء في ذلك « ان المسلمين أمة مستقلة بأنفسهم » ، وأنه لا يجمع الهنادك وإياهم شيء مما يمكن ان يعد من مقومات القومية ومشخصاتها ، وأن قضية الهند ، ليست بقضية امة واحدة ، وإنما هي قضية امتين مستقلتين كل واحدة منهما متمازة عن الاخرى بميزانها وعوائدها الخاصة بها » . اما الذين كانوا من أنصار المؤتمر الوطني والمشاركين إياه في برامجهم ، المساعدين له في السياسة الوطنية ، فكانت دعوتهم الى القومية الهندية الوطنية ، وحجتهم في ذلك « ان الهنود أمة واحدة لا فرق بين مسلم منهم وهندي في اللغة والمعيشة وأدوات الأكل والشرب » ، وان المسلم القاطن في أقصى (بنغال) أقرب الى جاره الهندي وأحسن به رحماً منه الى المسلم القاطن في بنجاب ، او (أفغانستان) ، وان الدين لا أثر له في تكوين القوميات في هذا العصر ، وأنه شيء ذاتي بين العبد وربّه ، ولا نافعة له ولا جمل في السياسة العملية » .

وهذه الدعوة وأنصارها أيضاً ما كانوا أحسن حالاً وأمتن خلقاً من دعاة القومية المسلمة والاسلام الجغرافي . اما العلماء الذين حملوا لواء هذه الدعوة وحاربوا الرابطة المسلمة محاربة شديدة ، فانهم ، وان كانوا بأنفسهم متدينين متمسكين بأداب الدين أشد التمسك ، شأن مشايخ الدين والعلماء في بلادنا ، الا ان أكثر الذين شاركهم وتعاونوا معهم في الدعوة الى المؤتمر الوطني ومحاربة الرابطة المسلمة ، كانوا من أشد الناس عداوة للاسلام وأضرهم شراً الدين المبين في هذه الديار .

ومنهم من لا يؤمن بالله ورسوله أصلاً ، ومنهم من آمن بمبادئ الشيوعية وكفر بالله ورسوله واليوم الآخر . ومنهم من يتظاهر بالاسلام والمحافظة على شعائره ، وقلبه غير مطمئن بالايمان وقد استئس من مستقبل الاسلام وعلو كلمته في هذه الدنيا .

ومنهم من يميل بطبعه الى دين جديد بمزيج مشتمل على شيء من تعاليم الاسلام وبعض تقاليد البراهمة ، مفرغ في قالب وطني خالص ، شأن الملك المأفون اكبر ، الذي تقدم لنا الكلام في ضلالاته وأباطيله . فهذا ما كان عليه أنصار المؤتمر الوطني ودعايته من دين وخلق . وما ظنك بمجموعة من الناس مشتملة على كل رطب ويابس من نقابات القوم . هل يرجى منها ان تعود على الاسلام والمسلمين بخير في العاجل او الآجل ؟ كلا !! ليس « الاسلام » بالعبوة يلعب بها كل ما كر او غادر ويتصرف فيها حسب أهوائه ويستخدمها لارضاء شهواته . إنما هو الدين الشامل الجامع المرضي عند الله الكافل لسعادتي الدنيا والآخرة ، وله نظم وقوانين

ومبادئ وأصول ، من آمن بها عن رضى وعمل بها واستمسك بعرونها الوثقى ، فهو مسلم عند الله ورسوله .

اما الذي يتسمى بأسماء المسلمين ويتظاهر بالاسلام ثم يفصم عروته ويدين بما يشاء من الافكار والنزعات ويعمل بما تأمره به نفسه وشهواته ، فليس من الاسلام في غير ولا نقيض .

وجملة القول ان دعاة الوطنية الهندية المشتركة من بين المسلمين ما كانوا أحسن حالاً من دعاة القومية والاسلام الجغرافي ، بل كانت أوائك شراً من هؤلاء وأكثر خطراً على الاسلام وأهله . ومن سوء حظ المسلمين . ومما يذوب له القلب كمدأ وحزناً ان علماءنا من أعضاء جمعية العلماء والقائمين بأمرها ، مازالوا متشبثين بأذيال المؤتمر الوطني ، متعلقين بأهدابه ، خلافاً لجمهور الشعب وأولى الرأي منهم . وهذه هي الطامة الكبرى التي أصيب بها الاسلام في هذه البلاد في العشرين سنة الماضية ، وكان من نتائجها السيئة وعواقبها الوخيمة ، زوال مهابة العلماء وسقوط منزلتهم في عيون العامة وهو انهم على الشبان المتفرنجين وازدياد السخرية من الدين وشعائره كما ذكرنا مراراً ، لأهميته وخطورته شأنه وفدح مضاب الامة به . ولا حول ولا قوة الا بالله .

والعجب كل العجب بين جمادي ورجب أننا كلما قلنا - في السنوات العشر الماضية - لآخواننا من أعضاء جمعية العلماء ان يكفوا عن معادتهم المؤتمر الوطني ويقوموا بواجب الدعوة الدينية الحقيقية ويشدوا أزرنا في محاربة دعاة « الاسلام الجغرافي » وأعوان الكمالية

والتفرنج ، أجبوا قائلين : هانحن نحارب الاستعمار أولاً للحصول على الاستقلال . واما القيام بواجب الدعوة الى إحياء الاسلام ورفع كلمة الله . فسنقوم به بعد ذلك . كبوت كلمة كانت تخرج من أفواههم ، وبئس ماسوات لهم أنفسهم وزينت لهم عقولهم . وهانحن أولاء ندوق اليوم وبال ماعملوا والامة الاسلامية الهندية بأسرها تندب حظها وتبكي لسوء حالها ، وعلمائنا المساكين « لا يزالون متشبثين بأذيال المؤتمر الوطني ، يرجون من زعمائه المتغترسين الجائرين العدل والنصفه ، وهيأت ان ينالوا بغيتهم .

نظرة في كلتا القوميتين

هذا ، وصفوة ماسردنا في ماتقدم من حديث بوادر الانقلاب الجديد وأسبابه وعوامله ، أنه نبتت بين مسلمي الهند بعد الثلاثين من السنة الميلادية ، فكرتان : فكرة القومية المسلمة والاسلام الجغرافي ، تريد الانفصال عن الهنادك وتأسيس مملكة مسلمة قومية في جزء من بلاد الهند ، ولانأخذ على دعاة هذه الفكرة الا ما نأخذ على سائر دعاة الوطنية الجغرافية او القومية النسلية والعنصرية ، لأن الميزان الوحيد الذي تزن به الأشياء ، هو ميزان الاسلام والدين الحق ، لا غير . وبما لاختلاف فيه ان الدين الحق لا يعرف للقومية العنصرية او الوطنية الجغرافية معنى . وإنما هو عبارة عن مبادئ وأصول محكمة ومجموعة من العقائد والعبادات ونظم الملك ، مستبينة واضحة . فمن أراد ان يكون مسلماً ، فعليه ان يؤمن بتلك المبادئ ويعمل حسب مقتضاها ويحجد ويحتهد في تكوين البيئة التي يجري فيها ذلك النظام العادل واليجاد الجو الذي تنفذ فيه تلك القوانين

أما التسمي بأسماء المسلمين وادعاء الاسلام في كل مكان ثم العمل بما يناقضه ويأتي بنيانه من القواعد ، فليس من الاسلام في شيء . وانما هو سبيل الذين يخادعون الله ورسوله والمؤمنين وما يشعرون أن الدعايات الكاذبة لا يدوم أثرها وأنه مهما استطال ليل الدعاوي المزخرفة فلا بد أن يعقبه صبح الحقيقة والصواب ، وأنها مهما تلبدت الحقيقة بغيوم الأحاديث الكاذبة ، فانها تنكشف وتتجلى في يوم من الايام ، لاحالة .

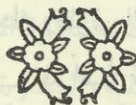
والفكرة الثانية ، فكرة القومية الهندية الوطنية الداعية الى إدماج المسلمين وثقافتهم ونظمهم الاجتماعية والسياسية في ثقافة الهنادك وآدابهم ونظمهم المستقاة من الوثنية القديمة .

ومن الواضح البين الذي لاخفاء فيه أن هذه الفكرة ، فكرة لجوء المسلمين الى كنف الهنادك والمؤتمر الوطني الهندي وانصوائهم تحت لوائه واصطبائهم بصبغة الثقافة الهندية البرهمية كانت أشد ضراوة وأفدح خطراً على الاسلام والمسلمين من الفكرة الاولى ، فكرة القومية المسلمة « والاسلام الجغرافي » .

فالخلاصة ان المسلمين في الهند بعد الثلاثين سنة ١٣٤٩ هـ وما بعدها - أصبحوا بين نارين : نار الوطنية المشتركة والقومية الهندية الجارفة . ونار القومية المسلمة والاسلام الجغرافي ، فمنهم من آثر الأولى واصطلى بلظاها ومنهم من اختار الثانية - وهم الأغلبية الساحقة - وزاد

تلك النار المتأججة اضطراباً وهيباً . ولا يخفي على القاريء اللبيب
 المستبصر المطلع على تعاليم الاسلام ، العارف ببيادته الراسخة وأصوله
 المحكمة ما في كلا الأمرين وكلتا الفكرتين من خطر على الدين الحق
 ومستقبله في هذه الديار .

وقد تقدم لنا الكلام في ذلك بما يغنيننا عن إعادته في هذا المقام .



الفصل العاشر آخرى

ومن هنا ، وفي هاتيك الأحوال ، وفي تلك الظروف المحرجة ، ظهرت دعوة إسلامية خالصة ، بوية من أوجاس القواض الوطنية والبعثات الاقليمية طاهرة من أداس الميول المنصرية ومنازع التفرغ والاباحية ، دعوة دليية صادقة ، متفجرة من يلبوع الكتاب والسنة ، مستفاعة من سيرة النبي (ﷺ) وأصحابه (رضي الله عنهم ورضوا عنه) ، دعوة الرجوع الى الله تعالى والسير على هديه في كل ما يعرض للمرء من المسائل والمشاكل في مختلف نواحي الحياة وشعبها .

ظهرت هذه الدعوة الى اقامة الدين وتعميد مدارس من معالم الدين الصحيح والقضاء على ما تسرب الى فكرة الاسلام من خرافات الشرق والغرب واستعمال ما ابتدعه المسلمون من طرق معوجة ومنافع زائفة من تلقاء انفسهم ، خلال القرون السالفة ، قرون الاضطهاد والظلم والتخلف الامم في العالم الاسلامي - ظهرت هذه الدعوة بعد الثلاثين بقليل ، حينما بدأت حركة القومية المسلمة والوطنية الحديثة

دعوة اسلامية خالصة

المشركة لتنازعها وتشتاجها ، وإلى أي القادحين يخرج من هذه الدعوة مخرجهم من جدهم وتبشرهم بنور من الهداية ودعوة الحق وتبشرهم بالحق

تلك النار الناجية خطراً ، ولا ينجي على القاري ، القريب
المبصر الطلع على تعاليم الاسلام ، العارف ببلاده الراسخة وأصوله
المجسدة ما في كلا الأمرين وكلتا الكورتين من خطر على الدين الحق
ومستقبله في هذه الديار .

سعد العال خفا

وقد تقدم لنا الكلام في ذلك بما يثبتنا من إعادته في هذا المقام .

بسم الله الرحمن الرحيم



تتألف من البداية

١ - دعوة أخرى

ومن هنا ، وفي هاتيك الاحوال ، وفي تلك الغضون المخرجة ، ظهرت دعوة إسلامية خالصة ، بريئة من أرجاس النزعات الوطنية والنعرات الاقليمية طاهرة من أدناس الميول العنصرية ومنازع التفرنج والاباحية ، دعوة دينية صادقة ، متفجرة من ينبوع الكتاب والسنة ، مستقاة من سيرة النبي (ﷺ) وأصحابه (رضي الله عنهم ورضوا عنه) ، دعوة الرجوع الى كف الدين المبين واللجوء اليه في كل مايعرض للمرء من المسائل والمشاكل في مختلف نواحي الحياة وشعبها .

ظهرت هذه الدعوة الى اقامة الدين وتجديد مدارس من معالم الدين الصحيح والقضاء على ماتسرب الى فكرة الاسلام من خرافات الشرق وأوهام الغرب واستئصال ما ابتدعه المسلمون من طرق معوجة ومناهج زائفة من تلقاء أنفسهم ، خلال القرون السالفة ، قرون الانحطاط والجمود والتقليد الأعمى في العالم الاسلامي - ظهرت هذه الدعوة بعد الثلاثين بقليل ، حينما بدأت حركتا القومية المسلمة والوطنية الهندية المشتركة تتنازعان وتتشاجران ، ويكاد المسلم المخلص يكون في حيرة من أمره : ماذا يفعل ، والى أي الهاويتين يتدحرج ؟ فجاءت هذه الدعوة تخرجهم من حيرتهم وتبشرهم بنور من الهداية ودعوة الحق وتثير لهم الحطة

الواضحة والطريق المستبين للجهاد والكفاح .

فأول ما بدأ القائلون بها ، تصحيح الفكرة وتبيين حقيقة الدين وإزالة ما لحق بقصيدة التوحيد النزعة وفكرة الاسلام النقية من أدران الزيف والمجود . وذلك ببيان معنى الاسلام الحقيقي وغايته وأهدافه وما يشتمل عليه من عقيدة محكمة ومبادئ ثابتة راسخة ونظم للملك وال عمران والاجتماع بينة واضحة . فان مرآة الاسلام الصافية قد اتسخت في القرون الأخيرة بأصداء النظريات الباطلة والافكار العقيمة الجامدة ، كما لا يخفى على القاريء اللبيب المستبصر .

٢ - الاسلام ودعوته

فالاسلام - كما يفهم من كتاب الله وسنة نبيه ، وكما بينه بوجه خاص القائلون بهذه الدعوة في مؤلفاتهم وصحفهم ومجلاتهم - هو الدين الذي لا يتقبل الله ولا يرضى من عباده ديناً سواه [ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ٣ : ٨٥٤] . والدين هو المنهاج الوحيد الحقيقي الصالح للحياة البشرية والطراز المخصوص للتفكير والعمل في هذه الحياة الدنيا . وزد على صالح انه منهاج عملي عام جامع ، يحيط بالحياة البشرية ، بجميع نواحيها ، الفردية منها والجماعية ، ولا يختص بقطر دون قطر أو زمن دون زمن أو أمة دون أمة .

فالاسلام ، كما يفهم من قوله تعالى : إن الدين عند الله الاسلام [١٩ : ٣] ، هو المنهاج الوحيد الصحيح المرضي عند الله في هذه الحياة الدنيا ، الكافل للحياة البشرية جمعاء ، المحيط بها في كل عصر وفي كل

زمان . وما هو ، كما يزعم بعض المنخدعين بترهات الغرب وأباطيله ، بعبارة عن علاقة فردية أو ذاتية بين العبد وربّه ، ولا صلة له بنظم الملك والامران البتة . وكذلك ليس الاسلام ، كالبودية والنصرانية وغيرها من الديانات بمجموعة من شعائر معينة وطقوس معلومة ، يؤديها العبد بينه وبين ربّه في جزء محدود من أوقاته ، ثم يكون حراً طليقاً في معاملاته وشؤون حياته يتصرف فيها كيف يشاء . بل الحق أنه نظام الحياة البشرية بأسرها الفردية منها والجماعية ، وأنه يدعو البشر قاطبة الى التزام مثل الحياة العليا ويهيب بهم على اختلاف منازلهم ومشاربهم إلى اتباع الطريق الاقوم ويتنير لهم الطريقة المثلى في كل فرع من فروع الحياة وشعبة من شعبها ، من الشؤون الفردية والعائلية إلى المسائل السياسية والمدنية ومشاكل الحرب ومؤتمرات الصلح العالمية .

فهذه هي فكرة الاسلام النقية الخالصة ، وهذا هو معنى الدين الحقيقي . وما هو من قبيل الفكرة المفكرة أو العقيدة الفارغة . وإنما هو منهاج عملي جاء به محمد بن عبد الله ، الرسول النبي الامي ، ﷺ ، وأمر الله عباده جميعاً أن يتبعوه وينفذوا ما يشتمل عليه من الخطط البينة والأساليب الواضحة المستنيرة .

وهذه هي العبودية التي لم يخلق البشر إلا لأجلها ، وهذا هو المراد من واجب إقامة الدين التي أمر الله بها أنبياءه ثم المؤمنين جميعاً ، حيث يقول ، عز من قائل ، وهو أصدق القائلين : - شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى

وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه [١٣: ٤٢] .

فقد تبين لك ما تقدم ما يدعو إليه الاسلام من عقيدة سامية ونظم للحياة جامعة . وما هي رسالته الحقيقية التي يريد أن يشهدها في الارض ويعمم خيراتها في جميع أنحاء المعمورة . ولا جرم أن الامة الاسلامية ما أخرجت ^(١) للناس إلا لتبليغ هذه الرسالة ونشر تلك العقيدة والنظم بين العالمين ؛ والتاريخ يشهد والآثار الحية الخالدة تنطق بأنها قامت بواجبها خير قيام وأدتها احسن تأدية في أول أمرها ، في عهد السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، ولكنه بما يزعم الفؤاد ويملأ القلب حزناً وكمداً أن الامة قد غفلت عن هذه الدعوة في القرون المتأخرة ، ولا تزال غافلة عنها ، منهاونة في شأنها ، مقصرة في جنب تلك الفريضة الخطيرة التي أُلقيت على كواهلها . فما افقر الامة وما أحوجها إلى حركة اسلامية خالصة تقوم بالدعوة من جديد وتستأنف السير إلى الغاية المنشودة بحمد وثبات ، تشهد شهادة الحق بأقوالها وأعمالها ، وتبين للناس دين الله الخالص وما فيه من خير الدنيا والآخرة وتعرض عليهم نظامه العالمي الشامل ، الكافل للسعادتين الدنيوية والاخرية والضامن للرفاهيتين : العاجلة والآجلة .

وذلك كله بحجج بيّنة وبراهين ساطعة وأماليب جديدة وطرق مؤثرة جسيمة ، وفي أدواء القلوب ناجعة ، توافق عقول الناس وأفكارهم

(١) إشارة إلى قوله تعالى : [٣ : كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ونهون عن المنكر وتؤمنون بالله] .

في هذا الزمان وتلائم طبائع الرجال وأذواقهم في هذا العصر الذي تغيرت فيه الأذواق وتبدلت الأوضاع .

١ - المطالب الثلاثة :

أ - الاول ،

فاذا أردنا عرض هذه الدعوة ، دعوة الدين والحق والاسلام الخالص واجمال غايتها واهدافها في كلمات قليلة ، يمكننا ان نقسمها الى ثلاثة مطالب مهمة ونحدها في ثلاثة بنود أساسية وهما : بيانها :

(١) دعوتنا للبشر كافة والمسلمين خاصة ان يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئاً ولا يتخذوا إلهاً ولا رباً غيره .

(٢) ودعوتنا لكل من اظهر الرضا بالاسلام ديناً أن يخلصوا دينهم لله ويزكوا أنفسهم من شوائب النفاق واعمالهم من التناقض .

(٣) ودعوتنا لجميع اهل الارض ان يحدثوا انقلاباً عاماً في اصول الحكم الحاضر الذي استبد به الطواغيت والفجرة الذين ملأوا الارض فساداً ، وان ينتزعوا هذه الامامة الفكرية والعملية من ايديهم ، حتى يأخذها رجال يؤمنون بالله وباليوم الآخر ويدينون دين الحق ولا يريدون علواً في الارض ولا فساداً .

وهذه المطالب الثلاثة واضحة في نفسها وضوح الشمس في رابعة النهار ، ولكنه من دواعي الاسف انها انكسفت وتوارت حقيقتها بأستار من الجهل والغفلة والجمود ، حتى ان المسلمين أنفسهم اصبحوا بحاجة الى ان تشرح لهم هذه المطالب ويبين لهم مرماها ومغزاها ، دع عنك غير المسلمين وللمذين لم يتسن لهم معرفة دعوته وتعاليمه .

هذا ، فالعبودية - لله الواحد الأحد - التي ندعو اليها ، ليس المراد منها أن يقر العبد بعبوديته تعالى شأنه ثم يبقى في حياته العملية حراً طليقاً ، كما كان من قبل في حياته الجاهلية . وكذلك ليس المقصود من عبودية الله أن يعتقد العبد كونه تعالى خالقاً لكونه ، وازقاً لمن في الارض ، مستحقاً للعبادة من جميع خلقه ، من غير أن يكون له سلطان في هذه الحياة الدنيا ومسائيلها وشؤونها المتعددة المتشعبة . وأيضاً ليس من معنى العبودية ان تقسم الحياة الى قسمين : قسم يتعلق بالدين والامور الدينية وقسم يتصل بالدنيا وشؤونها العديدة المتنوعة ، وان تنحصر العبودية لله في القسم الديني الذي لا يخرج ، حسب المصطلح الشائع ، عن دائرة العقائد والعبادات والمسائل التي لها علاقة بالحياة الفردية وقوانين الاحوال الشخصية . اما الحياة الدنيوية وشؤونها المتشعبة وفروعها المتنوعة من مسائل العمران والسياسة والاقتصاد والآداب والاخلاق ، فلا سلطان فيها لله الواحد الاحد ولا نفوذ لاحكامه في دائرتها ، والعبد حر في بابها يفعل فيها مايشاء ويصنع لنفسه من نظم العمران والملك مايريد أو يختار من النظم الوضعية مايجب ويرضاه .

فالقائمون بدعوة الاسلام في هذه البلاد - وطبعاً في سائر اقطار العالم ؛ لان الدين واحد لم يتغير والكتاب واحد لم يأت به الباطل من بين يديه ولا من خلفه - يرون ويعتقدون أن معاني العبودية هذه كلها باطلة من أساسها ويريدون القضاء عليها وقطع دابرها كما يريدون استئصال نظم الكفر والجاهلية واجتثاث شرورهما من جذورهما ، لان هذه المعاني وتلك

التعابير هي التي شوّهت وجه الحقيقة ومسخت فكرة الدين مسخاً .

والذي نراه ونجزم به ونعتقد ونندعوا الناس اليه أن العبودية التي دعت إليها رسل الله الكرام من لدن أبي البشر آدم عليه السلام الى سيدنا وسيد المرسلين وخاتمهم محمد الرسول الامي ﷺ ، المراد بها أن يقر ويعتقد « أنه ما من اله الا الله ، وأنه الله الفرد الصمد الحاكم بين عباده السيد المطاع في برتيه ، المشرع للدستور والقوانين والمالك لامورهم ، المتصرف في شؤونهم والمجازي على أعمالهم : وأن يسلم نفسه لذلك الله العزيز المقتدر ويخلص دينه له تعالى جده ويدعن لعبوديته في كل شأن من شؤون حياته ، الفردية منها والجماعية ، الحلقية منها والسياسية ، الاقتصادية منها والاجتماعية . وبهذا المعنى ورد في التنزيل ، قوله عز من قائل :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً [البقرة ٢٠٨] الذي يأمر فيه عباده : أن ادخلوا في دين الله كافة ، بمجموع حياتكم ، لا يشذ عن سلطانه شيء ولا يند عن دائرة نفوذه جزء من أجزائها ، فلا يكن من شأنكم في ناحية من نواحي حياتكم ان تتجردوا عن عبوديته الشاملة ، فتحسبوا أنفسكم أحراراً في شؤونكم ، تختارون من المناهج والامور ما تريدون أو تتبعون من النظم والقوانين الوضعية المستحدثة ما تحبون . وهذا هو معنى العبودية الذي نبه ونعممه وندعو البشر كافة ، المسلمين منهم وغير المسلمين ، الى قبوله والايمان به والاذعان له .

ب - الثاني

والمطلب الثاني من هذه المطالب الثلاثة « أننا نطالب الذين يؤمنون

بالاسلام او يظهر ان إيمانهم به ان يزكوا أنفسهم من شوائب النفاق وأعمالهم
من مظاهر التناقض » .

والمراد بالنفاق في هذه الكلمة ان يدعي الرجل الايمان بنظام
خاص ويتظاهر بالالتساب اليه والتمسك بأذياله ، ثم يعيش راضياً مطمئناً
في نظام للحياة مناقض للنظام الذي يؤمن به ولا يجد ويجتهد في قلب ذلك
النظام المعارض لمعقيدته التي يؤمن بها واستبدال النظام الصالح به ، بل
ربما يبذل جهوده ويستنفذ قواه ومساعدته في توطيد دعائم ذلك النظام
الفاقد الجائر او اقامة نظام باطل آخر ، يسد مسد ذلك النظام الجائر
الذي يعيش في كنفه . هادئاً مغتبطاً . فمثل هذا الطراز من الناس كمثل
المنافق ، فان الايمان بنظام للحياة ثم الاطمئنان بنظام آخر مناقض له ،
شيء يمجج السمع ويأباه العقل ولا يرضاه الشرع . فمن مقتضيات الايمان
الأولية ان بود المرء من صميم فؤاده ان تكون كلمة الله هي العليا . وان
يكون الدين كله لله ، وان لا يبقى في الارض منازع ينازع حاملوا لواء
الاسلام في دعوته وأداء مهمته للانسانية ، وان لا يهدأ له بال ولا يقر له
بقرار اذا رأى ما يصبب ذلك الدين في صميمه او ينقص شيئاً من سلطانه
أو دائرة نفوذه ، وكذلك من امارات الايمان ان يظل الرجل قلقاً
مضطرباً ، لا يهدأ له بال ولا يطيب له عيش حتى يرى ذلك النظام العادل
قد استرد أهته وسلطانه وعادت أعلامه خافقة وكتفه نافذة بين الناس .

هذا من علامات الايمان وإماراته التي لا يكبر فيها الا متعنت ،
لا وجاحد ، واما ان يعيش المرء راضياً مقتنعاً في النظم العصرية الباطلة

التي لاسلطان فيها للدين ، والتي جعلته منحصراً في دائرة ضيقة من مسائل
الزواج والطلاق والارث ، التي لاتضر بتلك النظم السائدة الجائرة
ولا قد تدخل في حدود إمرتها وسلطانها - اما ان يعيش المرء مطمئناً بمثل
تلك النظم ، قانعاً مغتبطاً في كنفها ، ولا يبقى له عرق ولا يخفق له قلب
فلعمر الحق ان مثل هذه الصنعة من امارات النفاق ومن صميمه
من غير شك .

وربما يجد مثل هذا الرجل عوناً ومساعدة من بعض الفقهاء
والمشايخ ويبقى مساهماً في سجل الاحياء ودواوين الافتاء ، لكن روح
الشريعة تأبى الا ان تحكم على مثل هذه الصنعة بالنفاق . ولو أفتي
المفتون بخلاف ذلك ، حرصاً على المعاش الزهيد ومتاع الدنيا الزائل .

فالذي نريد من المسلمين والذين يتظاهرون بالاسلام وندعوم اليه
ان يخلصوا دينهم لله ويزكوا أنفسهم من شوائب هذا النفاق . ومن حق
هذا الايمان ان يتمنى المرء من سويدها قلبه ان تكون نظم الحياة والملك
ومناهج الاقتصاد والاجتماع التي جاءت بها رسل الله ، مرفوعة الرأس
عالية الذرى نافذة في الدنيا ، لا ينافرها أحد ولا يعوقها عائق . فكيف
بمن يرضى بها ويعيش في كنفها راضياً مغتبطاً ؟

اما من يتجراً على السعي وراء توطيد دعائم النظم الباطلة والجد
لإعلاء كلمتها . فذلك أعرق في الضلال وأشد تمادياً في الفبي . أعاذنا الله
وإياكم من شرور أمثاله .

أما « التناقض » الذي يطالب المسلمين جميعاً - من غير فرق بين

من نشأ في بيت مسلم ومن دخل في الاسلام بنفسه بتزكية أعمالهم من مظاهره ، فالمراد به ان يكون عمل الرجل مناقضاً لما يدعيه بلسانه ويظهره في أقواله ، كما أنه من التناقض في صميمه ان تختلف اعمال المرء باختلاف شؤون الحياة ويناقض بعضها بعضاً . فليس من الاسلام في شيء ان يتبع الرجل أوامر الله ويتمسك بأهداب الشريعة في ناحية من نواحي حياته ويعصي أمر الله ويتعدى حدوده في الشعب الاخرى من شعبها ، ومن مقتضيات الايمان ان يسلم المرء نفسه لله وان يدخل بمجموع حياته في كنف الدين الحق ، لا يعصى الله في شيء من أوامره ولا يصدر عنه شيء ينقص من تلك العبودية الشاملة والاتباع الكامل لدينه وشريعته ومن امارات المؤمن ان يكون مصطبغاً بصبغة الله ، لا يتأثر بشيء من مظاهر الدنيا الفاتنة ولا يتنكب الصراط السوي في شيء من حياته وأعماله . ومن علاماته ان يستغفر الله ويتوب اليه اذا بدرت منه بوادر تتم على الخطأ والعصيان او حدثت منه فلتات قد تؤدي الى الشر والطغيان .

أما أن يدعي الرجل الايمان بالله ويصلي ويصوم ويؤدي شعائره معينة محدودة ثم يحسب نفسه حراً طليقاً لا يتقيد بقيد ولا يذعن لأمر الله في دوائر الحياة العملية الاخرى ، فذلك هو التناقض الذي يتنافى العبودية .

وما رأيك في هذه السعادة التي يرتكبها المسلمون اليوم في جميع أنحاء العالم ؟ يتشدقون بالايمان بالله واليوم الآخر ويتظاهرون

بالاسلام ويتسمون بسمته .

واذا دخلوا في معترك الحياة العملية وخاضوا غمار السياسة
وبجروا في مسائل الاقتصاد والاجتماع ، لم تجد عليهم مسحة من تعاليم
الاسلام ولا أثر من آثار أتباعهم للدين الحق والشرعة الكاملة . وأي
شعوذة أكبر من ذلك وأشنع ؟ يقرون صباح مساء بأنهم « لا يعبدون
الا الله ولا يستعينون الا بإياه » وبعد ذلك لا يتخرجون من ان يتبعوا كل
نفاق ويدبنوا بكل نظرية او فكرة وان يخضعوا لكل جبار متكبر في
أرض الله ويستسلموا لأمره ويدعنوا لجبروته .

فذلك هو التناقض وهذه علاماته . وهذه أسس جميع أمراض
المسلمين الخلقية والاجتماعية . ومادامت فيهم هذه الأمراض الخلقية
الفناكة ، لا يرجي إلباء لهم من مرض الانحطاط والذل والتقهقر ولا أمل
في انتشالهم من وهدتهم التي أودت بهم ولا تزال تهوي بهم الى مهواة
الشقاء والمهانة .

وبما يذوب له القلب كمدأ وحزناً ان علماء المسلمين ومشايخهم
والمالكين لأزمة أمورهم جعلوهم يستفيقون منذ زمان أنهم يكفهم من
أمور دينهم ان يشهدوا شهادة الحق ويصلوا ويصوموا ويؤدوا المناسك
والشعائر المحدودة المعينة .

ولا يضرهم في شيء ولا يمنعهم سبل النجاة ولا يسد في وجوههم
أبواب الجنة اذا اقترفوا بعد ذلك ماشاؤوا من المنكرات واتبعوا من
أرادوا من أئمة الكفر والضلال أو اختاروا ماشاؤوا وشاءت أهواؤهم

من الافكار والنظريات الزائفة . وقد بلغت بهم الوقاحة والجرأة على الدين ان رأوا الاتسام بسمه الاسلام يكفيهم مؤونة القيام بواجبات الشريعة الملقاة على كواهلهم ، حتى ان أئمة الضلال منهم في هذا العصر قد تقدموا خطوة أخرى وزعموا ان التسمي بأسماء المسلمين كاف لتدوين أسمائهم في سجل الاحصاء الرسمي وتبوؤ مناصب الحكم والامر في الحكومات المسلمة وغير المسلمة ، كأنهم هم الذين نقل عنهم القرآن : (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة) البقرة : ٨٠) ومن نتائج هذا الداء العضال المتمكن من أجساد المسلمين وأرواحهم ، أنك تراهم يدينون بالشيوعية والنازية والديمقراطية وأمثالها من النظريات المستحدثة المستوردة من الغرب ويتبعون معالم الظلمة الفجرة الذين يتكبرون في أرض الله بغير الحق ، سواء كانوا من ملوك المسلمين او غيرهم ، ولا يخرجون من ذلك ولا قلامة ظفر ، ولا يشعرون بأن هذه النظريات وتلك الآراء وهؤلاء الطغاة المتكبرين يناقض طريقها وطريقهم طريق الاسلام ، وان مسالك المعوجة والصراط المستقيم على طرفي نقيض .

فمن أهم مبادئ دعوتنا التي نطالب بها كل مسلم ان يكون حنيفاً مسالماً منقطعاً لله ، متجرداً من كل عصبية ، صارفاً وجهه عن كل فكرة معارضة لفكرة الحق وان يظل مثابراً على ذلك ، مواصلاً جهوده للانقطاع عن الطرق الموحجة والمناهج الزائفة التي ما أنزل الله بها من سلطان .

ج - الثالث

وإذا عرفت هذا ، فلا يخفى عليك ما نريد بالمطلب الثالث من مطالبنا الثلاثة الأساسية : -

« ودعوتنا لجميع أهل الأرض ان يحدثوا انقلاباً عاماً في أصول الحكم الحاضر الذي استبد به الطواغيت والفجرة الذين ملأوا الأرض فساداً ، وان تنتزع هذه الامامة الفكرية والعملية من أيديهم حتى يأخذها رجال يؤمنون بالله واليوم الآخر ويدرءون دين الحق ولا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً » فتلک نتيجة طبيعية لما أسلفنا من قبل من معاني العبودية السكاملة واخلاص الدين لله وكون الأنفس طاهرة من شوائب النفاق والاعمال بريئة من مظاهر التناقض ، كما لا يخفى على اللبيب المتفطن ان ذلك لا يتأتى الا باحداث انقلاب عام في نظام الحياة الحاضر الذي يدور قطبه حول رحى الكفر والالحاد والفسوق والعصيان ، والذي يديره ويدبر أمره ويسير دفة شؤونه رجال انحرفوا عن الله ورسوله واستكفوا عن عبادته واستكبروا وتكبروا في أرض الله بغير الحق .

فمادامت أزمة امور العالم بأيدي هؤلاء ومادامت العلوم والآداب والمعارف والصحف والتشريع والتنفيذ والشؤون الدولية والمالية والمسائل التجارية والصناعية تتحرك دواليها بحركتهم وتتمشي عجالاتها حسب اشارتهم وارشادهم فمادامت الامور كذلك لا يمكن لمسلم ان يعيش في الدنيا مسلماً ، متمسكاً بمبادئه ، متبعاً للشرعية الالهية منفذاً لقوانينها في حياته

العملية ، فانه من المستحيل ان يتبع الرجل الدين الالهي الكامل المحيط بجميع نواحي الحياة وشعبها ، وهو يعيش في بلاد تدين لقانون غير قانون الشريعة وتسير على منهاج ، غير المنهاج المرضي عند الله ، بل يتعذر عليه ان يتعهد تربية اولاده وتلقينهم مباديء الدين الالهي وتعاليمه وان ينشئهم على الاخلاق المرضية والآداب الاسلامية الزكية ، لأن نظام الكفر والاحاد الذي يعيش في كنفه يسد في وجهه سبيل التربية الاسلامية ، والبيئة الكفرة التي يتنسم هواءها ، تأبى عليه الا أن يجذو جذو القوم ويتخلق بأخلاقهم ويتخلى عن مقومات دينه وخلقه تدريجياً .

وزد على ذلك انه من واجب العبد المسلم المخلص لله دينه ان يطهر أرضه من أدناس الفساد والطغيان ويقيم فيها نظاماً معتدلاً على دعائم الصلاح والرشاد . ومن الظاهر البين أنه لا يتسنى الظفر بهذا المقصود ولا تنال هذه البغية السامية ، مادام زمام أمور العالم بيد الطغاة والمفسدين في الارض ، يديرونه كيفما يشاؤون ويتصرفون في شؤونه حسب ما يريدون .

وقد تحقق لنا بالتجربة في هذا الزمان ان المتكبرين في أرض الله بغير الحق والسادرين في غلوائهم بغياً وعدواناً ، هم العقبة الكبرى في سبيل اقامة نظم الصلاح والنصفة . وانهم هم الذين يحولون دون توطيد دعائم السلام والعدل ، وكذلك ثبت لنا باليقين والبرهان والمشاهدة انه لا أمل في صلاح العالم ولا رجاء في استقامة الامور على موازين الرشاد والحق ، مادام أرلئك الطغاة المنحرفون عن الله ورسوله يتصرفون في

شؤون الملك ويدرون اموره ويشرفون على جليلها وصغيرها . فمن مقتضيات اسلامنا وعبوديتنا الخالصة لله الواحد الاحد ان نجد ونجتهد ونبذل اقصى ما في استطاعتنا من الجهود المتواصلة والمسااعي المتتابعة للقضاء على زعامة أئمة الكفر والضلال واجتثاث النظم الباطلة من جذورها واحلال الامامة العادلة والنظام الحق محلها . وربما يسألني القاريء في هذا المقام فكيف السبيل الى الانقلاب في الزعامة والامامة ؟ فالظاهر ان هذا الانقلاب لا يحصل ويتأتى بمجرد الاماني والاحلام المعسولة . ومن سنن الله في أرضه أنها لا بد لها من رجال يسوسون امرها ويدرون شؤونها .

وهذا التدبير وتلك السياسة بحاجة الى صفات وخلق ، لا بد لكل من يريد ادارة شؤون العالم وتدبير امرها ، من ان يتصف ويتحلى بها . وكذلك من سنة الله في خلقه ان يفوض تدبير أمور الارض وتسيير دفة شؤونها الى من شاء من غير الصالحين والمؤمنين ، ان لم تكن في أرضه جماعة مؤمنة صالحة متصفة بتلك الصفات ومتخلقة بتلك السجايا اللازمة التي لا بد منها لكل من يتبوأ منصب الزعامة والامارة .

وأما اذا وجدت جماعة صالحة مؤمنة بالله ورسوله ، متحلية بتلك الأوصاف والاخلاق الجوهرية التي لا بد منها للقيام بالملك ولا مندوحة عنها في تسيير شؤون العالم - اذا وجد مثل هذه الجماعة التي لا تتحلى بتلك السجايا اللازمة فحسب ، بل تفوق فيها الطغاة المتكبرين الذين استبدوا بمناصب الامر والحكم ، فلا نرى المشيئة الربانية والسنن الالهية بمناوبة من حب الظلم والفساد أن تؤثر اولئك الجائزين المفسدين في الأرض وتدفع

أزمة أمور العالم تبقى في أيديهم الآتية الغاشمة يعشون بها كما يشاؤون ويتصرفون فيها كما يريدون وتريد أهواؤهم وشهواتهم . فلا تنحصر دعوتنا اذن في التمني والرجاء والابتغال الى الله ان يقطع دابر الجور والفساد في الارض ويفوض أمر دنياه الى المؤمنين الصالحين من عباده ، بل دعوتنا للعالم بأسره والبشر قاطبة أن يعني ويتم باعداد جماعة صالحة مؤمنة بالله ورسوله ، متمسكة بالاخلاق الزكية الفاضلة في جانب ، ومتصفة بالصفات والمزايا السامية ، متحلية بالسجايا والطباع التي لا بد منها لتدبير شؤون الدنيا وتنظيم أمور العالم في جانب آخر ، لانتصف هذه الجماعة الصالحة بتلك المزايا والطباع فحسب ، بل تعلو وتفوق أئمة الكفر والضلال وأعوانهم - الذين تراهم مستبدين بأزمة أمور الدنيا اليوم - في تلك المواهب واخلال المؤهلات اللازمة للاضلاع بأعباء الملك وتدبير شؤون العالم . هذه هي الدعوة الدينية الخالصة التي ظهرت من بين الحركتين المتطرفتين المنحرفتين عن جادة الحق : حركة القومية المسلحة وحركة الوطنية الهندية .

٣ - ظهور الدعوة :

ظهرت هذه الدعوة الدينية في السنين الأولى من العقد السادس من السنة الهجرية - أي في بدء العقد الرابع من السنة الميلادية - ، ظهرت بايدي ذي بدء باصدار مجلة (ترجمان القرآن) الشهرية التي عني باصدارها وتحريرها الاستاذ أبو الاعلى المودودي ، وهو في مقتبل الشباب لم يجاوز الثلاثين من عمره . أصدر المجلة لتحقيق هذه الغاية السامية وابرار فكرة

الاسلام الى ميدان العمل وعرضها على أنظار الناس واضحة محققة ، ولتنزيه العقول والأفكار من أدواء التقليد والجُمُود والجُمُول وتنقيتها من شوائب التفرنج والزندقة والاحاد .

وأول ماوجه همه اليه صاحب « ترجمان القرآن » في مقالاته وكتاباته هو تلقيح العقول وتنقيح الافكار وتغذيتها بالآراء الناضجة فظل مثابراً على ذلك بضع سنوات . مكباً على عمله يدرس ويكتب وينشر آراءه ويقرر نظرياته الى ان أثرت مساعيه وكادت تؤتي أكلها . وقد أحسن اذ جعل جل همه خلال هذه المدة منحصراً في دراسة

الاسلام من ينابيعه الصافية وافراغ تعاليمه السامية في قالب عصري يوافق أذواق أهل العصر وطبائعهم . وكذلك عني بوجه خاص لكشف النقاب عن عورات الزنادقة والملاحدة الذين أشربوا حب الغرب ونشأوا مولعين بتتبع معالمه . وأيضاً جرد قلمه السيل لتفنيد مزاعم منكري الحديث والدعاة الى الاقتصار على الكتاب العزيز والانحراف عن السنة النبوية . وكذلك ما فاته في كتاباته التنبيه على مزلق العلماء الجامدين والرد على ماتشبثوا به من الفروع وما تشاجروا فيه من مسائل لأصل لها في الشريعة .

وجملة القول أن بضع السنين الاولى من مجلة (ترجمان القرآن) كانت أعوام نشر الفكرة وبث مبادئ الدعوة ، كأن صاحبها مهد السيل بذلك وهياً الأسباب لما كان يريد من اقامة حركة دينية شاملة ، وكان مساعيه في تلك الاعوام كانت بمثابة نواة للحركة الاسلامية الخالصة التي

ظهرت بعد عشر سنين من ظهور مجلة (ترجمان القرآن) . وبينما كان صاحب مجلة (ترجمان القرآن) مشغلاً بنشر مبادئه وأفكاره ، مكباً على تدوين نظرياته وتبيين ما استخرجه من معين الكتاب والسنة من آداب للمجتمع وأصول للملك ومبادئ لنظم العمران والاقتصاد ، والناس يسكدون يلتفون حوله ، يتأثرون بكتاباته وينشبعون بأرائه وأفكاره - بينما كان الأمر على ذلك ، اذ انفجر بركان انقلاب خطير في السياسة الهندية عام ١٩٣٧ م / ١٣٥٦ هـ ، حينما انتقل جزء من الحكم في المقاطعات الى الأهالي وتبوأ الوطنيون مناصب الوزارة والامرة في سبع مقاطعات من مقاطعات الهند . قلت : « انفجر البركان » لأن انتقال الحكم الى الاهالي وتبوء ممثلهم وزعمائهم مناصب الحكم والامارة قد كان بمثابة انفجار البركان في الحقيقة ، لأنه قد انكشفت به عورات الهنادك الوطنيين وظهرت نياتهم الخبيثة وتجلي للعيان ما كانوا يضمرونه من سوء القصد بازاء المسلمين .

وقد تنبه لهذا البركان وما سيتبعه من انفجارات ووقائع داميات الاستاذ أبو الاعلى المودودي في حينه وأجمع أمره لايقاظ المسلمين من سباتهم وتنبههم من غفلتهم القاضية عليهم ووطد عزيمته على ارشادهم الى سلوك الطريق الأقوم الذي ينجيهم من وقائع الهلاك في هذه الدنيا وينظر وجوهم عند الله يوم القيامة .

فبدأ بسلسلة مقالات متتابعة في مجلته ، تكلم فيها عن ماضي المسلمين في هذه البلاد وحاضرهم وفصل القول في مافاتهم في الغابر من الدعوة الى الدين الحاصل والقيام بشهادة الحق وحذرهم سوء السياسيتين -

الوطنية والقومية في العاجل والآجل - قد جرى في كتابة هذه المقالات ثلاث سنين متوالية ، لا يلوى خلالها على شيء ولا يثنيه عن ذلك معارضة المخالفين ولا معاداة المعاندين . وذلك في ثلاثة أدوار :

ففي الدور الاول اقتصر على تنبيه المسلمين على مافاتهم من واجب الدعوة وشهادة الحق في الغابر وما جرت عليهم هذه الغفلة من وبال وشقاء ، واهتم ببيان الطريقة المثلى التي يجب عليهم سلوكها واتباعها في كل حال ؛ وكذلك حذرهم سوء العقابة والمصير السيء في الدنيا والآخرة ، إن آثروا المؤتمر الوطني الهندي وسياسته العوجاء .

وفي الدور الثاني حمل على المؤتمر الوطني الهندي وسياسته الوطنية الهندية ونظريات القومية الغربية والوطنية الهندكية المشتركة ، حمل عليها حملات منكرة شديدة كشف فيها عن فضائحها وأماط اللثام عن مزاعم الهنادك التي كانوا يخفونها وراء ستار من القومية والاستقلال ، وأردفها بمقالات بين فيها أخطاء نظرية القومية العنصرية او الوطنية الاقليمية . مزوداً بالحجج الساطعة والبراهين المقنعة . والذي ساعده على كل ذلك وجعل لكلمته قوة ونفوذا ، هو استقاؤه من الينبوعين القديم والجديد وتضلعه من الثقافتين الاسلامية والعصرية ودراسته الواسعة للفلسفة وعلوم الاقتصاد والقانون والسياسة العصرية فضلا عما أوتي من نظرة ثاقبة في معارف الكتاب والسنة وحنق في أسرار الشريعة وتفهم كامل لطبيعة الدين القويم .

ومن هنا يعرف السبب الذي منع الناس عن الرد عليه

وعلى أفكاره في هذا الشأن . وكأني بهم اعترفوا بصدق لهجته ونصوح حجته ووضوح منهجه في هذا الشأن والذي يشهد به الجميع من بين مباح لأفكاره وقادح في شأنها ان مقالاته هذه هي التي قصت ظهر فكرة الوطنية الهندية وأوصدت عليها جميع الابواب والمنافذ التي كانت تدخل الى قلوب الشبيبة المسلحة وأذهانهم ، ولولاها ، لما كان في وسع الرابطة المسلمة (Muopin Peagud) والقائمين بها ان يقاوموا حركة الوطنية الهندية ويجاذبوا بجبل . وبينما كان الاستاذ المودودي في الدور الثاني من كتابة هذه المقالات ، والمركة حام وطيسها بينه وبين الوطنيين المسلمين من المفتنين بالمؤتمر الوطني الهندي والمعجيين بدعوته ، اذ بدأت الرابطة المسلمة تنسكب الصراط السوي ودعوتها الى القومية المسلمة أو الاسلام الجغرافي - ترفع رأسها ، والقائمون بها يعربون عن آرائهم المريضة وأفكارهم الواهية من تتبع الغرب في الدستور ونظم الملك وتقليد الكمالين المتفرجين في الثقافة والآداب ، مما سبق لنا ذكره بشيء من التفصيل . ولما رأى الاستاذ المودودي نجوم قرن الاحاد والفوضى من هذه الناحية والسعي وراء هدم بنيان الدين باسم الدين وشاهد بأمر عينه هذا الخطر المحقق بالاسلام ، شمر ذيله للتنديد بالقومية العنصرية وانبوى لتفنيد مزاعم المتفرجين ودحض شبهات المفتنين بالكمالين ، فأندر بني جلدته ما يحاك لديهم من الدسائس من فوق منابر المسلمين وبصرهم بعواقب ما يدبر لهم من المؤامرات باسم الدين والملة . ومن هنا يبتديء الدور الثالث من تلك المقالات الرائنة التي أقامت البلاد وأقعدتها وأحدثت انقلابا فكريا

بين المسلمين . وفوق كل ذلك أَلْجأت رجالات المسلمين جميعاً الى التفكير في مصيرهم ومستقبل شؤونهم ، بل أرغمهم عليه ارغاماً .

ظهرت هذه السلسلة من المقالات في ثلاث سنين (١٣٥٦ - ١٣٥٩ هـ) وطُبعت ^(١) ووزعت عشرات الالوف من النسخ ، في طبعات عديدة متتابعة ، وكذلك أعادت الصحف السائرة اليومية والاسبوعية نشرها تباعاً في صفحاتها ، الى أنه لم يخل بيت من بيوت المسلمين يقرأ أهلها ويكتب الا وقد وصله شيء من تلك السلسلة .

٤ - تأسيس الجماعة :

فكان من نتيجة هذه المقالات والانقلاب الفكري الذي أوجده وبذرت بذوره في نفوس الشبان المتعلمين ان التف الناس حول الكاتب ولتشبعوا بفكرته وتحمسوا للدعوة اليها ، فجعلوا يرغبونه ويلحون عليه أن يتفرغ لهذه الدعوة وأن يقودهم الى منازل الجهاد والكفاح في سبيلها ، لكنه آثر أن يتريث في الامر ، فأهاب اولاً بالجمعيات المسلمة والمشرفين عليها أن يلبوا هذه الدعوة الخالصة ويتلقوها بالقبول ويصرخوا بوجوههم عن النظريات الباطلة ويضربوا بنعرات الاقليمية والعنصرية عرض الحائط وأن يبذلوا جهودهم ومساعدتهم لاقامة الدين واداء شهادة الحق . اهـاب هؤلاء وأولئك ودعاهم جميعاً الى التجرد عن العصبية واسلام وجوههم لله العزيز المقتر وارضاد قوامهم ومواهبهم كلها للقيام بدعوة الاسلام

(١) طبعت هذه المقالات في ثلاثة مجلدات مستقلة باسم « المهنون ومعضلات السياسة الحاضرة . [مسلمات اورحو جوده سياسي كشمكش] .

النفائس ، وانتشرت الدعوة في كل مكان يدعون الى عبودية الله ، حتى قامت قيامة المسلمين الجغرافيين وثار ثائر المشايخ القابعين في زواياهم وهاج هياج العلماء المقتنعين بالتدريس والتصنيف في مدارسهم وجامعاتهم وجعلوا ينادون بالويل والثبور ويشمتون بالقائمين بالدعوة والمستجيبين لندائهم ، فمنهم من يرميهم « بالخروج » ، بانهم لا يريدون الحاكمية الا لله الواحد ، وهذا في رأيهم مسلك الخوارج .

وأما الاسلام ، فهو حين لين بزعمهم ، لا يمنع أتباعه ان يخضعوا رؤوسهم للملوك والولاة والامراء . وقد بلغت ببعضهم الوقاحة أن احتجوا بسيدنا يوسف وتبوءه منصب الوزارة في مملكة كافرة . ومنهم من يعترف بصدق الدعوة ، الا انه يرى ان الزمان قد اذبر وتولى ، ولم يبق من الممكن ان يرجح رجوع عهد الراشدين ونظامهم مرة اخرى . ومنهم من جعل يندب حظ الشبان الخالصين الذين استقالوا من المحاماة في المحاكم الكافرة ووظائف الحكومة ومناصب العز والشرف في النظام الباطل ، استجابة لدعوة الله ورسوله ، ويبكي لسوء حالهم من الفقر والبؤس والشدّة ، حتى ان كثيراً من الآباء جعلوا يضيقون على أبنائهم الذين استجابوا لله ورسوله ودخلوا في الجماعة وطردوهم من بيوتهم ، حتى يتبرأوا من كلمة الحق ويفيئوا الى حياة الجاهلية والغفلة البقي كانوا فيها من قبل .

نجرت الحال على ذلك بضع سنين ، والدعوة تنمو صعوداً ، وأعضاؤها يفتنون في دينهم وعقائدهم والمنتمون اليها يؤذون ويتبلون

ويصابون بشتي الشدائد والآلام ؛ الا ان تلك الفتنة وهذه الشدائد والآلام رحمة من الله لهم ، صقلت مرآة قلوبهم وأذكت في نفوسهم جذوة من الايمان ، لا تحمد ولا تحبو بمثل هذه الفتن والاضطهادات ، شأن المسلمين الاول الذين كانوا يفتنون عن دينهم وعقائدهم ، فيتجلدون ويصبرون ويثبتون على الحق ثبات الجبال الراسيات .

وجملة القول ان الجماعة في السنين الاولى من حياتها عنيت بوجه خاص بنشر الدعوة وتعميم كلمتها في الديار الهندية وأداء الشهادة القولية على أتم طريق وحسنه ، وذلك في مختلف اللغات الهندية الرائجة في أقطارها المترامية الأطراف ، الا ان معظم كتبها ومؤلفاتها كانت باللغة الاردية ، لغة مسلمي الهند عامة . وكذلك اهتمت الجماعة اهتماماً بالغاً بأداء الشهادة العملية ، بأن يظهر اعضاؤها في اخلاقهم ومعاملاتهم وسائر اعمالهم بمظهر وضيء وقور يكون حجة ناطقة للاسلام على أهل هذا العصر ، بأنهم اذا شوهدوا في متاجرهم وسواقهم ارعوموا في معاملهم او امتحنوا في أنديةهم ومدارسهم ، يتجلى لمن يشاءدهم ويعاملهم ويستخفهم ان الدين الذي ينبغي ويكون مثل هؤلاء الرجال الصديقين في معاملاتهم ، الصالحين في شؤونهم ، لا بد ان يكون ديناً الهياً بانياً ، صالحاً للمجتمع والعمران في كل عصر . ومن أجل ذلك ، بالغت الجماعة في الاهتمام بتربية اعضائها وتنشئتهم على الآداب الاسلامية والاخلاق الفاضلة ، واختارت لذلك طرقاً ومناهج نافعة مثمرة . منها أنها أسست دارها (١) المركزية . أي

(١) كانت تلك الدار على مقربة من بلدة (بتهان كوث) في شرق بنجاب . وبين دار الاسلام والبلدة أربعة أميال ، وبين لاهور ودار الاسلام نحو مائة ميل ، وقد ضاعت في ماضع من أملاك المسلمين وضياعهم وخزائهم ومعاهدمهم في كارثة التقسيم .

مرکزها العام - في مكان بعيد عن العمران وضوضاء المدينة وعمرت هنالك قرية صغيرة مستقلة منفصلة عن القرى المجاورة بأميال ، مأهولة بأعضاء الجماعة والعاملين في ادارتها ، القائمين بشؤونها . ولقد أحسنت إذ سميت دارها المركزية او القرية التي وضعت خططها وعمرتها « دار الاسلام » .

فكان يؤمها بالتناوب اعضاء^(١) الجمعية وأنصارها والمتأثرون بدعوتها من كل ناحية وصوب يقضون فيها مدة من الزمن ، يتلقون دروس العلم والعمل من أمير الجماعة وزملائه ويتدربون على طرق الدعوة والارشاد ، حتى اذا رجعوا الى أوطانهم ، رجعوا مزودين بأسلحة العلم والتقوى ، مشبعين بروح الفكر والعلم ، متحمسين للدعوة والجهاد في سبيلها .

هكذا ظلت الجماعة سالكة خطتها التي اختارتها لنفسها ، مشابهة

(١) مما تحسن الإشارة اليه في هذا المقام ان المنتمين الى هذه الجماعة على ثلاثة أقسام ، حسب ما ينص عليه دستورها : - ١ - الاعضاء الخصوصيون (أركان) ، وهم الصفوة المختارة من دعاة الجماعة وعاملها ، ممن تعتمد عليهم وترجع اليهم . وهم هم الذين أسلموا أنفسهم لله من غير قيد ولا شرط . ٢ - الانصار (ممدود) اي الذين يعطفون على الدعوة وينصرونها بأموالهم وأنفسهم ويعملون لها حسب وسعهم ، الا أنهم ما وهبوا أنفسهم لله الجماعة ولا وقفوها لخدمة الدين ودعوته ٣ - المتأثرون بالدعوة (متفق) والمراد بهم الذين يوافقون الجماعة على دعوتها ومناهج عملها ، وربما يجودون لها بشئ من المال أو يقولون فيها كلمة حق في بعض الاحايين ، الا أنهم لا يقدرّون ان يتحملوا الشدائد التي تلحقهم بمجرد الجهر بالدعوة وقبولها .

عليها ، مواصلة الجهود بتؤدة ووقار ، لا يردعها عنها رادع ، ولا تخاف في الحق لومة لائم ، الى ان جاءت كارثة تقسيم البلاد ووقعت المجزرة الهائلة في شرقي بنجاب ، التي كان فيها مركز الجماعة . فابتلي الاعضاء بلاء شديداً وحوصروا في دارهم من كل جهة والتجأ اليهم المسلمون من سائر تلك الانحاء ، لكنهم وقفوا موقف المجاهدين الصادقين ، لم يتضععوا ولم يتزحزحوا قيد شبرة من مساكنهم ، الى ان قيص الله لهم الفرض ووصلوا لامور بسلام آمنين . وذلك بفضل من الله وتوفيق من عنده .

هذه هي مجمل تاريخ الجماعة الاسلامية - القائمة بدعوة الاسلام الحاصلة الكاملة الشاملة - من لدن تأسيسها - شعبان سنة ١٣٦٠ هـ - الى يوم التقسيم ، ٢٧ رمضان ١٣٦٦ هـ / ٥ أغسطس ١٩٤٧ .

ولولا ضيق نطاق المقام وعدم اتساع الكتاب لتفاصيل الباب ، لفصلنا فيه القول ولأتبينا من تاريخ هذه الجماعة واعمالها ومواقف رجالها بما يقر عينك ويثلج فؤادك . وسيكون لنا عودة الى الموضوع في رسالة أخرى مستقلة ان شاء الله تعالى .

نعم ! قد بقي لنا ان نشير الى مساعي الجماعة في نشر دعوتها باللغات الأخرى غير الهندية . فانها ، وان كانت دعوتها أولاً وبآديء ذي بدء موجهة الى القاطنين في هذه القطعة - الهند - من المعبورة الأرضية الا انها دعوة عالمية الى دين عالمي لا يفرق بين الاقطار والاجناس ، كما لا يخفى على أحد . فرأى القائمون بها ان يخصوا شيئاً من جهودهم لنشر دعوتهم باللغتين العالميتين : العربية والانكليزية ونقل كتبهم ومنشوراتهم

المؤلفة بالأردنية اليها ، كما ينقلونها الى سائر اللغات الهندية ، غير الاردنية .
ولما كانت للعربية مكانة ممتازة من بين لغات العالم ، وكان لها منزلة سامية
من قلوب المسلمين ومحل الصدارة من لغاتهم ، جعلوا لها فرعاً خاصاً يعني
بنشر الدعوة وكتبها فيها ، وأسموه (دار العروبة ^(١)) للدعوة الاسلامية) .
وهاهي منشوراتها جعلت ترسل الى البلدان العربية وتتلقى بالقبول والثناء
في كل مكان .

(١) قد رأى بعض الاصدقاء ان كلمة العروبة تدل على النزوع الى القومية العربية
العنصرية ، فلا يجوز ادخالها في تسمية القسم العربي من فروع الجماعة ، لان ذلك
مناقض للدعوة ومبادئها بتلاتاً . لكن الذين آثروا هذه التسمية ، انما ارادوا « بالعروبة »
ما جاء في المعاجم العربية من معنى هذه الكلمة ، لا غير . مثال ذلك ماورد في المصباح
المثير للفيومي تحت مادة (ء رب) : « عرب بالضم اذا لم يلحن ، وعرب لسانه اذا
كان عربياً فصيحاً » .

القسم وما تبعه من الكتاب الفصل الحادي عشر

من عرجاء لا وهو استقلال البلاد ونحوها إلى ملكين مستقلين :
بندرشان [اندام] وباكستان . لكن هذا الاستقلال ما حصل بهدوء
وسلام كما كان يتصور كثير من الناس ويعلمون القسمة بذلك وإنما حصل
الاستقلال ونزع السلطان بالحكومة الذاتية في جزء صغير من شبه القارة
الهندية بعد كارثة عظيمة وعجزت عنها جميع عليها تاريخ البشرية ، حتى
ولا في أشنع ادوارها وأبشع أسوأها صفة ومحنة . النتيجة هي
مذبحة ، قتل نيا زها ، حياطة الف تبة من أبناء الإسلام ، عن بين
رجل وأمرأة وشيخ وعجز ، من بين مذابح وطقل وجميع ، أما الأعراض
التي انتهكت حرمانها والخراسن اللاني بقرنة بطون والفتيات اللاني
استطعن من احضان آباءهن وامهاتهن ، فلا يعلم عددهن إلا الله . فطابع
مراجعة بحرة تقتل الأكراد وتزني الأجناس ، وشائع بحرية مؤلة بتدني
لما يحسن المروءة ويحرم قدا وبه الأمانة شجلا وعباداً . إلا أنها وقعت
بركن هذا وتسمع في بورت أمام الحقيقة ، كأنها ضائعة من الله انقضت على

بعد الانقلاب

رفضان ١٣٦٦ هـ - آب ١٩٤٧ م

١ - التقسيم وما تبعه من النكبات :

قد وصلنا في تاريخ دعوة الاسلام في البلاد الهندية الى نقطة مهمة من تاريخنا ، ألا وهو استقلال البلاد وتحولها الى مملكتين مستقلتين : بندر شيان [انديا] وباكستان . لكن هذا الاستقلال ما حصل بهدوء وسلام كما كان يتمنى كثير من الناس ويعلمون انفسهم بذلك وانما حصل الاستقلال وتمتع المسلمون بالحكومة الذاتية في جزء صغير من شبه القارة الهندية بعد كارثة فظيعة ومجزرة هائلة لم يسمع بمثلها تاريخ البشرية ، حتى ولا في أشنع ادوارها واعرقها في الجهل واشدها ظلمة وهمجية . مذبحة ، اي مذبحة ، قتل فيها زهاء خمسمائة الف نسمة من ابناء الاسلام ، من بين رجل وامرأة وشيخ وعجوز مريض ومدنف وطفل رضيع . اما الاعراض التي انتهكت حرمانها والحوامل اللائي بقرت بطونهن والفتيات اللاتي اختطفن من احضان آبائهن وامهاتهن ، فلا يعلم عددهن إلا الله . فظائع^(١) موجعة محزنة تفتتت الاكباد وتمزق الاحشاء ، وشنائع مخزية مؤلمة يندى لها جبين المروءة ويحمر لها وجه الانسانية خجلا وعياء . الا انها وقعت بمرأى منا ومسمع ، ومرت امام اعيننا ، كأنها صاعقة من الله انقضت على

(١) قد كتب كاتب هذه السطور عدة مقالات عن تلك المذابح يومئذ ، نشرت في جريدة « الاخوان المسلمين » (القاهرة) وجريدة « السجل » (بغداد) وغيرها من الجرائد المعروفة .

رؤوس عبيده الظالمين المذنبين المعننين في غيهم .

جاءت هذه الكارثة على حين غفلة من جمهور المسلمين وانكأهم على زعمائهم وقواد سياستهم . اما زعمائهم . أعضاء الرابطة المسلمة الذين تولوا زمام الأمر في المملكة الجديدة فقد ألهتهم عن التفكير في مصير شعبهم واتباعهم الحفلات والمهرجانات التي كانت تقام وتعد في العاصمة - كراتشي - فرحا بالاستقلال وسرورا بتسليم مقاليد الحكم . فقد كان القوم منغمسين في تعاطي كؤوس الخمر والتسابق الى دور الملاهي ، حينما كانت الحرمات تنهك في مدن (شرقي بنجاب) وقرأها والمساجد تهدم والمصاحف تحرق وتداس بالاقدام ، وجموع محتشدة من اللاجئين الى باكستان ينزل عليهم في طريفهم من أنواع الآلام والشدائد ما تقشعر لهوله الأبدان .

بدأت هذه المذابيح والحمازي تقترف قبل التقسيم بشهر ، والقوم غافلون ، قد أسكرتهم خمرة الحكم وأخذتهم نشوة الامارة من قبل ان يتسلموا مقاليد الأمر فعلاً ، فغفلوا عن واجبهم وسهوا عما كان عليه من التنبه للخطر واليقظ لما كان يبيته أعداؤهم من المؤامرات الشيعة وما يحكيكون لأبناء الاسلام من الدسائس الحبيثة وجروا على ذلك مدة غير قليلة لا يلتفتون الا الى ما يهمهم في أنفسهم وقضاء مآربهم وأهوائهم الذاتية .

اما الامة فقد ذاقت وبال غفلتهم وعلمت اليقين ان الذين جعلوهم أئمة لهم وقواداً وفوضوا اليهم جميع أمورهم وشؤون سياستهم ، ما كانوا

بأهل لذلك ، وانما كان جل همهم في طلب المناصب والتطلع الى دواوين
 الحكم والتمسك على حطام الدنيا الدنيئة . ولما وجد أولئك سؤلهم في
 الوزارات ومناصب الدولة وأدركوا ما كانوا يجدون ويجهدون لأجله ،
 غفلوا عن الامة وما تحتاج اليه من معونة وذهلوا عما كانوا وعدوها به من
 الوعود الكاذبة وما منوهاً به من الآمال الخلوّة والأمانى المعسولة .
 وجملة القول ان الامة سرعان ما أدركت أنها كانت مخطئة في الوثوق بهم
 والركون اليهم في تدبير أمورهم وشؤون سياستهم ، ولكن قد سبق
 السيف العدل ولات حين هندم . فما الحيلة إذن ؟ هذا ما كانت في
 باكستان ، بلادنا التي نقطنها ونتمنى ان تكون في طليعة من يحمل بيدها
 لواء الدعوة الاسلامية من بين سائر الشعوب الاسلامية . اما هندستان ،
 فلا تسل عن سوء حال المسلمين فيها وتعرضهم للأخطار ومصائبهم في دينهم
 وعلومهم ومدارسهم وآدابهم . ومثلهم كمثل الأيتام على مأذبة اللئام ،
 لا يشفق عليهم ولا يواسيهم أحد . اما الذين كان زعماءهم والمسيطرين على
 شؤونهم الجليلة والحقيرة ، فقد هربوا منها خوفاً على حـالهم ونفوذهم
 والتجأوا الى باكستان ليمتعوا هنالك بمناصب الحكم وينعموا بمقاعد في
 المجالس التشريعية او يخطبوا باحدى السفارات في العواصم الاوروبية .
 وقد بلغ بهم الجبن وخور العزيمة ان رئيس الرابطة المسلمة - التشودري
 خليق الزمان - أيضاً لم يتجرأ على الإقامة بالبلاد الهندية ومجاورة الأخطاء
 ومقاساة الشدائد مع أتباعه هنالك ، فقد تنصل منها بعد التقسيم بعد قليل
 وأصبح يحول في كراتشي ويصول ، تاركاً أتباعه وزملاءه ومن اتخذوه

زعيماً لهم ، عرضة للأخطار وغرضاً لسهام الهنادك وطعناتهم .
وايم الحق ، انه لولا فرار زعماء الرابطة من الهند وتركهم جبل
الامة على غاربها وحرصهم على أغراضهم الذاتية ومنافعهم الشخصية ،
لما آلت حال المسلمين في الهند الى ما آلت اليه بعد فرار زعمائهم وتسلمهم
الى باكستان . فان الامة التي كانت تحارب الهنادك وتقاومهم منذ عشر
سنوات بزعامه هؤلاء القوم وتحت لوائهم قد وجدت نفسها في اطرفة عين
تحت نير الهنادك ، كقطيع من الغنم لاراعي لها ، يعبت بها الذئب الوثنى
كيفما يشاء . وما ظنك بشعبه وآلامه ، حينئذ لا تجد في مثل تلك الاحوال
الخطرة من ينصح لهم ويرشدهم الى مواطن الغر ويبصرهم بمواقف الحركة
والدفاع في هذه الأحوال المتبدلة .

٢ - الجماعة الاسلامية ودعوتها بعد التقسيم - هندستان

وقد عرفت ما صار اليه حال المسلمين في الهند من الاضمحلال
وتشتت البال وفتور العزائم ، وكان من بين زعماء الرابطة المسلمة الذين
كان بيدهم زمام أمر المسلمين الى ما قبل التقسيم فلما هرب اولئك القوم
الى باكستان جنباً وعلعاً ، تاركين أتباعهم يقتلون ويتبلون ويشردون في
الآفاق ، قامت الجماعة الاسلامية بواجبها وأمرت أعضائها من سكان
هندستان المقيمين فيها ان لا يترشح أحد منهم عن مكانه ويواجه الاخطار
والشدائد مهما كانت قاسية ويلهم بني قومه الصبر ويلقنهم الثبات ويواسيهم
في الحزن ويبصرهم بعواقب الماضي وأخطار المستقبل حتى يكونوا على بينة
من أمرهم ويتمكنوا من وضع منهاج للعمل في أحوال الهند

وهذه هي ثلاث سنين ونيف لاتزال الجماعة الاسلامية في هندستان قائمة على مبدئها ، ثابتة على خطتها ، تدعو الناس على اختلاف أديانهم ومشاربهم الى عبادة الله وإقامة نظام الحق ، شأن المجاهدين الصادقين الذين يقومون بواجباتهم في كل حال ولا يكتثرون للاخطار والاضطهادات ، مهما كانت شديدة وقاسية . ومنهاجهم في كل ذلك ، هو منهاج النبي ﷺ في حياته الملكية ، يتبعون معاله الكريمة - ﷺ - ويجتهدون في اتباع طريقة الاقوام وسلوك سنته السوية المستقيمة في دعوته للناس . ولا جرم ان الطريق أمام اخواننا في هندستان وعمر ، صعب المسالك ، محفوف بالاخطار ، الا ان الله الذي وفقهم للقيام بهذه الدعوة الكريمة في مثل هذه الاحوال الشاذة في مثل تلك البلاد الجافية ، سيوفهم الثبات على المبدء والاستقامة على الطريقة ويقوم شرور الاعداء ونواب الدهر الغشوم .

وكذلك يجمل بنا ان نذكر في هذا المقام ان الجماعة الاسلامية القائمة بدعوة الاسلام في البلاد ، قد انقسمت على قسمين ، قسم استقل بأمره في هندستان ، والتف حوله اعضاء الجماعة من سكان تلك البلاد القاطنين فيها وقت التقسيم ؛ وقد قاموا بالامر - ولا زالوا قائمين - خير قيام وأمسوا مركزهم العام في مدينة (رام پور) من مقاطعة الايالات المتحدة ، وانتخبوا الأستاذ أبا الليث النووي الاصلاحى لهم أميراً . والأستاذ أبو الليث ممن لهم نظرة ثابتة في معارف القرآن واطلاع واسع

على مقتضيات العصر ، وهو بعد كل ذلك من العاملين المخلصين الذين قلما يوجد لهم نظير في مثل هذا الزمان الخالك المظلم . وللجماعة في هندستان صحف ومجلات في مختلف لغاتها .

وكذلك بما لا بد من التنبيه عليه في هذا المقام ان الجماعة الاسلامية في الهند مستقلة بذاتها ، لاعلاقة لها بأختها في باكستان . اما العقيدة والمنهاج ، فالمسلمون العاملون ، المتحدون في العقيدة القاموس بالدعوة كلهم اخوان متحابون في ما بينهم ، سواء اكانوا في مصر او باكستان او اندونيسيا او الهند .

هذه فذلكة ما قامت به الجماعة الاسلامية في هندستان ، ولا تزال قائمة به . واما البسط في الموضوع والاطاحة بتفاصيله فلة موضع آخر . فعودوا الى الحديث عن باكستان وسير الدعوة فيها بعد التقسيم والاستقلال .

٣ - بعد الانقلاب في باكستان

عودا الى الحديث السابق ، قد عرفت في ما تقدم ما كان عليه منهاج الجماعة الاسلامية في دعوتها وبرناميج اعمالها قبل التقسيم وما آل اليه الامر في هندستان (Jmoia) بعد ذلك . اما باكستان ، مقر الجماعة الاسلامية ومركزها ، فقد بقي لنا ان نشير بكلمة مؤخرة الى اعمال الجماعة وسير الدعوة فيها بعد التقسيم . وهانحن نشرع في المقصود ، متوخين الايجاز حسب الطاقة ، مستمدين المعونة والتوفيق من الله تعالى . لعل القاريء العربي يعرف ان حركة باكستان والمطالبة باستقلال

هذا الجزء من الهند انما قامت باسم الاسلام ، والذين بذلوا مهجتهم وأرواحهم وضجوا بنفوسهم ونفائسهم من جمهرة المسلمين في هذا السبيل انما بذلوا رجاء ان تعالوا كلمة الاسلام ويكون الامر والسلطان للقانون الالهي .

وذلك ان زعماء الرابطة المسلمة الذين كان بيدهم زعامة البلاد ، كانوا ينادون في كل ناد ومجلس ويجاهرون في كل حفلة ويحتج ، أنهم لا يريدون بهذه الحركة والمطالبة بالاستقلال وتقسيم البلاد ، الا ان يؤسسوا بملكية اسلامية ، مستندة الى الشريعة الالهية مستمدة من قوانينها ومناهجها من معين الكتاب والسنة . لكنه لما تبوأوا مناصب الحكم في المملكة الجديدة واستقلوا بالامر في هذه القطعة من البلاد ، تنكروا للدين الخفيف وجعلوا يحتالون ويمكرون واخذوا يماطلون ويراوغون وكلما قيل لهم في ذلك ، قالوا : « هاهي ملكة حديثة ، لا تقبلوها في مهدها بالمجاهرة باسلاميتها ، فان هذه الكلمة - الاسلام - تجعل من الجيران أعداء ومن أمم العالم القوية خصوماً ألداء . وكلما أردنا ان نفهمهم ان هذه الظنون والاههام تنم على مرض في صدور قائلها وضعف في عقائدهم وعدم تثبتهم من الايمان بالله ورسوله . لو اوارؤوسهم وأصروا على مزاعمهم الباطلة واستكبروا استكباراً . أما الشريعة الاسلامية السمجة التي يظنون بها الظنون ويستحيون من الانتساب اليها والدعوة الى الاستمساك بها ، فلعمري الحق انها لو عمل بها وسيوت الامور وفق مطالبها ومقتضياتها ، لدانت رقاب الجبابرة لجلالة شأنها وغنت الوجوه المتكبرة

الوضوح حجتها ونصوح مناهجها وأرضاعها . لكن الاسلام غريب في أهله ،
 حائر بين متبعيه الذين يقسمون باسمه ويتسمون بسمته ثم يتنكرون له
 ويخالفون عن أمره ويتربصون به الدوائر وجملة القول ان بضعة أشهر من
 حكم أولئك القوم وما ظهر من سيئات أعمالهم من تشجيع للخلاعة وترويج
 لحفلات الخمر والدعارة وغيرها من الموبقات المهلكات وما بدأ من
 تناقض شنيع بين أقوالهم وأعمالهم ومالاح من نياتهم ، جعلتنا والاغلبية
 الغالية من الامة على يقين من ان القوم لا يريدون بالدين الا شراً ، وأنهم
 عازمون على وضع دستور مقتبس من دساتير انكلترا وامريكا ، الا انهم
 لا يتجرأون على ابداء ما في انفسهم ، خوفاً من الرأي العام وحذرا من
 غضبة الشعب المؤمن القوي الذي لم يلب دعوة الاستقلال ولم يخص غمار
 الجهاد ولم يضح بما قدر له ان يضحى به من ذات يده وذات نفسه ، الا
 حبا في ارتفاع كلمة الاسلام وشوقاً الى قطعه من الارض يرفرف عليها
 لواء الحكم الاسلامي العادل .

فلما كان الامر كذلك وتبين الصبح لذي عينين واستيقنت الامة
 ان القوم هازلون ، لا يهمهم امر الدين في قليل ولا كثير . وانهم
 غارقون في بحار اهوائهم وشهواتهم ، وانهم ان تركوا شأنهم ، افسدوا
 الامر وقلبوه رأساً على عقب ، تقدمت الجماعة الاسلامية الى ميدان العمل
 بخطوات جريئة حاسمة ، اقامت البلاد واقعدتها وأرغمت القائمين بالامر أن
 يقرروا في المجلس التأسيسي القرار المعروف « بقرار المبارى » .
 (Oareotine Reaodutiau) الذي يبين وضعية المملكة الجديدة وعناية

تأسيسها ونجحت على المجلس التأسيسي ان يضع دستوراً للمملكة مستنداً الى الشريعة الاسلامية ، مستنداً قوانينه من بنابيع الكتاب والسنة .

وفوق ذلك يعلن بصوت جهوري أن المملكة امانة من الله العلي المقدر وأن الحاكمية في الارض مختصة بالله تعالى شأنه وان الدستور الجديد لا يخرج عن الحدود التي حددها الله لعباده ، الى آخر ما جاء في ذلك القرار التاريخي — والظاهر ان ذلك لم يحصل في يوم واحد ولا بدون كفاح وصراع ودونك بيان ذلك الكفاح بإيجاز :

نالت البلاد الاستقلال في شهر رمضان ١٣٦٦ / اغسطس ١٩٤٧ ، كما تقدم ، فكان من أول ما اشتغلت به الجماعة الاسلامية واهتمت به اهتماماً عظيماً ، هو مساعدة اللاجئين المنكوبين الذين الجأهم المجازر المتواصلة والمذابح المتتابعة في هندستان الى اختراق حدود باكستان والاحتواء بحماها والانضواء تحت كنفها ، والامر قد اشتهر امره وعرف خبره بما لا حاجة الى اعادته في هذا المقام . وخلاصة القول ان قضية اللاجئين ومساعدتهم وتعهدهم بآبائهم والاشراف على أمورهم والسهر على مصالحهم المتنوعة المتشعبة ، كانت شغل الجماعة الشاغل في بضعة الشهور الأولى من عهد الاستقلال ، أبليت الجماعة خلالها بلاء حسناً ، وقد ظهر فيها أعضاء الجماعة وانصارها بمظهر من الخلق والنيات في العمل وتحمل الشدائد والصبر على المكاره والامانة والعفة ما أنطق أعدى اعدائهم بالثناء عليهم والشهادة لهم بالسبق في هذا المضمار ، حتى ان كثيراً من عمال الحكومة وكبار موظفيها اعترفوا بأنه لولا هذه الجماعة ومساعدتها العملية المتواصلة ، لما

امكن لهم أن يؤدوا واجبه في بعض المواقف المحرجة .

٤ - المطالبة باقامة نظام الاسلام :

وبعد ما خفت وطأة اللاجئين المحتجين بمملكة باكستان وخارجت الجماعة الاسلامية من المعمة ظافرة مرفوعة الرأس ، وعضاؤها وانصارها الذين خاضوا غمراتها . مزودين بالتجارب العملية والدروس النافعة والعظات البالغة في خدمة المنكوبين والجرحى والمضطهدين ، دخلت الجماعة الاسلامية في ميدانها العملي الحقيقي وشرعت في حركة عامة شاملة للمطالبة باقامة نظام الاسلام ووضع الدستور للملكة الجديدة على قواعد الكتاب والسنة وذلك بأنهم أولا رتبوا مطالبهم بهذا الشأن ثم نشروها في طول البلاد وعرضها وعمومها بالصحف والنشرات والحفلات والخطب في المساجد وبكل وسيلة أمكنتهم .

وكذلك طبعوا تلك المطالب على اللافتات والظروف والبطاقات حتى أنه ارتجت البلاد بأصوات تلك المطالب وجعلت تقرر أبواب الملك في كراتشي وتنبههم من غفلتهم . وكذلك قرروا قرارا بذلك في مئات الالوف من الحفلات في جميع نواحي القطر .

ثم قدموا محاضر شعبية الى اعتبار الحكومة ، موقعة عليها من جميع طبقات الامة ، فكان من نتيجة هذا وذلك أن القائمين بالامر اضطروا ان يعيروا المسألة اهتمامهم ويتشاوروا في ما بينهم في بابها ، حتى يجدوا منفذا يخرجون به من المأزق الذي وقعوا فيه بوعودهم الكاذبة التي وعدوا الامة بها قبل الاستقلال .

أما المطالب التي تقدمت بها الجماعة الاسلامية الى الحكومة ووافقتهم عليها الامة جميعاً ، والتي كانت الاساس الذي قامت عليه حركة المطالبة بإقامة نظام الاسلام ووضع الدستور الاسلامي على قواعد الكتاب والسنة فدونكها بنصها بعد التعريب :

ولما كانت الاغلبية العظمى من سكان باكستان تؤمن بمبادئ الاسلام وان المسلمين ما قاموا بما قاموا به من تضحيات وجهود بالغة الا ليتسنى لهم تسيير شؤون حياتهم وفق تلك المبادئ السامية ، فالآن بعدما تم تأسيس باكستان ، يطالب كل مسلم باكستاني ، المجلس التأسيسي بأن يعلن : -

(١) ان الحاكمية في باكستان مختصة لله العلي الاحد ، وما لحكومة باكستان من الامر من شيء ، غير أن تتبع وتتجز مرصاة مالها في أرضه .

(٢) وأن الشريعة الاسلامية هو القانون الاساسي لباكستان .

(٣) وأن القوانين النافذة في البلاد ، ما يعارض منها الشريعة الاسلامية يلغى ويبطل وانه لا ينفذ بعد ذلك قانون يخالف الشريعة .
وأن حكومة باكستان لا تتصرف في الامر الا ضمن الحدود التي رسمتها الشريعة .

هذه هي المطالب الاربعة التي أقامت البلاد وأقعدتها حينها من الزمن ونهت النائين من نوم الغفلة وبصرت الامة بما ينبغي لها أن تتمسك به وتعض عليه بالنواجذ وتطالب الحكومة بقبوله .

اما القائمون بالأمر والمتبوؤون مناصب السلطة والوزارات في كراتشي ، فهم أيضاً افاقوا من سكرتهم وجعلوا يتوبون الى رشدهم ، لأن هذه الحركة الشعبية القوية اقضت عليهم مضاجعهم وارغمتهم على التفكير في الامر ارغاماً كما تقدم . لكنهم ما كانوا ليتعظوا بسهولة ويتبعوا الطريقة المثلى عن طيب قلب ، فعادوا الى طرق الاضطهاد والتضييق وكم الافواه وتعطيل الصحف ومصادرة النشرات . وكان من اول امرهم في هذا الباب ان اسروا الاستاذ ابا الاعلى المودودي امير الجماعة الاسلامية ، والاستاذ أمين احسن الاصلاحى ، من فحول علماء البلاد وكبار اعضاء الجماعة والسيد طفيل محمد ، سكرتير الجماعة الاسلامية وجسوم في المعتقل من غير جريرة ومحاكمة . وذلك في رابع اكتوبر سنة ١٩٤٨ . ثم حبسوا كثيراً من اعضاء الجماعة في مقاطعتي الحدود الغربية الشمالية وبنجاب الغربية لما في صدورهم من نار الاحن والعداء للدعوة الاسلامية والقائمين بها . وكذلك سلطوا رقابة شديدة على البريد ، وجعل رجال البوليس السري يرافقون اعضاء الجماعة في حلهم وترحالهم ، لا يفارقونهم أبداً - الى غير ذلك من الشناعات التي لا يتسع المجال لذكرها . لكن هذه الاضطهادات ما كانت لتفت في اعضاء القائمين بالدعوة او يقلل من نشاطهم او تحمسهم للعمل ، بل الامر انها مازادت الحركة الانشيطاً ونفوذاً ومازادت العاملين من اعضاء الجماعة الاسلامية وانصارها الا مضياً في العمل واستمساكاً بالمبدأ ورسوخاً في العقيدة .

وقد ظهرت نتيجة ذلك بعد ستة أشهر - وامير الجماعة وزملاؤه

محبوسون في السجن بأن المستبدين بزمام الامر والمتبوتين عروش الحكم
أذعنوا لمطالب الامة وقبلوها بعد شيء من التغيير والتبديل وعرضوها على
المجلس التأسيسي ، بعدما صاغوها في شكل قرار جامع ، معلنين بذلك
اعتزامهم واعتزام الامة جميعاً على وضع الدستور الجديد وفق مبادئ
الكتاب والسنة ومقتضيات الشريعة الاسلامية . وهاك نص ذلك القرار
التاريخي الذي امضاه المجلس التأسيسي وصادق عليه باتفاق من اعضاءه
في الثاني عشر من مارس ١٩٤٩/١٤ ، جمادي الاولى ١٣٦٨ ، والذي
يعرف بقرار المبادئ (Objectives Resolution) ، لما اشتمل عليه من
بيان الاسس والمبادئ التي حتم على المجلس التأسيسي بموجب هذا القرار
ان لا يخرج عن دائرتها في وضع الدستور وشرح فصوله وأبوابه :

« ولما كان الامر والحكم في هذا الكون لله وحده ، وكانت السلطة
التي منحها الله لمملكة باكستان بواسطة شعبها ، وديعة مقدسة ، لتزاولها
ضمن الحدود التي رسمها الله » ، « يقرر هذا المجلس التأسيسي بصفته ممثلاً
للشعب الباكستاني ان يضع لمملكة باكستان المستقلة ذات السيادة الكاملة :
(آ) دستوراً تمارس به المملكة وظيفتها وتتمتع بالسلطات المخولة
لها بواسطة نواب الشعب المنتخبين .

(ب) دستوراً يكون العمل به وفق مبادئ الديمقراطية الكاملة
والحرية والمساواة والتسامح والعدالة الاجتماعية ، كما جاءت في تعاليم
الاسلام .

(ج) دستوراً يؤهل فيه المسلمون لتنظيم حياتهم الفردية والجماعية

حسب تعاليم الاسلام ومقتضياته التي وردت في الكتاب والسنة الخ .
هذا هو الجزء (١) الذي يهنا من هذا القرار التاريخي في هذا المقام
فأنت ترى ان أمضاء المجاس لهذا القرار كان نجاحاً ملموساً وظفراً مبنياً
للشعب المسلم المؤمن الذي أبى إلا الاستمسك بدينه والاصرار على
المطالبة بحقه الذي هو حق الله على عباده بتنفيذ القانون الالهي في أرضه .

٥ - المطالبة باستبدال القيادة

لقد صدق من قال « ان الامة الى خير ولكن الضعف في القيادة
وهذه هي حال المسلمين في جميع الاقطار المأهولة بهم . وكذلك باكستان
فانها ايضاً كأخواتها من بلاد المسلمين مأهولة بأمة مسلمة مؤمنة قوية في
في ايمانها ، الا أنها ابتليت بشرذمة من الناس استبدوا بالزعامة في العهد
البريطاني ممن تخرجوا على ايدي اساتيدهم الانكليز وتشأوا على خصالهم
فلا يهمهم أمر الدين في قليل ولا كثير . وانما جل هم اولئك القوم في ارتياد
دور الملاهي وتشجيع التبرج والحلاعة والقضاء على آداب الاسلام وتعميم
أخلاق الافرنج ونشر « مكارمهم » التي آمنوا بها واشربت حبها قلوبهم

(١) هذا هو الجزء الذي يصرح باسلامية الدستور ويحث على المجلس التأسيسي أن لا يخرج
في وضع الدستور وتدوين اصوله وفروعه عن قواعد الشريعة الاسلامية . اما ما يليه
من اجزاء هذا القرار ، فذلك يبين موقف الدستور بازاء الاقليات غير المسلمة ويشرح
وضعية الادارة والقضاء والحقوق العامة وغيرها من المطالب التي لابد من ذكرها في
مقدمة (Preamble) الدستور ليتبدي بها الواضون والشارحون
ويستنبوا بضوئها .

وذلك كله ليخلو لهم الجو ، يفعلون ما يشاءون ، لا ينكر عليهم أحد أعمالهم الشنيعة ولا يؤاخذهم بسيئاتهم وحرائرهم . وحينا صدر هذا القرار التاريخي ، رجونا ورجت الامة أن تنقلب حالهم ويشرع القوم في اصلاح أحوالهم الفردية والبيئية ، حتى تلائم حياتهم العملية طبيعة هذا القرار الذي يحتم عليهم أن يستنبطوا قواعد الحكم من معين الكتاب والسنة ويسيروا دفة الامر وفق الشريعة الاسلامية .

رجت الامة ذلك منهم وما استعجلت وما ألحت عليهم في هذا الشأن وانما أرادت منهم وطلبت اليهم أن يشرعوا في السير على المنهج الذي اختاروه للأمة والمملكة . وكذلك رجونا أن يشرعوا في تهئية المقدمات واعداد الامور البدائية اللازمة لتدوين الدستور الجديد . وأقل ما كان يؤمل من هؤلاء القوم ان لا يسنوا قوانين جديدة تناقض الشريعة الاسلامية وتحالفها ، وان كانت الامة تطالب بأن لا يتأخروا في الغاء القوانين الفاسدة التي ورثتها البلاد من العهد البريطاني المشؤم ، لكن القوم ما اتوا بشيء من ذلك وما دل شيء من أعمالهم على انهم غير هازلين او انهم يريدون الجدل . وذلك انهم ، كما دلت عليهم القرائن وما جريات الحوادث التالية ما كانوا صادقين في اقوالهم وقصر بحاجتهم ، وانما ارادوا وقتئذ ان يكسروا ثورة الحركة الشعبية المطالبة باقامة نظام الاسلام ويفتأوا حميها باصدار « قرار المبادئ » والاعلان باعترام المجلس التأسيسي على وضع الدستور الجديد على قواعد الشريعة . ومن ثم ترى انهم كلما خوطبوا في هذا الشأن وذكروا بما يتطلبه هذا القرار التاريخي من عمل جدي وقوة حاسمة

في سبيل المشروع ، لو ارؤوسهم واستكبروا استكبارا .

هذا من جهة ومن جهة اخرى جعلوا ينادون في كل ناد ومجلس ويصيحون بأعلى اصواتهم في المؤتمرات الدولية والاندية العالمية « انهم مسلمون ويريدون ان يعيشوا مسلمين » وانهم عازمون على ان يجعلوا مملكتهم مملكة اسلامية مستندة الى قواعد الشريعة وقوانين الاسلام الخالدة ، والقوم كلهم - من الحاكم الاعلى الى ادنى وزرائهم - سواسية في هذا الباب ، ينادون بالاسلام ويناقضون احكامه في كل مجتمع ومجلس يعقدون مؤتمراً عالمياً لمسائل الاقتصاد ويبدون مرورهم بمشاركة الفتيات العاريات المتبرجات في جاساته ، يقيمون معرضاً دولياً للمصنوعات والمتنوعات ويجعلونه معرضاً عاماً للتبرج والسفور والخلاعة . وقد بلغت منهم الرفاقة ان جعلوا يفتحون دور السينما وشركات التمثيل والملاهي بتلاوة آي من الذكر الحكيم ، كأنهم لم يكفهم كل هذا الطغيان فأرادوا ان يجلبوا سخط الله عليهم بهذا العمل الشائن . وكأني بهم لم يبق لهم الا ان يفتحوا حوانيت الخمر بتلاوة الآية الكريمة : « انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » (المائدة : ٩٠) ويرأسوا حفلة افتتاح دور الخلاعة والفجور ويبدؤا فيها بآي من الذكر الحكيم تندد بالفحشاء وتبين العقوبات الصارمة لمن يقتربها ... هذا برض من عد وقليل من كثير من منكراتهم والتناقض الشنيع بين أقوالهم واعمالهم . ولعمري الحق أنه قد مضت قبل ذلك أمم

وشعوب ممن كانوا يتسمون بالاسلام ويتعاطون المنكرات ولا يتحرجون من الوقوع في المآثم والمخزيات ، الا أنهم لم يتجرأ أحد من كبارهم ولا من صغارهم على ان يسمى فجوره تديناً وفساده وطغيانه خضوعاً لأمر الله . وكذلك لا تخلو بلاد المسلمين في عصرنا من رجال وجماعات وحكومات تنسم بالاسلام ولا تدين بما جاء به الدين المبين من النظم والقوانين ولا تتبع أوامر الشريعة في شؤونها الفردية ولا الجماعية ، لكنه لم يطرق سمعنا الى الان ان أحداً من هؤلاء وأوائك قد وصلت منه الجرأة على دين الله ان يعلن للملأ باسلامه واستمسكه بعروة الدين الحق ويجهز بتسيير دفة ملكه على قواعد الشرع المبين ثم يأتي في بيته وناديه في مجالس القضاء والحكم بما يصاد الاسلام وينقض مبادئه عروة عروة .

كلا ! لم نسمع بمثل ذلك ، لافي الغابر ولا في الحاضر ، وانها جريمة شنعاء يرتكبها المستبدون بالامر في هذا الجزء من بلاد المسلمين ، وانها جريمة تجلب سخط الله وتستعجل عقوبته . عسى الله ان يرحمنا ويتفضل علينا بنعمة من عنده ولا يؤاخذنا بما فعله المسيء منا . انه غفور رحيم .

هذا ، ولما استيأست الامة واستيأس القائلون بدعوة الاسلام واقامة نظام الحق في هذا القطر من الزعماء المستبدين بمناصب الحكم والسلطة ولم يبق فيهم أمل ان يفوا بوعودهم ويسيروا على الخطة التي رسمها الاسلام لمن يدين به ويظهر رضاه بالايمان بمبادئه - لما استيأسوا

من أولئك القوم ، بدأوا بحركة شعبية أخرى لتنفيذ خطتهم وانجاز
مطالبهم ، حركة تغيير القيادة وتبديل الأيدي التي تحرك دولاب العمل
وتسيير دفة شؤون الملك ، فان هذه الأيدي الأثيمة هي العقبة الكؤود في
سبيل اقامة الدين وتنفيذ القانون الالهي اليوم ، وهي التي مازالت
ولا تزال تحول دون المضي في العمل والتقدم في سبيل الاصلاح المطلوب
فلم يبق للامة ملجأ الا الى هذه المطالبة - مطالبة استبدال الزعامة وابعاد
المسيطرين عليها عن مناصبهم واحلال رجال صالحين محلهم ، رجال يؤمنون
بالله واليوم الآخر ولا يعصونه في ما أمر عباده به من اتباع شريعته
وامثال أوامره ونواهيه ويرجون ثوابه ويخافون عقابه في ما يقومون به
من أعمال الملك وما يؤدونه من وظائف الحكم . لكن المستبدين بمناصب
الملكمة ومقالات الحكم عندنا ، ما كانوا ليتحملوا مثل هذه المطالبة
بفروغ صبر وطيب قلب ، فان النفوس مطبوعة على حب الذات
والأثرة والانانية .

فلم يكن من المنتظر من أمثال هؤلاء الرجال الذين نشأوا في
ظل المادية البحتة وطبعوا على الانغماس في الشهوات واتباع المذات النفسية
ان يتلقوا مثل هذه المطالبة بطلاقة الوجه ورحابة الصدر او يتخلوا عن
مناصبهم من غير مقاومة ومعارضة . ومن هنا بدأت الحركة بنشاط
وتقدم مطرد ولا تزال قائمة وستبقى قائمة ماضية الى ان يدعن المسيطرون
على مقادير الامة لمطالبها ويقوموا بانتخاب مجلس تأسيسي جديد برأي
الامة وأصواتها ، يقوم بمهمة وضع الدستور الاسلامي الجديد ، فان

هذا المجلس التأسيسي قد أثبت بتلكوؤه في العمل وتنكبة الصراط السوي في تدوين الدستور ، ان اعضاءها ليسوا بأهل لهذا العمل الخطير ، وأنهم مغلوبون على أمرهم وأنهم ليس فيهم من الديانة ونضوج الرأي وتحري الصدق مايجملهم مستمسكين بقرار المباديء الذي كان أصدر ليكون رائداً لهم ومرشداً في سبيل وضع الدستور وتدوين أصوله وفروعه . وكذلك تبين بما يظهر من تقارير بعض لجان المجلس التأسيسي وما جاء فيها من تعليقات (Recommendations) اجمالية وتفصيلية عن بعض نواحي الدستور ان القوم سالكون مناهج انكلترا وأمريكا ، وان ماينهم وبين الاسلام وقواعده الحكيمة الشاملة العادلة ماين الارض والسماء ، وانهم عازمون على ان يؤسسوا دكتاتورية ، يستبدون فيها بجميع السلطات المشروعة وغير المشروعة ، وانهم معتزمون ان لا يتخلوا عن مناصب الامرة والسلطة بحال من الاحوال . قد بدأت حركة تبديل القيادة ، منذ سنة ونيف ، وكانت الامة خلالها تطالب ايضاً باطلاق سراح الاستاذ أبي الأعلى المودودي - أمير الجماعة الاسلامية - وزملائه الذين حملوا لواء الدعوة الاسلامية وقاموا بهذه الحركة الشعبية لاقامة نظام الاسلام .

وبقيت الامة تطالب بالامرین وتدعوا اليهما في كل ناد ومجتمع ، حتى اضطرت الحكومة الى اطلاق سراح الاستاذ المودودي وزملائه في أواخر مايو سنة ١٩٥٠ م / شعبان ١٣٦٩ . فقوي بذلك ساعد القائمين بحركة تبديل القيادة ومضوا في عملهم بثبات وتقدم مطرد . ثم جاءت بعد ذلك تنف من تعليقات (Recommendations) بعض لجان المجلس

التأسيسي التي أشرنا إليها آنفاً ، والتي لم تدع مجالاً للشك في ان المجلس التأسيسي الموجود غير أهل للاضطلاع بهذا العبء القادح ، وان اعضاءه لا يهمهم أمر الاسلام في شيء ، وأنهم مفتونون بدساتير أوروبا وأمريكا ، مقتفون أثرهم ، متتبعون لمعلمهم ، فلم يبق للإامة الا المضي في المطالبة بتبديل الزعامة وحل المجلس التأسيسي الحاضر والقيام بانتخاب جديد عام للمجلس . وهاهي الحركة قائمة على أشدها والحكومة بمعنة في غيرها ، والجماعة الاسلامية جادة في تنظيم حركة شعبية عامة لارغام الحكومة على الخضوع لهذه المطالبة واتتمكن الامة من انتخاب ممثلين ذوي صلاح ومضاء لوضع الدستور الاسلامي الجديد . ويعلم الله ماذا ينتظره المستقبل لهذا الشعب المنكوب ، المبتلي بهذه الشرذمة من القادة الزعماء الذين سلطتهم الانكيز على الامة قبل ان يغادروا بلادنا ، والذين لاهم لهم في هذه الدنيا الا اتباع أهوائهم الذاتية والانغماس في الشهوات الدنيئة .

آ - المستقبل

هذا ما وصلت اليه البلاد - الى يومنا هذا - في اجابة دعوة الاسلام والقيام بواجب اقامة الدين وأداء شهادة الحق . ومما نحمد ونشكر الله عليه من أعماق فؤادنا أنه قد تشكلت فيها جماعة داعية الى الله ورسوله منذ عشر سنوات ، جعلت نصب عينها أداء شهادة الحق واقامة الدين الكامل وتوطيد دعائم النظام الاسلامي من جديد . وقد أعدت لذلك عدتها من قبل وعينت من أول يومها بتربية اعضاءها وتنشئتهم على الاخلاق الاسلامية الزكية والآداب الانسانية السامية ، ليكونوا قدوة لغيرهم في

ميدان الجهاد والكفاح ودعاة الى الحق والخير بأعمالهم لا بأقوالهم فحسب .
 وهاهي قد دخلت الجماعة في ميدان الكفاح العملي واضطهد اعضاؤها
 ولايزالون يضطهدون ويؤذون بأنواع من الآلام والشدائد ويبدلون
 بصنوف من الأخطار والأهوال ، لكنهم لم يتضعضوا ولم يتوحزحوا
 قيد شبرة عن الخطة المثلى التي اختاروها لأنفسهم - بعون الله وتوفيقه -
 وكذلك ماغفلوا خلال هذه المعامع عن دعوتهم الأساسية وترغيب الناس
 في قبولها واللجوء الى كنفها والدخول في حظيرتها ، فهم اليوم قائمون
 بالامرين ، ومضطلمعون بالعبئين معاً : الاول : مطالبة الحكومة باقامة
 نظام الحق او التخلي عن مناصب الامرة والحكم ، وثاني اثنين تربية الامة
 وتركية أخلاقها وأعمالها بذشر محاسن الدين وتعميم مكارمه وبث تعاليمه
 البينة المستنيرة . فالصراع شديد والكفاح مستمر والأحوال متقلبة
 والنفوس جاحدة والطباع مائلة الى الشر . فאלله المسؤول ان يأخذ بأيدينا
 وينصرنا في مهمتنا ويسدد خطانا ويثبت أقدامنا وأن يجعل عملنا كله
 خالصاً لوجه الكريم ، فانه لانتوكل الا عليه ولانستعين الا اياه
 ولا نستمد المعونة والتوفيق الا منه ، انه ولي التوفيق وانه
 قريب مجيب .

اما المستقبل ، فليس من الميسور لكاتب حقير مثل كاتب هذه
 السطور ان يتنبأ بشيء بنوع من الثقة والحزم ، الا أننا نؤمن بشيء
 ونعتقد وندين به ، وهو ان الاسلام دين عالمي شامل ، كافل لحاجات
 البشر جميعاً ومحيط بنواحي الحياة البشرية طرا ، لا يشذ عن حكمه شيء

ولا يند عن دائرة نفوذ أمر ، وأنه الدواء الناجع والبلسم الشافي الوحيد
لآلام العالم وأمراضه الفتاكة التي أصيب بها وابتلي بشدائدها ، واننا
مسؤولون أمام الله يوم القيامة ، ان لم نقم بأداء شهادة الحق قولاً وعملاً
ولم تتم حجة الله على خلقه بكمال هذا الدين وكونه علاجاً ناجعاً ودواء
شافياً لأدواء العالم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية جميعاً ! نحن نؤمن
بذلك ونعتقد وندين به ، وهذه العقيدة وهذا الايمان وتلك الثقة بمهمة
الاسلام ورسالته الخالدة ، هي التي تحدوننا على العمل وتستحثنا على الجهاد
والمضي في الكفاح لاقامة نظام الاسلام وتنفيذ الشريعة الاسلامية في
هذا الجزء من العالم الاسلامي ، وذلك لنتمكن من أداء شهادة الحق
ونبوي. ذمنا أمام الله ورسوله . وفي الوقت نفسه نعرف ونعلم علم اليقين
ان هذا الصراع بين دعاة الحق والمستولين على مقاليد الحكم ومناصب
السلطة ، ليس من طبيعته ان يبقى منحصراً في هذا الجزء من بلاد المسلمين
بل الذي نلاحظه وتقرع أسماعنا أخباره ان هذه المنازعة بين الحق والباطل
بدأت تمتد وتوسع وتنتشر في مختلف أقطار العالم الاسلامي . لأن
النكبات المتتابة المتواصلة ونتائج الحركات القومية السيئة وعواقب
البعرات الوطنية والنسلية الوخيمة وسيول الاحاد والفجور المتدفقة من
روسيا وأمريكا ، جعلت المسلمين ورجال الاصلاح والفكر منهم على حذر
وبدأت تنبههم الى مافي هذه التيارات الجارفة من أخطار شديدة ومافي
تلك الدعوات الباطلة من أضرار فاحشة . هذا في جانب ، وبجانب آخر
نرى أتباع الغرب وأتباعهم وقلاميدهم « الأوفياء » في كل قطر من

أنظار المسلمين لا يزالون ثابتين على إيمانهم بنظريات الغرب الباطلة ،
 مستمسكين بحبال أفكارهم ومناهجهم وأوضاعهم الفاسدة المناقضة لروح
 الاسلام ، المعارضة لتعاليم الشريعة الاسلامية ، القاضية على البقية الباقية
 من أخلاق المسلمين وعاداتهم الأصلية الزكية التي ورثوها من أسلافهم
 والصالحين من آبائهم وأجدادهم . ومن ههنا المصارمة والمقاومة بين قوى
 الحق والباطل بين من يريدون ان يرجعوا بأبناء الاسلام الى حظيرة الدين
 المبين ويعودوا بهم الى كنف الشريعة الغراء ويجدوا ويجتهدوا في اقامة
 نظام الاسلام وتوطيد دعائم الملك والحكم على قواعده الثابتة وبين من
 يحبون ان يبقوا على ما هم عليه من تقليد الافرنج واتباع طواغيتهم وتتبع
 معالمهم وآثارهم في الضلالة والطغيان . والذين يظهرون منهم التدين والرضا
 بمبادئ الاسلام وتعاليمه ، انما يحصر ونها في دائرة ضيقة من العقائد والعبادات
 ونبتة من مسائل الحياة الاجتماعية التي تسمى بقوانين الأحوال الشخصية .
 اما نظم الحكم ومناهج الاقتصاد وأوضاع السياسة وقوانين السلم
 والحرب . وأهم في شأنها ان قوانين الاسلام الخالدة لاتصلح لهذا العصر
 عصر « النور » والحضارة (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، ان يقولون
 الا كذباً) . فالصراع والمكافحة بين الحق والباطل ، بين دعاة الحق
 وأذئاب الغرب ، بين المؤمنين برسالة الاسلام الخالدة والمؤمنين بطواغيت
 الغرب ، الصراع بين هاتيك القوتين (Pores) حق وواقع للاحالة .
 فلا حول ولا قوة الا بالله ، هذا النزاع والمصارمة بين فريقين من أبناء الاسلام ،
 كما يظهِر لأول وهلة . وانما هو نزاع بين مبدئين متعارضين ، وصراع بين
 مناهجين متناقضين ولا مندوحة عن ذلك ، فلا حول ولا قوة الا بالله ، لأنه
 شيء طبيعي لا بد من اجتيازه واحتماله اذا أردنا اقامة نظام الاسلام
 وتنفيذ الشريعة الالهية في الارض .

اما المستقبل ، مستقبل الدعوة ومستقبل هذا الكفاح والنزاع
في بلادنا ، فليس من الميسور التنبؤ بشيء في بابها ، كما أسلفت ، الا ان
دعاة الحق الذين عاهدوا الله على ذلك ، عازمون على خطتهم ، مستميتون
في سبيل اقامة نظام الاسلام . فهم بين أمرين أما ان يكرمهم الله
بالنجاح والظفر ، فينعموا بسعادي الدارين ، واما ان ينفوا دونها ، فيتموا
حجة الله على خلقه ويبرؤوا ذمتهم عند الله ورسوله . والله يتولى من يجاهد
في سبيله وينصر دينه . ولنصرن الله من ينصره . انه قوي عزيز .

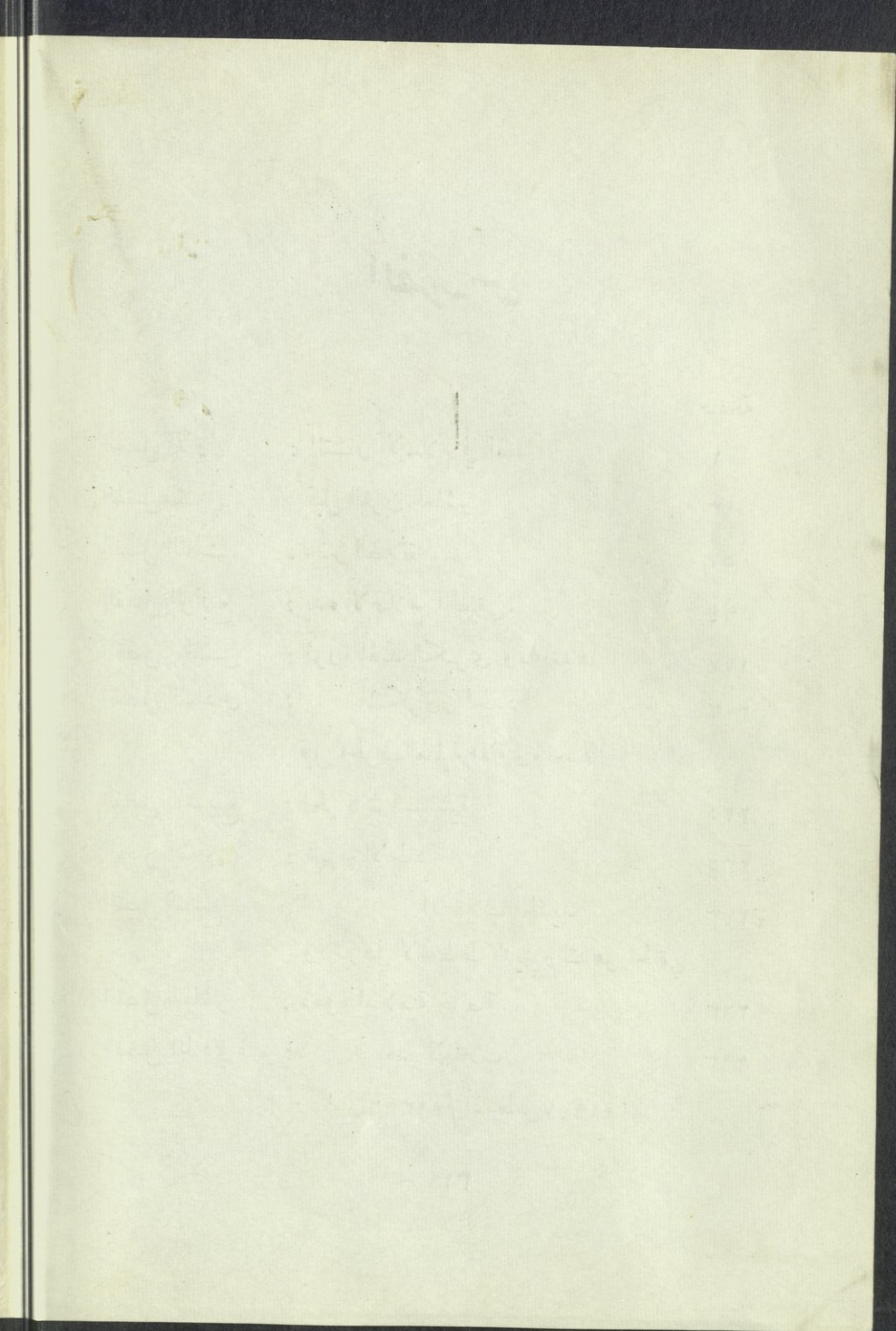
هنا يقف القلم عن الكتابة . وهذا آخر ما أردت تسويده في
تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند . عسى الله ان يجعله خالصاً لوجهه الكريم
وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

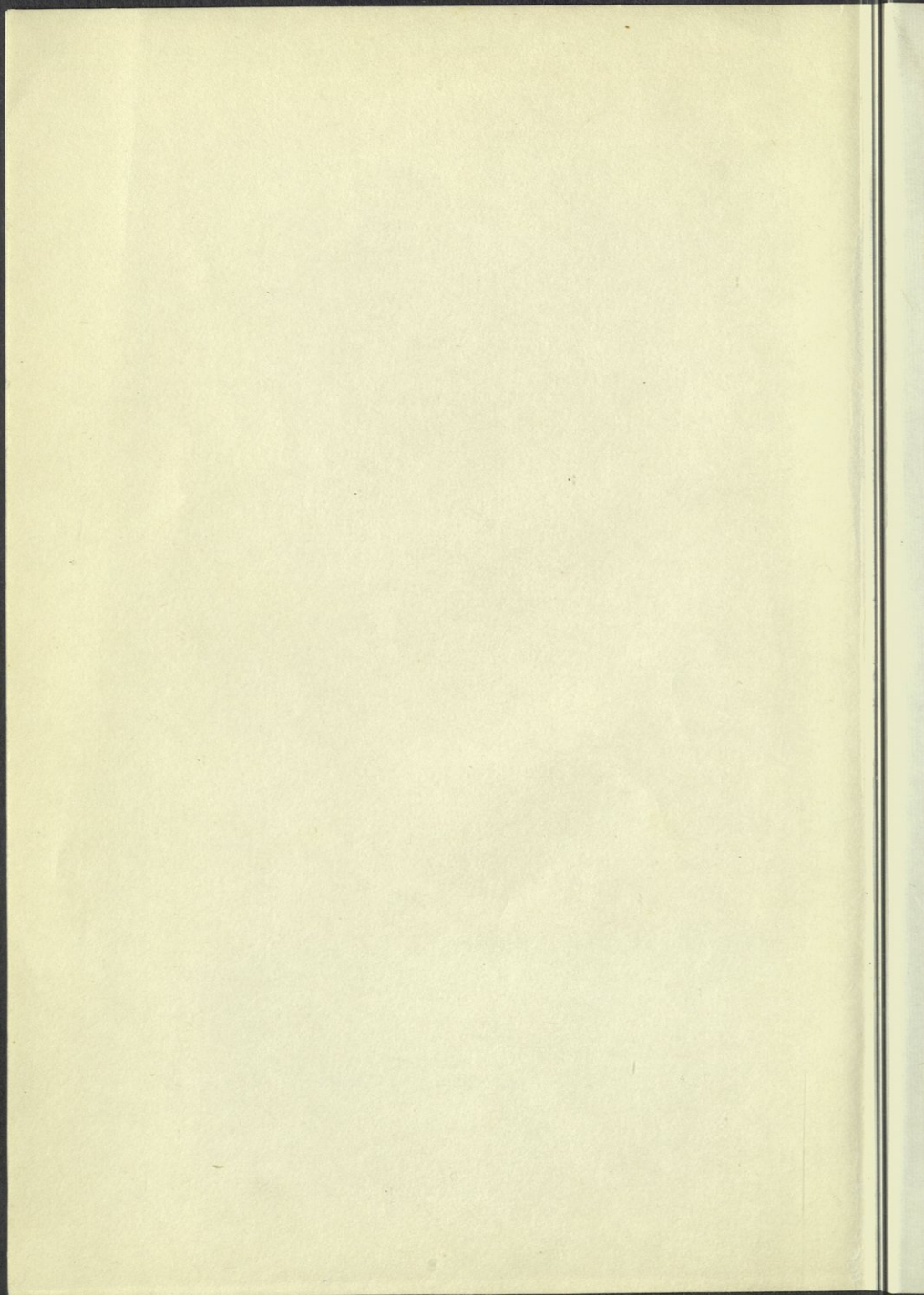
وذلك في خامس شهر ربيع الآخر سنة ١٣٧٠ الهجرية ،
على صاحبها الف تحية وسلام .

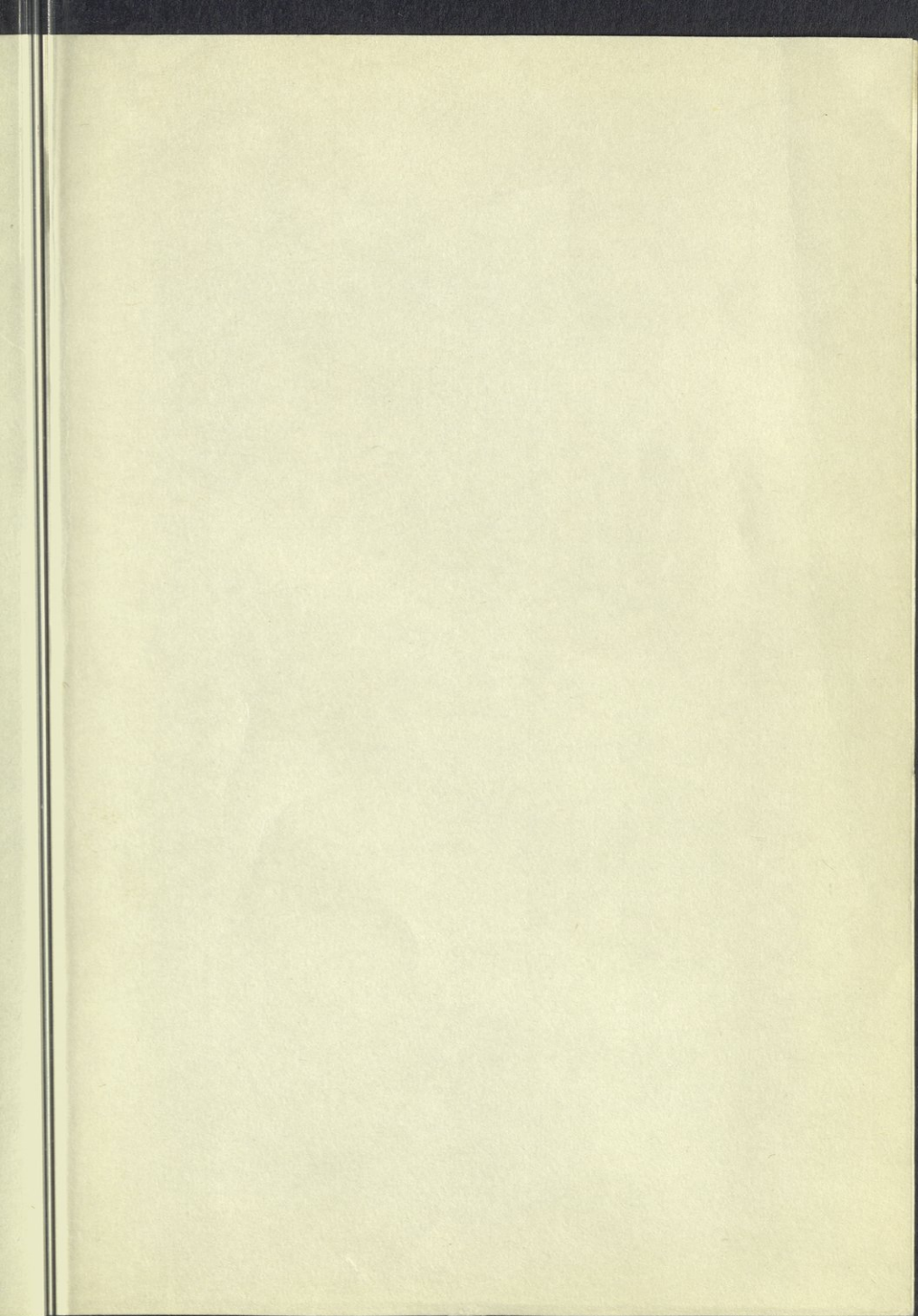


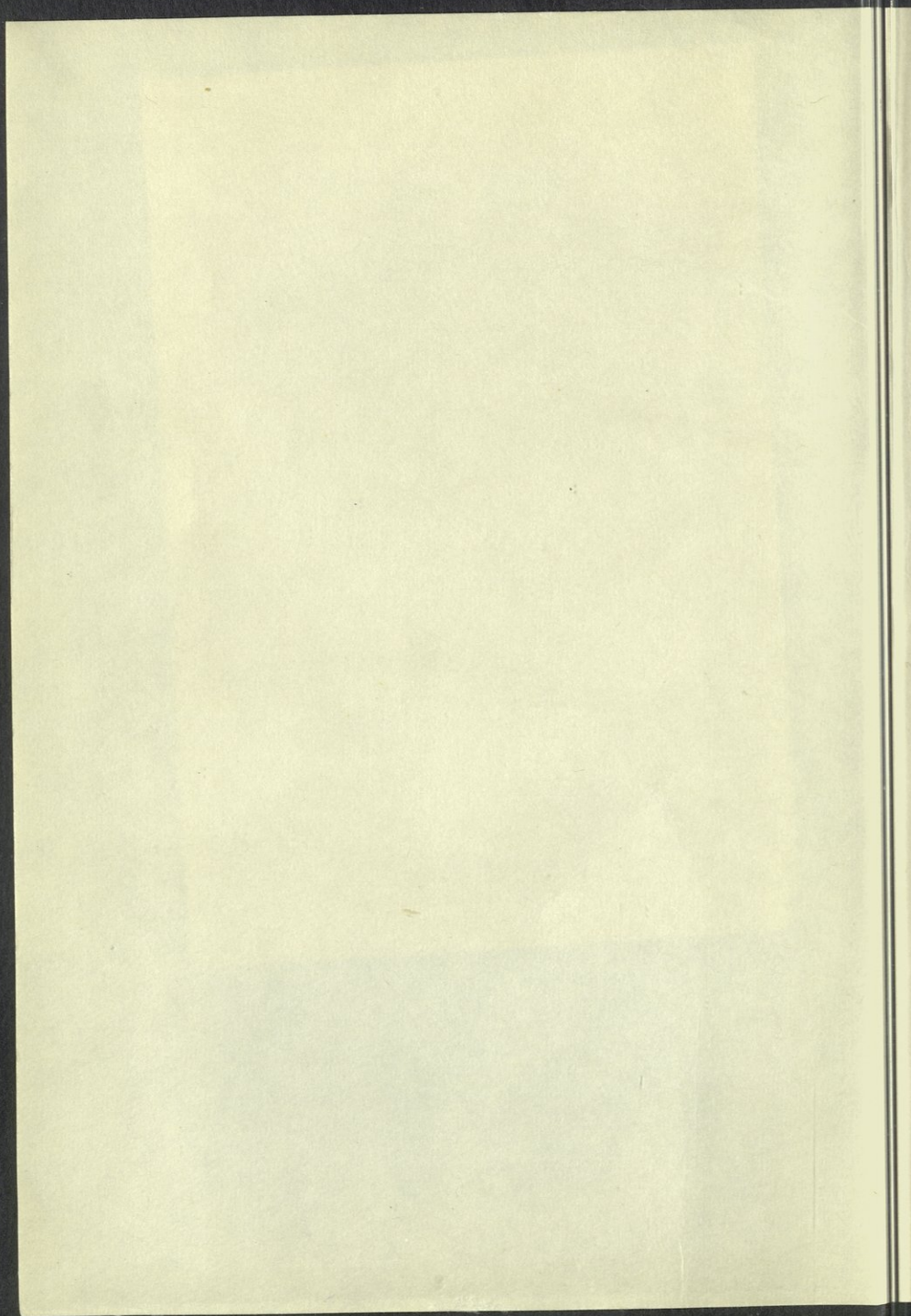
الفهرس

صفحة		
١	: انتشار الاسلام في الهند	الفصل الاول
١٣	: قبل القرن العاشر	الفصل الثاني
٥٧	: عصر الضلالة	الفصل الثالث
٩٤	: بدء الاصلاح الحقيقي	الفصل الرابع
١٧٧	: ثورة الهند الكبرى وما بعدها	الفصل الخامس
٢٠٧	: المفكرون الجدد	الفصل السادس
	قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها	
٢٢٥	: الحركات السياسية	الفصل السابع
٢٣٥	: ظهور الاحاد	الفصل الثامن
٢٤٣	: الانقلاب الجديد	الفصل التاسع
	وتأثيره في الانحطاط الديني والتدهو الخلقى	
٢٦٣	: دعوة اسلامية خالصة	الفصل العاشر
٢٩٣	: بعد الانقلاب	الفصل الحادي عشر
	(رمضان ١٣٦٦هـ / أغسطس ١٩٤٧م)	









DATE DUE

~~8 NOV 1972~~

~~JAFET LIB.~~

~~24 FEB 1988~~

~~25 OCT 1973~~

JAFET LIB.

25 SEP 1990

~~9 FEB 1988~~

297.7:N131tA:c.1

الندوى، مسعود

تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01011561

297.7:N131tA

الندوى

297.7
N131tA

